الاعتقادات

لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل

المشهور بـ :

الراغب الأصفهاني

ت ٥٠٢ هـ

تحقيق

الدكتور شمران العجلي



مؤسسة الأشرف

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٩٨٨
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

HARVARD UNIVERSITY
LIBRARY
OCT 4 1990

مؤسسة
دار الأشرف للتجارة
والطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ لبنان
ص. ب : ١٤/٥٨٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المحقق

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

وبعد ،

فإن الشيخ الراغب الاصفهاني عميق التفكير دقيق المعنى واضح البرهان قوي الحجة سهل العبارة، يتحدث وكأنه يخاطب انسان هذا العصر، هذا ما لمسته في كتابه « الاعتقادات » الذي أُدرِك ان الامة المسلمة اليوم بحاجة اليه، إذ فيه بيان عقيدتها في التوحيد والنبوة والمعاد، وهذه هي الأصول الرئيسية لعقيدتها، والأمة اليوم تؤمن بتلك الأصول إيماناً إجمالياً، ولكنها تجهل الفهم التفصيلي لتلك الأصول وما يتفرع منها ، ويبدو لي أن الأمة لو اتضحت لها عقيدتها بلغتها المعاصرة مع إيمانها الجازم بعقيدتها إجمالاً، لتغيرت أوجه الواقع المناقضة لعقيدتها .

وإني إذ أقدم هذا الكتاب محققاً أسأل الله تعالى أن يجعله خدمةً لدينه العظيم وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون، وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد النبي وعلى آله الطاهرين وصحابته المرضيين.

تلمسان
١٢ ـ ذي القعدة ـ ١٤٠٨
١٩٨٨/٦/٢٦

الدكتور
شمران العجلي

المؤلف :

ابــو القــاسم الحسين بن محمــد بن الـمفـضــل الــراغب الاصفهاني[1] وجاء في بغية الوعاة للسيوطي[2] أن اسمـه المفضل بن محمد، ولكن السيوطي ذكر في كتابه المزهر أن اسمه الحسين بن محمد بن المفضل، وهذا نصه « الحسين بن محمد بن المفضل المشهور بالراغب، وهو من أئمة البلاغة »[3] ، فيبدو أن ما وقع في البغية تحريف من النساخ.

مولده ووفاته :

لم تذكر المصادر المترجمة له تاريخ ميلاده.

أما وفاته فقد اختلف فيها، والذي عليه، أكثر المترجمين له أنه توفي بحدود سنة ٥٠٢ هـ[4] .

١ ـ كشف الظنون ١/٣٦ ، والاعلام ٢/٢٧٩ ، ومعجم المؤلفين ٣/٥٩ ، وروضات الجنات ٣/١٩٧ ، وأعيان الشيعة ٢٧/٢٢٠ .

٢ ـ بغية الوعاة ٢/٢٩٧ .

٣ ـ المزهر ١/٢٠١ .

٤ ـ أعيان الشيعة ٢٧/٢٢٠ ، والأعلام ٢/٢٧٩ ، ومعجم المؤلفين ٤/٥٩ ، وتاريخ آداب اللغة العربية لبروكلمان ٥/٢٠٩ .

مؤلفاته :

أولاً : مفردات ألفاظ القرآن . طبع عدة طبعات. وقد اعتمد البيضاوي المفسر على هذا الكتاب في تفسيره للقرآن الكريم، وليس على تفسير الراغب (جامع التفسير) كما ردده بعض من ترجم للراغب من المتأخرين. انظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مجلد ٢٢ ص ١٠٦ ، محمد كرد علي .

ثانياً : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء . طبع عدة طبعات.

ثالثاً : تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين . طبع عدة طبعات.

رابعاً : الذريعة الى مكارم الشريعة. طبع عدة طبعات.

خامساً : مقدمة في التفسير . طبعت في ذيل كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار المعتزلي .

سادساً : جامع التفسير[1] : لا يزال مخطوطاً، ومنه أجزاء متفرقة في مكتبة أياصوفيا، ومكتبة ولي الدين جار الله ومكتبة ملت ـ علي آميري، ومكتبة فيض الله، ومكتبة لاله لي في استانبول والمكتبة المتوكلية بالجامع الكبير بصنعاء ، اليمن .

---

١ ـ تاريخ الادب العربي ـ بروكلمان ٥/٢٠٩ ، والاعلام ٢/٢٧٩ ، وتاريخ اداب اللغة العربي ـ جرجي زيدان ٣/٤٧ ، ودائرة المعارف الاسلامية ٩/٤٧٣ ، واعيان الشيعة للعاملي ٢٧/٢٢٣ ، وكشف الظنون ١/٤٤٧ ، وهدية العارفين ١/٣١١ .

سابعاً : تحقيق البيان في تأويل القرآن . ذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ٢٠٩/٥ أن منه نسخة في المكتبة الرضوية بمشهد في ايران ، وبعد الحصول على تلك النسخة تبين انها نسخة اخرى ناقصة من كتاب الاعتقادات، وذلك ما سأحقق فيه عند ذكر كتاب الاعتقادات.

ثامناً : مجمع البلاغة أو جُماع البلاغة[٢] . منه نسخة في مكتبة متحف توب قابي سراي ـ احمد الثالث ـ في استانبول، ونسخة في مكتبة مجلس شواري علي في طهران. وقد حقق الكتاب رسالة علمية في كلية الاداب جامعة عين شمس. وطبع أخيراً.

تاسعاً : الاخلاق . ذكر بروكلمان ان منه نسخة في برلين تحت رقم ٥٣٩٢ ، وبعد الحصول على صورة تلك النسخة تبين لي أنه ليس كتاباً في الاخلاق وليس للراغب الاصفهاني.

عاشراً : درة التأويل وغرة التنزيل[٣] . منه نسخة في المكتبة البريطانية التابعة الى المتحف البريطاني، ونسخة في مكتبة اسعد افندي في استانبول، ونسخة في مكتبة احمد الثالث في توب قابي سراي في استانبول، ونسخة في مكتبة خسرو باشا في تركيا،

---

١ ـ تاريخ الادب العربي ـ بروكلمان ٢٠٩/٥ ، والاعلام ٢٧٩/٢ ، والموسوعة العربية الميسرة ٨٥٤ ، دائرة المعارف الاسلامية ٤٧٣/٩ .

٢ ـ مفتاح السعادة ٨٠/٢ بعنوان «أفانين البلاغة». وكذلك كشف الظنون ١٣١/١ .

٣ ـ تاريخ الادب العربي ٢١١/٥ ، وهدية العارفين ٣١١/١ بعنوان «درة التأويل في متشابه التنزيل».

ونسخة في مكتبة راغب باشا في استانبول وهي تحت عنوان حل متشابهات القرآن [1].

حادي عشر : أدب الشطرنج منه نسخة في قازان في روسيا .

ثاني عشر : الاعتقادات[2] ، وهناك مؤلفات مفقودة منها :

المعاني الاكبر [3] ، والرسالة المنبهة على فوائد القرآن[4] ، وتحقيق مناسبات الالفاظ القرآنية[5]، واحتجاج القراءات[6]،

---

١ ـ تاريخ الادب العربي ٥/٢١١ ، والموسوعة العربية الميسرة ٨٥٤ ودائرة المعارف الاسلامية ٩/٤٧٣ .

٢ ـ الاعلام ٢/٢٧٩ .

٣ ـ كشف الظنون ١/٧٣٩ .

٤ ـ الكفردات .

٥ ـ المفردات .

٦ ـ كشف الظنون ١/٧٣٩ ، اعيان الشيعة ٢٧/٢٢٣ .

كتاب الاعتقادات

جاء في مقدمة المؤلف لكتابه هذا قـوله . . . : ورغبتَ رغبـةً صادقةً أن اعمل رسالة أبين فيها أنواع الاعتقادات التي يحكم بهـا على الانسان بالايمان والكفر والهداية والضلال . . .)

وفي هذا النص يبدو لي أن اسم الكتاب هو « **الاعتقادات** » .

نُسخ الكتاب :

١ ـ نسخة مكتبة شهيـد علي في استانبـول، مصورة لمكتبـة الجامعة الاسـلامية بـالمدينـة المنورة ميكروفيلم رقم ١٩٧٨ . ورمزت لها بالحرف «ش» .

وصف النسخة :

تقع هذه النسخة في ٣٦ ورقة ، في كـل صفحة ٣١ سـطراً، كتبت بخط نسخي جميـل، تاريخهـا، في الخامس عشـر من شهر ربيع الاول من سنـة ٩٦١ هـ . وهي ناقصـة حيث تنتهي قبل نهاية الفصل السابع عندما يتحدث عن شرف الاستسـلام لما يجري به القضاء والقدر .

٢ ـ نسخة مكتبة جستربتي بدبلن في جمهورية ايـرلندة تحت.رقم ٥٢٧٧ . ورمزت لها بالحرف «ج» .

وصف النسخة :

تقع هذه النسخة في ١٠٤ ورقات، ويتراوح عدد الاسطر في صفحاتها بين ١٨ ـ ١٧ سطراً. وهي ناقصة في بعض المواضع كما أشرت الى ذلك في الهوامش.

يبدو أن تاريخ نسخها في بداية القرن الثاني عشر الهجري، اذ ورد في آخر لوحة ما نصه « ثم انتقل هـذا الكتاب المبـارك بطريق الابتياع الشري الى ملك كاتبه احمـد بن الشيخ سليمـان العلواني الشافعي. . . وذلك في شهر ربيع الثاني من شهور سنة تسع ومائة بعد الأبف (١١٠٩ هـ).

٣ ـ نسخة المكتبة الرضوية بمشهد في ايران تحت رقم ٥٦ ، وتقع في ٧٧ ورقة، وفي كل صفحة ١٤ سطراً. وهـذه النسخة هي التي ذكرها بروكلمان في تـاريخ الأدب العـربي باسم «تحقيق البيان في تأويل القرآن» وهي تبدأ من موضـوع «المفاضلة بين الملك والناس » .

كتبت النسخـة في القرن السـابع الهجـري. وقد رمـزت لهـا بالحرف «م».

عملي في التحقيق :

بعد اطلاعي على النسخ الثلاث وتصويري لبعضها اتضح لي انه لا توجد نسخة كاملة يمكن ان تتخذ أصلاً في التحقيق ، لذلك لم اعتمد على واحدةٍ من النسـخ المتقدمـة، بل لفقت من النسـخ الثـلاث نسخةً، واجهتـدت لأن تكون النسخـة القريبـة الى نسخة

المؤلف، فقمت باستنساخ الكتاب على النسخ الثلاث، واشرت الى مواضع الاختلاف بين النسخ الثلاث، ومواضع الزيادة والنقصان، ثم خرجت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة وترجمة للاعلام وتركت الاعلام المشهورين من الصحابة وغيرهم، وعرفت بالفرق والمذاهب الاسلامية، ونسبت الابيات الى أصحابها.

وقد علمت أخيراً ان الكتاب قدم الى كلية الشريعة بمكة المكرمة من قبل الطالب محمد اختر لقمان لنيل درجة الماجستير، وقد حصلت على صورة من الرسالة وتبين لي ان الطالب اعتمد على نسخة واحدة يشوبها كثير من النقص وادعى انها النسخة الوحيدة في العالم كما جاء في رسالته حيث قال « عندما اخترت هذا الكتاب تحقيقاً ودراسة لموضوع رسالتي لم يكن عندي الا نسخة جستربتي، ولقد بحثت كثيراً عن نسخة اخرى من هذا الكتاب، فما اهتديت اليها بعد الرجوع الى الفهارس والمصادر المختلفة التي اهتمت بالمخطوطات واماكن وجودها، واستعنت ببعض الخبراء في هذا الشأن».

وقد استفدت من عمل الاخ لقمان في بعض المواضع.

واني اذ اقدم هذا الكتاب محققاً على نسخ ثلاث انما اهدف الى إظهار هذا الكنز الفكري قريباً الى ما أراده المؤلف.

والله أسأل أن ينفع به الأمة المسلمة والباحثين عن الحقيقة.

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين وهو حسبي ونعم الوكيل[1].

رب أغن وأعن وما توفيقي إلا بالله

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد النبي وآله.

قال الشيخ ابو القاسم الحسين بن محمد المفضل الراغب رحمه الله : سألت أيها الأخ الفاضل وفقك الله وايانا، ووقي برحمته ديننا، وقوي يقيننا، وحبانا الأمان[2] ، وكتب في قلوبنا الايمان وايدنا بروح منه يعصمنا من الغواية، وانزل علينا سكينة تعيننا على الهداية كما ضمن تعالى ان يفعله بالمؤمنين حيث قال : « أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه[3]، وقال : « هو الذي

(1) ساقط من ج والمثبت من ش.

(2) في ش « وكسانا الايمان »، والمثبت من م.

(3) المجادلة 22/58.

أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم »[1]، حتى نتحرى الحق دون الباطل في الاعتقاد، والصدق دون الكذب في المقال، والجميل دون القبيح في الفعال وجعلنا من مفاتيح الخير ومغاليق الشر [فقد قال صلى الله عليه وسلم : « ان من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ومن الناس ناساً مغاليق للخير مفاتيح للشر] »[2]. حتى نكون في الدنيا من الذين يؤمنون وهم في الآخرة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ورغبت رغبة صادقة ان أعمل رسالة أبين فيها أنواع الاعتقادات التي يحكم بها على الانسان بالإيمان والكفر، والهداية والضلال، وأذكر الحق الذي كان عليه أعيان السلف من الصحابة والتابعين، قبل أن حدثت البدع من قوم يخذلون الدين ويزعمون أنهم أنصاره، ويخربون ويوهمون أنهم عماره، ويطفئون نوره ويخيلون أنهم يوقدون ناره ويرفعون مناره، وأعظمهم آفة فرقتان : فرقة تدب في ضراء[3]، وتسر حسواً في ارتغاء[4]، تظهر موالاة أمير المؤمنين وبها اضلال المؤمنين يتوصلون بمدحه واظهار محبته الى ذم الصحابة وأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - الذين رضي الله عنهم ، وشهد التنزيل بذلك لهم، ويقولون : كلام الله رموز وألغاز لا ينبيء ظاهره.

---

(1) الفتح 4/48 .

(2) ساقط من ش والمثبت من ج والحديث أخرجه ابن المبارك في الزهد ص 344 .

(3) الضراء : ما واراك من الشجر وغيره، وهو ايضاً المشي فيما يواريك عمن تكيده وتختلفه، اللسان مادة « ضرا » .

(4) رغوة اللبن : زبدة، والارتغاء، سحف الرغوة واحتساؤها، وفي المثل : يسر حسواً في ارتغاء، يضرب لمن يظهر أمراً وهو يريد غيره، اللسان مادة « رغا » .

عن حق ومفهومه عن صدق ويجعلون ذلك من الذرائع الى ابطال الشـرائع، وأخرى أعظم الجهاد عندها هو أن يتصدى أحدهم لمن يراه فيقول: ما ننكر على من يزعم أن الله تعالى جاهـل بكذا أو عـاجز عن كذا، وأن الله ليس[1] خالقاً لكذا، يتلاعب بالدين تلاعب الصبيان بالجوز، ولا يتحاشى لما لا يرضى من القول، ولا يتفكر في قوله عز وجل ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾[2] ثم قـد صار كثيـر منهم بسوء تأتيهم من قطاع الطريق على القاصدين الى الله ليصدوا عن سبيـل الله من آمن بـه ويبغونهـا عـوجـا، فـإنهم اذا رأوا عـاميـاً[3] سليم الناحية، مستقيم الطريقة[4] معتكفاً على العبادة، مؤديـاً للأمـانة، مـراعياً للسنـة والجماعـة، يرجـو رحمة الله ويخـاف عذابـه أخذوا يقولون له : ما ينفعك ما تفعل[5] ، وأنت ما لم تعرف الله بالدلائل كعـابد وثن ومعتكف على صنم، ولا ينفعـك أعمال الخيـر، فـإذا خوفوه تخـويف الشيطان أوليـاءه، فسألهم عن الهـداية، ذكـروا له دلائل[6] يقصر فهمه عن ادراكها، ويغرسون في قلبـه أن الناس مـا عداهم أغنام بلا غنام، وأن بلدهم بلد كفر، وأموال أهله مستباحة استباحة[7] أموال المشركين وأن الصلوة خلفهم من الكبائر، وتفقـد

---

(1) ساقطة من ج، والمثبت من ش.

(2) الانعام 91/6 .

(3) في ش « أميا »، والمثبت من ج.

(4) في ش « الطريق » ، والمثبت من ج.

(5) في ش « ما تقول »، والمثبت من ج.

(6) في ش « دلالة »، والمثبت من ج.

(7) في ج « استباح »، والمثبت من ش.

فقرائهم من العظائم، وإذا ترسخ في قلب ذلك المسكين أن لا طريق إلى الحق غير ما أضلوه، وقد سبر طريقهم فلم يجده إلا مؤدية[1] إلى مضلة، صار ذلك سبباً لانحلاله عن قيد الشرع ورفضه العبادات[2] ، وترك التحاشي من الزور وعن ارتكاب المحظور، واستثقل[3] ما كان يؤديه من وظائف العبادات ، وهذا فعلهم مع العامة فأما اذا رأوا من الخاصة ذا بصيرة قد تنبه على حقيقة [أمرهم][4] تحصن منهم بالمعرفة بسور لا تعمل فيه معاولهم، أخذوا يرمونه بالزندقة، والالحاد غير متفكرين [أن][5] الله تعالى عند لسان كل قائل ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ﴾[6] ، لا جرم أنه قلما يرى زعيم [لهم] [7] أنه يؤمن بالوعيد ألا وهو مقدم على الذنوب اقدام من قدم فيها نذراً ولم يجد عذرا.

وقد أسعفتك أيها الأخ بما اقترحت، ولولا ثقتي بأن قصدك في استدعاء ما استدعيته من هذا التصنيف أن تتلقى العقيدة الصحيحة بما يحوطها، والشبهة العارضة من جهة بعض المبتدعة بما يميطها، وأن ليس لك مماراة السفهاء ومباهاة العلماء، لما

---

(1) في ش « مؤدية الا »، والمثبت من ج.

(2) وردت في ج بعد كلمة العبادات جملة « مؤدية عن وظائف العبادة »، وهي تبدو زائدة من سياق الكلام.

(3) في ج « واستقبل »، والمثبت من ش.

(4) ساقط من ج، والمثبت من ش.

(5) ساقط من ج، والمثبت من ش.

(6) التوبة 32/9 .

(7) ساقط من ج، والمثبت من ش.

اجبتك الى ملتمسك ، فليس من حق الحقائق أن تبتذل[1] وتدنس لمجادلة شياطين الأنس الذين وصفهم الله تعالى بقوله ﴿ وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون ﴾[2] بل حق المؤمن أن يتحاشى من لقائهم فضلاً عن مجاراتهم ومماراتهم، وأن يفر منهم فراره من الأسود والأساود[3] وشرها، دينه لعق على لسانه يستدر به دنياه متى وجد لباطل نفاقاً تصدى لنصرته اكتساباً لغرض دنيوي، واغتناماً لطمع دني كالذين وصفهم الله بقوله عز وجل ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ﴾[4] أو شريراً شغف بالرياسة والسمعة، دأبهُ دفع كل ما يسمعه من حق وباطل قبل أن يتفكر فيه بمصاولة ومطاولة، تراه معداً للخلاف كأنه يرد على أهل أصواب، كالذي وصفهم بقوله ﴿ بل هم قوم خصمون ﴾[5] ، وغاوياً نشأ فيما بين مبتدعة ارتضع فترشف من باطلهم وتشرب من عقيدتهم[6]، ويقول ﴿ انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ﴾[7] فإن ثلاثتهم[8] من الموتى الذين

---

(1) في ش « تبتذله، والمثبت من ج.

(2) الأنعام 21/6 .

(3) الأساود جمع اسود، وهي العظيم من الحيات وفيه سواد، اللسان مادة « اسود »

(4) البقرة 79/2 .

(5) الزخرف 58/43 .

(6) في ش « عقودتهم »، والمثبت من ج.

(7) الزخرف 22/43 .

(8) في ج « ثلاثة » والمثبت من ش .

أيأس [1] الله نبيهم [2]، منهم بقوله : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين، وما انت بهادي العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴾ [3] بقوله : ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا [4]، فانظر كيف جعل دعاء النبي - صلّى الله عليه وسلم - [5] الذي هو سبب اهتداء الناس، سبباً لأن لا يهتدوا، وبقوله : ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ [6] .

واعلم ايها الأخ علماً يقيناً أن حال المتصدي لارشادهم حال الحكيم الذي رؤي وهو يعظ جاهلاً فقيل له : ما تصنع ؟ قال: « اغسل حبشياً لعله يبيض » بل يكون كما قيل :

ومن يصنع المعروف في غير اهله
يلاقي كما لاقى مجير أم عامر [7]

فإنهم يحقرونه ويكفرونه ويشلون [8] عليه [9] كلابهم وذئابهم،

---

(1) في ج « آيس » والمثبت من ش .

(2) في ج « نبيه » والمثبت من ش ، ويجوز نبيّه .

(3) النمل 27/80 ، 81 .

(4) الكهف 18/57 .

(5) في ش « عليه السلام » والمثبت من ج .

(6) يونس 10/10 .

(7) مستقصى الامثال للزمخشري 2/233 ، ومجمع الأمثال للميداني 2/ 144 .

(8) يرسلون عليه كلابهم ، اللسان مادة « شلا » .

(9) في ش « عليهم » والمثبت من ج .

فيفسدون عليه دينه ودنياه، كفانا الله أمر من لا يردعه حياء ولا عقل ولا دين.

وقد استخرت الله تعالى في ذلك، وعملت ما اقترحته، وقننت في ابتداء الكتاب قانوناً كشفت به حقيقة ما ينطوي عليه كل دين من الاعتقادات النظرية والعملية وبينت ان عامة ما يقع فيه التكفير والتفسيق انما هي الاعتقادات النظرية دون العملية ورتبت اجناس الاعتقادات وأنواعها، وحررت كل مسألة في موضعها، وقرنت [كل ما خالف الملحدة والمبتدعة جماعة اهل الحق فيه][1] بدلالة عقلية مستنبطة من كتاب الله عز وجل، ففي ذلك بيان أنه سبحانه أصدق القائلين حيث وصف كتابه بأنه تبيان لكل شيء، وقال: ﴿ وما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾[2] ويعلم أن من ترك استنباط فوائد كلامه من أصناف المبتدعة وأخذوا بنيات المضلات فهم كما قيل: « أراق الماء واتبع السرابا » فإن كتاب الله تعالى جوامع الكلم ومجامع الحكم ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾[3] ، «كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً »[4] لكنه وان كان متلواً بالألسنة مسموعاً بالاذان فإنه لا يكاد يبدي صفحته الا لمن أذعن له وألقى السمع وهو شهيد، فأما من لاحظه بالزراية وتلقاه بالمعاندة وتكبر برد الحق ورفض الصدق، فإنه يصرف عن معرفته، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير

---

(1)ساقط من ج والمثبت من ش.

(2)الانعام 38/6.

(3)الواقعة 80/56.

(4)السجدة 41/3، 4.

الحق ﴾[1]، وأقول ان هذا الذي دللته على صحته في هذا الكتاب وذكرت ان مذهب اهل الحق هو الذي أدين الله - عز وجل - به سراً وجهراً وباطناً وظاهراً، وان ما عدا ذلك مما هو خارج الشرع من تعطيل[2] والحاد وانكار للبعث وغير ذلك من انواع الكفر، ومما هو داخل الشرع من تشبيه[3] وقدر[4] وارجاء[5] ورفض[6] وسائر انواع البدع فأنا بريء منه ومن كل من يعتقده.

---

(1) الاعراف 7/ 146

(2) المعطلة : هم الجهمية أصحاب جهم بن صفوان، قالوا بالاجبار والاضطرار الى الاعمال ، وانكار الاستطاعات كلها، يتفقون مع المرجئة في القول بأن الاعتقاد يكون بالقلب ومع المعتزلة في نفي الصفات ويقولون بأن الجنة والنار تفنيان . . .

انظر مقالات الاسلاميين 214/1 ، والفرق بين الفرق ص 159، 236، والملل والنحل 1/ 76، 87 والتعريفات ص 71 ، ودائرة معارف وجدي مادة «جهم» ودائرة المعارف الاسلامية مادة «جهم» وانظر حججهم من القرآن الكريم في «حجج القرآن للرازي تحقيق الدكتور شمران العجلي»

(3) المشبهة : فرقة اسلامية أثبتوا الصفات لله تعالى الى حد التشبيه والتجسيم ، وهم مقابلة الجهمية .

انظر مقالات الاسلاميين 281/1 ـ 282، والفرق بين الفرق 212، 214، 285، والملل والنحل 1/ 92. والارشاد للجويني ص 155. وحجج القرآن للرازي .

(4) القدرية : هم الذين نفوا صفة القدرة عن الله تعالى على أفعل العباد، ويزعمون ان كل عبد خالف لفعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى ، شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص 299، ومقالات الاسلاميين 1/ 125، والفرق بين الفرق ص 93 والملل والنحل 1/ 43، 44، وشرح الطحاوية ص 405، وحجج القرآن للرازي .

(5) المرجئة : فرق اسلامية ، وسموا مرجئة لانهم اخروا العمل عن الايمان والنية، وهم يقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، انظر مقالات الاسلاميين 1/ 213، والفرق بين الفرق ص 190، والملل والنحل 1/ 139. وحجج القرآن للرازي .

(6) الرافضة : قوم رفضوا الامام زيد بن علي رضي الله عنهما حين لم يتبرأ من الشيخين ابي بكر وعمر «رضي الله عنهما». الفرق بين الفرق ص 29 ، والملل والنحل 209/1 .

فصـــول الكتـــاب

اولاً : في اصول الاديان والاختلافات وما عليه كافة أهل السنة.

ثانياً : في معرفة الله وتوحيده وصفاته ورؤيته وما يتعلق به.

ثالثاً : في النبوة وذكر المعجزات وما يتعلق بها.

رابعاً : في الملائكة والجن واحوالهم.

خامساً : في ذكر كتاب الله ـ عز وجل ـ وتحقيق الكلام واحواله.

سادساً : في اليوم الآخر ومتعلقاته.

سابعاً : في القدر ومشيئة الله ـ عز وجل ـ وارادته وما يتعلق به.

ثامناً : في الايمان والاسلام والوعد والوعيد] [1].

---

(1) ما بين القوسين ساقط من ج والمثبت من ش.

الفصل الأول

في اصول الاديان والاختلافات وما عليه كافة أهل السنة[1]

وما بني عليه الدين من الأركان وما فيها من الاختلافات

أصول[2] الاديان المشهورة التي تنسب اليها الأمم من أرباب الاقاليم المعمورة ستة، وهي المذكورة في قوله عز وجل ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾[3]، فهذه هي الأصول التي لا يخرج احد من الانتماء الى واحد منها، وان اختص بمذهب هو خارج عنه وفاسد على قول أهل ذلك الدين الذي هو ينتمي اليه، وكل واحد من هذه الستة تفتن افتناناً في الخلاف، كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم ـ[4] ، بقوله : « افترقت اليهود على احدى

---

(1) وردت في « ج » بعد كلمة « السنة » جملة زائدة وهي « اعداد أصول الاديان ».

(2) كلمة « اصول » ساقطة من ش والمثبت من ج.

(3) الحج 17/22 .

(4) في ش « عليه السلام » .

وسبعين فرقة والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق امتي على ثلاثة وسبعين فرقة »[1] كل شريعة منطوية على خمسة أركان :

الاعتقادات، والعبادات، والمعاملات، والمزاجر، والاداب الخلقية[2]، ولما كان اكثر القصد في هذا الكتاب الى ذكر الاركان الاعتقادية اذ هي التي يقع التكفير بها والتبديع ، وجب أن يصرف القول الى تنويعها دون غيرها من الأركان .

فأما ما عداها من الأركان فليست الأمة مجمعة على تكفير من أقر بوجوبها وان أخل بشروطها عملاً ولم يؤده على وجهه كمالاً .

فنقول : ـ ان جميع الاعتقادات النظرية هي ستة أنواع قد نبه النبي ـ صلى الله عليه وسلم عليها في حديث جبرائيل عليه السلام لما أتاه في صورة أعرابي فسأله عن الايمان فقال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره »[3]، وأما الخلاف الواقع في هذا الباب فثلاثة أضرب :

الأول : الخلاف بين أهل الاديان الستة وبين الخارجين عنها كالخلاف بينهم وبين الدهرية في حدوث العالم واثبات الصانع .

الثاني : الخلاف بين أهل هذه الأديان المختلفة كالخلاف بين اليهود والنصارى والمسلمين .

---

(1) رواه ابن ماجة في سننه في كتاب الفتن باب افتراق الأمم ج 2 ص 1321 ، والترمذي باختلاف في اللفظ ـ باب 18 من ابواب الايمان ج 4 ص 134-135 ، والحاكم في المستدرك ج 1 ص 6 كتاب الايمان، واحمد في مسنده 332/2 .

(2) في ش « الخليقة »، والمثبت من ج.

(3) رواه البخاري في صحيحه 114/1 ، وصحيح مسلم 39/1 .

الثالث : الخلاف بين أهل الملة الواحدة في الأصول النظرية التي يقع فيها التبديع والتفسيق كالاختلاف في صفات الله عز وجل وفي القدر والوعيد ونحوها.

واذا كان أصول الاعتقادات ستة والخلاف فيها من ثلاثة أوجه، يكون جمع أصول الخلاف الواقع في أصول الاعتقادات ثمانية عشر ضرباً، ومن هذا الخلاف ما هو مختص بأهل دين او بديني وغير ديني، ومنه ما هو قد يكون بين أهل دينين كما يكون بين دين واحد، كمسألة القدر والتشبيه ورؤية الله عز وجل، فإن هذه المسائل قد اختلفت فيها اليهود كما اختلف فيها المسلمون، فهذا ما يحتاج الى ذكره في هذا الباب، والله الموفق.

ذكر عدد أصول الاختلافات في الاسلام وبيان الفرق التي تفنن اليها المسلمون :

الأصول التي افترقت فيها الأمة سبعة : القول في ذات الله عز وجل، وفي صفاته، وفي افعاله، وفي الوعيد، وفي الايمان، وفي القرآن، وفي الامامة.

والفرق المبتدعة الذين هم كالأصول للفرق الاثنين والسبعين سبعة :

المشبهة ونفاة الصفات والقدرية والمرجئة والخوارج[1]،

(1) الخوارج : كل من خرج على الامام الحقّ الذي اتفقت الجماعة عليه سواء كان الخروج ايام الصحابة على الائمة الراشدين، او بعدهم زمن التابعين، والخوارج لهم اراء خاصة في الخلافة واصحاب الكبائر، مقالات الاسلاميين 1/167-168. الفرق بين الفرق 56

والمخلوقية [1]، والمتشيعة [2]، فالمشبهة ضلت في ذات الله، ونفاة الصفات ضلت في صفات الله عز وجل، والقدرية في أفعاله، والخوارج في الوعيد، والمرجئة في الايمان، والمخلوقية في القرآن، والمتشيعة في الامامة، والفرقة الناجية هم اهل السنة والجماعة الذين اقتدوا بالصحابة، فمعلوم ان الله ـ عز وجل ـ يرضى عنهم حيث قال : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾[3]، ومعلوم انه لم يرض عنهم الا بعد صحة اعتقادهم وصدق مقالهم وصلاح فعالهم، فقد قال تعالى : ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾[4]، وإذا ثبت صحة طريقتهم ثبت أن المقتدي بهم سالك للمحجة متمسك بالحجة، سيما وقد قال ـ عليه السلام ـ : « أصحابي كالنجوم اقتديتم اهتديتم »[5]، وذلك ان المقتدي بهم متبع لأمر النبي عليه السلام بقوله : « عليكم بالسواد الأعظم »[6]، فإن قيل : فما

(1) المخلوقية : الذين قالوا بخلق القرآن، ومنهم المعتزلة، انظر : شرح المواقف 146 وشرح الاصول الخمسة 527 ، والاعتقاد للبيهقي 32 .

(2) الشيعة : هي الجماعة التي تولت عليا (رض)، واعتقدت بامامته واحقيته بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا فصل، وأنه أفضل الناس بعد رسول الله (ص) وان اولاده من بعده احق بالخلافة والامامة من غيرهم، انظر الملل والنحل 195/1 ، ومقالات الاسلاميين 65/1 . وأوائل المقالات 32 .

(3) الفتح 18/48 .

(4) الزمر 7/39 .

(5) جامع بيان العلم وفضله 90/2 ، وقال عنه الألباني بانه موضوع، انظر الأحاديث الضعيفة والموضوعة 78/1 .

(6) مسند احمد 383/4 .

وصف المقتدي بهم على سبيل الجملة، وماذا يجب ان يعتقد فيما حدث من بعدهم من الخلافات التي لا يخرج الحق عن أحد النقيضين، قيل : حق المؤمن ان ينظر فيما وجد الصحابة عليه مجتمعة تحراه وقصده ولا يتخطاه وما لا يرى فيه للصحابة عليه مذهباً ووجد الناس بعدهم مجتمعين فيه على أمر ما قولاً وفعلاً او قولاً أو فعلاً، اعتقد صحته لقوله عليه السلام : « لا تجتمع امتي على الظلال »[1] ، وما اختلفوا فيه من بعد، وليس له في الكتاب أصل ولا في السنة، فإن ذلك خارج من الدين، لأنه من حيث لم يكن له كتّاب ولا سنة ولا اجماع فهو بدعة ومحدثة لقوله عليه السلام : « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »[2] ، وما له اصل او لفظ في الكتاب والسنة الثابتة فإنه ينبغي ان يقع الايمان بأصله ويسلم تأويله الى الله تعالى، اقتداء بقوله تعالى : ﴿ وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾[3] ويرفض قول القائلين بالرأي لقوله عليه السلام : « من قال في القرآن برأيه فإن اصاب فقد أخطأ »[4]، ولا ننكر ان يكون الله تعالى قد آتى علم ذلك بعض أوليائه لقوله عليه السلام : « من عمل بما علم أورثه الله ـ عز وجل ـ علم ما لم يعلم »[5] .

---

(1) الترمذي 466/4 .

(2) رواه النسائي 188/3 ، ومسند احمد 126/4 .

(3) آل عمران 7/3 .

(4) رواه الترمذي 200/5 .

(5) مسند احمد 15/10 .

ذكر ما يجب ان يكون عليه كافة اهل السنة من الأصول السبعة

الواجب على كل مسلم ان يعتقد :

أولاً : ان الله عز وجل واحد لا يشبه شيء من الموجودات ولا يشاركه بوجه الا في بعض اسمائه لفظا لا معنى، نحو عالم وقادر كما قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[1].

الثاني : ان يعتقد في صفاته انه حي عالم قادر سميع بصير، الى غير ذلك من الصفات التي ورد به الشرع واجمعت عليه الأمة، وان له علماً وقدرة وبصراً لا على الوجه المحسوس، ويترك البحث عن معنى صفاته سوى ما ورد عن السلف، ويترك الكلام في وصفها انها قديمة او محدثة، وهل هي هو او غيره او لا هي ولا غيره[2]، فإن ذلك كله بدعة وخوض فيما امسك عنه الصحابة والتابعون، بل الحاد في اسمائه المذكورة في قوله : ﴿ وذروا الذين يلحدون في اسمائه ﴾[3].

والثالث : ان يعتقد في أفعاله انه خالق كل شيء ولا خالق غيره كما أخبر عن نفسه، وان العباد فاعلون مكتسبون وأفعالهم منسوبة اليهم، وهي خلقة الله تعالى وان الخير والشر

---

(1) الشورى 11/42 .

(2) في ش « وهل هو او غيره او لا هو ولا غيره »، والمثبت من ج.

(3) الاعراف 180/7 ، وجاء في ش « ان الذين » وهو تحريف.

بعلمه ومشيئته وارادته وقضاءه وقدره، وان ما شاء ان يكون فلا محالة يكون، وما لا يشاء لا يكون، وان علمه لا ينافي مشيئته، وارادته، وان القدر من سر الله ـ عز وجل ـ الذي لا يجوز ان يفشيه من اطلعه الله ولا ان يستفتيه من لم يطلعه عليه كما قال عليه السلام : « اذا ذكر القدر فامسكوا »[1].

والرابع : ان يعتقد في الوعيد انه يجب ان لا يؤيس أحداً من رحمة الله ـ عز وجل ـ الا من اجمعت الأمة على كفره، واما من عداهم فإن الله تعالى ان شاء غفر وان شاء عذبهم كما قال « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »[2]، ولا يسلب اسم الايمان والاسلام عن احد يستقبل قبلة المسلمين ويصلي صلاتهم ويبيح ذبيحتهم الا من سلبه الشرع لقوله صلى الله عليه وسلم : « القدرية مجوس هذه الأمة »[3].

والخامس : ان يعتقد ان الايمان اعتقاد بالقلب واقرار باللسان وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وانه درجات ومنازل كما قال النبي عليه السلام : « الايمان بضع وسبعون باباً أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق »[4].

والسادس : ان يعتقد في القرآن انه كلام الله ـ عز وجل ـ، ولا

---

(1) مجمع الهيثمي 202/7 .

(2) النساء 48/4 .

(3) رواه ابو داود 222/4 ، وضعفه الالباني في شرح الطحاوية ص 304 .

(4) صحيح مسلم 63/1 ، والبخاري 51/1 .

يوصف انه مخلوق، فأدنى ما في ذلك ان الخلق في صفة الكلام هو الكذب، ويعتقد ان كلامه كسائر صفاته في انه لا تشبه واحدة منها صفات المخلوقين ولا تشاركها الا في الاسم، كما ان ذاته مباين لذوات المخلوقين وان القرآن في صدور المؤمنين وفي تلاوة التالين وفي كتابة الكاتبين موجود بين الناس مسموع متلو محفوظ مكتوب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويترك الخوض فيما عدا ذلك لقوله عز وجل ﴿ واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾[1] .

والسابع : ان يعتقد في الامامة ان الله عز وجل وعد المؤمنين ان يجعل فيهم خلفاء مخصوصين بقوله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾[2]وذلك خلافة خاصة، وعد الله ـ عز وجل ـ بها بعد خروج « رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الدنيا، وظاهر ذلك يقتضي ان كل من تولى أمر المسلمين بعده كان خليفة، لولا ما ورد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً»[3] فيجب ان يقطع بصحة خلافة من تولاها في هذه المدة بعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم يتوقف عمن كان بعدها فيفوض امورهم الى الله عز وجل ويصحح احكامهم وعقودهم ويوجب اظهار[4] طاعتهم لقوله تعالى : ﴿ اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر

---

(1) الانعام 68/6 .

(2) النور 55/24 .

(3) الترمذي 503/4 ، والمستدرك 71 ، واحمد في مسنده 71/3 .

(4) في ج « بالظاهر » ، والمثبت من ش.

منكم ﴾(1) . ولم يخص، [و]قوله عليه السلام : « اسمعوا واطيعوا ولو امر عليكم عبد حبشي مجدع »(2) [ ] فهذه جملة اذا اعتقدها المسلم يرجى في الدين سلامته وهي المأثورة عن أئمة الاسلام(3) كمالك بن انس(4) والليث بن سعد(5) ، والاوزاعي(6) ، وسفيان الثوري(7)، وابن عُيينة(8)، والشافعي(9) ،واحمد بن حنبل(10) ، وغيرهم من الائمة الأخيار.

---

(1) النساء 59/4 .

(2) صحيح مسلم 944/2 ، ومسند احمد 403/6 .

(3) في ج « الاسلاف » والمثبت من ش.

(4) مالك بن انس امام دار الهجرة احد ائمة المذاهب الاسلامية، ولد سنة 93 هـ، وتوفي سنة 179 هـ. تهذيب التهذيب 4/10 .

(5) الليث بن سعد من كبار الفقهاء، توفي سنة 175 هـ. تهذيب التهذيب 459/8 .

(6) عبد الرحمن بن عمر والاوزاعي، فقيه من ائمة الحديث ولد سنة 88 هـ، وتوفي سنة 157 تهذيب التهذيب 238/6 .

(7) سفيان بن سعيد الثوري فقيه، ولد سنة 97 هـ، وتوفي سنة 161 هـ، تهذيب التهذيب 111/4.

(8) سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي، حافظ من ائمة الحديث، توفي سنة 198 هـ ميزان الاعتدال 397/1

(9) الشافعي محمد بن ادريس احد ائمة المذاهب الاسلامية، توفي سنة 204 . طبقات الشافعية 192/1.

(10) احمد بن حنبل الشيباني احد ائمة المذاهب الاسلامية توفي سنة 241 هـ، طبقات الحنابلة 4/1 .

الفصل الثاني

في معرفة الله عز وجل وتوحيده وبيان معرفة الله تعالى وأنواعها :

معرفة الله عز وجل على ثلاث مراتب : بديهية ومكتسبة وموهبية .

فأما البديهية فضرب واحد ، وهو معرفة وجوده على سبيل الاجمال وبها يخرج الانسان عن كونه جاحدا .

وأما المكتسبة ، فأربعة أوجه :

الأول : معرفة ذاته ومن هو ، وبها يخرج الانسان من كونه معطلاً .

الثاني : معرفة وحدانيته ، وبها يخرج الانسان من كونه مشركاً .

والثالث : معرفة اوصافه المنزهة ، ومباينته لكل ما عداه، وبها يخرج الانسان من كونه مشبها .

والرابع : معرفة أوصافه الممجدة وبها يخرج الانسان من كونه ملحداً، أعني الالحاد المذكور في قوله : « وذروا الذين يلحدون في اسمائه »[1] .

---

(1) الاعراف 180/7 .

وكل واحد من هذه الاربعة يتوصل اليه ، اما من طريق الاستدلال بقدرته تعالى وايجاد العالم بأنواعه واجناسه واعيانه وهو طريق أهل الجدل، وأما من طريق الاستدلال بالقدرة والحكمة [1]، وهو المعرفة بكل واحد من أجناس موجودات العالم وأنواعه على وجه تنحسر[2] العقول عن توهم وجه أصلح لما خلق له مما جعله عليه وهي طريقة الحكماء .

وأما الموهبية : فمعرفة من طريق الهدى المشار اليه بقوله : « والذين اهتدوا زادهم هدى »[3] وقوله : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » [4]، وبحصول هذه المعرفة يصير الانسان موقناً كما أشار اليه بقوله : « وكذلك نُري ابراهيم ملكوت السموت والأرض وليكون من الموقنين » [5]، وهذه المعرفة أعني اليقينية مخصوصة بالانبياء والأولياء ، كما ان البديهية عامة لجميع الناس، ومن حصلت له [6]، فقد انتهى الى المنزلة التي أشار اليها أمير المؤمنين رضي الله عنه حيث [7] قال :« لو كشفت الغطاء ما ازددت يقيناً » ، وقرب منها حديث حارثة[8] قال : « كأني أنظر الى عرش ربي بارزاً ، وكأني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها والى اهل

---

(1) الواو ساقطة من ج.

(2) في ش « تخرج »

(3) سوارة محمد (ص). 17/47

(4) العنكبوت 69/29 .

(5) الانعام 75/6 .

(6) كلمة له ساقطة من ج .

(7) كلمة حيث ساقطة من ج.

(8) هو حارثة بن مالك الانصاري الصحابي. الاصابة 289/1 .

النار يتعاوون فيها ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « عرفت فالزم »[1] وها هنا منزله أرفع من كل ما تقدم لا تحصل للانسان في الدنيا وانما تكون للمؤمنين في الآخرة وهي المشار اليها بعين اليقين المذكور في قوله تعالى : « كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين »[2]، فأشار تعالى بعلم اليقين لترون الجحيم الى ما يحصل للانسان في الدنيا ويطلع به على الجنة والنار وأشار بعين اليقين الى ما يحصل في الآخرة فيصير بها رائياً لذاته ، كما قال عليه السلام : « انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر »[3]، ولما كانت المعرفة به تعالى في الدنيا اذا اعتبرت بالمعرفة به في الآخرة جارية مجرى الظن من اليقين قال تعالى ﴿ الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ﴾[4]، فجعل تعالى المعرفة الدنيوية ظناً في جنب المعرفة الاخروية وان كان في الدنيا يقيناً .

بيان معرفته البديهية :

أعلم ان معرفة وجوده من بداية العقول التي[5] يشترك فيها كل بالغ لاعاهة به . وذلك ان كل عاقل يعلم[6] انه مصنوع وانه لم يصنع نفسه ومسبوق الى غاية لا انفكاك له منها ، [ولا يعلم انه من هو، وما وصفه فان ذلك يوقف عليه بنظر واستدلال، والدلالة على

---

(1) مجمع الزوائد 57/1 .

(2) التكاثر 5/102، 6، 7 .

(3) صحيح البخاري 33/2 ، مسلم 439/1 .

(4) البقرة 46/2

(5) ساقطة من ج .

(6) كلمة يعلم ساقطة من ش .

ذلك ان معرفة ذلك معلومة ببديهة العقل] [1]، وانه ليس معرفة ذلك باكتساب كما زعم جل المعتزلة، هي أن الله عز وجل لم يبعث نبياً قط دعا الى اثبات الخالق والاقرار بوجوده بل كلهم بعثوا ليدعوا الى معرفة [الآء الله المؤدية][2]الى توحيد الله عز وجل [والاطلاع على الحكمة] [3]، وعبادته كما قال عز وجل : ﴿ فاعلم انه لا إله إلا الله ﴾ [4]، وقال : ﴿ وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة﴾[5] ولهذا أخبر عن قوم هود عليه السلام لما دعاهم الى التوحيد انهم قالوا : ﴿ أجئتنا لنعبد الله وحده﴾ [6] فدل انهم لم ينكروه بل انكروا عبادته وحده دون عبادة الاصنام [7] وكذلك أخبر عن قريش حين دعاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - الى التوحيد قالوا :﴿ أجعل الالهة الهاً واحداً ﴾ [8]، ومعلوم ان الاقرار بتوحيد الله تعالى فرع عن الاقرار باثباته ، فلو كان معرفته سبحانه مما يجب اكتسابها لامر بها كما أمر بالتوحيد والاقرار به [ويدل على ذلك ان ابراهيم عليه السلام لما أخذ يطلب معرفة الله تعالى وقال في القمر ﴿هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين ﴾ فدل ذلك على انه قد عرف ربه على

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ش.

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ش.

(3) ما بين المعقوفين ساقط من ش.

(4) سورة محمد (ص) 15/47 .

(5) البينة 5/98

(6) الاعراف 70/7 ، وفي ش عن قوم نوح والمثبت من ج.

(7) ما بين المعقوفتين ساقط من ش.

(8) سورة (ص) 5/38

طريق الجملة لكن خفي ذاته وكان يطلبه فلذلك قال ما قاله] [1] .
وقال تعالى ﴿ فـاقم وجهك للدين حنيفـاً فطرة الله التي فـطر الناس عليهـا لا تبـديـل لخلق الله﴾[2] فنبـه أن معـرفتـه سبحـانـه من الفـطرة التي فطر النـاس عليها وان المعـانـدين وان قصـدوا تغييـر هذه الفطرة لم يقدروا عليه، ونبـه قولـه : ﴿لا تبديـل لخلق الله﴾ على انهم لا يمكنهم ازالة هذه المعرفة التي فطروا عليها، وبقـوله ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾[3] ، وقوله : ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾[4][أي لا يعلمـون] [5]كون معـرفته فـطرة لهم وانهم لا يقدرون على تغيير ما قال عليه السلام، « كل مولود يولـد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه وبمجسانه » [6]، اي لو ترك لوجد مائلاً بفطرته[7] الى قبول الحق ، وعلى هذا دل قولـه تعـالى : ﴿ واذ اخـذ ربـك من بني آدم من ظهـورهم ذريتهم﴾[8] الآية ، فنبه ان معرفتهم بأن لهم رباً يربيهم ويـرزقهم وينقلهم من حـد الطفـولة والنقص الى حـد الكهولـة والكمال قـد حصلت من جميعهم مؤمنهم وكافرهم، فهـذا الاقرار اعتـراف نفوسهم بـالعلم المركوز في عقـولهم وهو اقـرار منهم بلسانهم الـروحاني لا اقـرار

---

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من ش، والمثبت من ج.

(2) الروم 30/30

(3) النمل 14/27 .

(4) الروم 30/30

(5) ما بين المعقوفين ساقط من ش.

(6) البخاري 493/11 ، ومسلم 247/4 .

(7) ساقطة من ج.

(8) الاعراف 172/7

بلسانهم الجسماني، وعلى هذا قال تعالى : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله »(1) الآية فان هذا القول من المؤمن بالمقال وبالحال معا ومن الكافر بالحال دون المقال، ولهذا يقر به كل مسلم وكافر عندما يناله من الشدة كما قال عز وجل : « ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون »(2) كأنه تعالى يردهم الى ما اضطروا اليه فقال الهكم يمسكم بما فيه كراهتكم ولا حيلة لكم في دفعه فيضطركم الى الاقرار به والى الرجوع اليه، وهذا للمؤمنين والكافرين بدلالة قوله : « ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون » (3)، ولكون معرفته مركوزة في عقل كل ذي عقل لم تتأن امة في قتل من جحده، حتى قيل من انكر الباري رجم لكونه جاحداً ومن أنكر النفس رحم لكونه جاهلاً [وقال بعض العلماء : ان نور الله تعالى يبهر بظهوره بصائرنا بالاضافة اليه، جارية مجرى عين الخفافيش بالاضافة الى ضوء الشمس اذا دامت النظر اليها بل اضعف منها بكثير، فلذلك انكرته بعض البصائر وظنتها انها غير مدركة] (4). فان قال المتكلمون نحن عقلاء وقد عرفناه بالاستدلال لا ببديهة العقل قيل : انتم لم تنكروا انكم عرفتموه وانما انكرتم الوجه الذي منه عرفتم، وقد يعرف الانسان الشيء ثم لا يدري انه قد عرف [كالسمنية (5) الذين ينكرون انهم

---

(1) الزخرف 87/43

(2) النمل 53/27 .

(3) النمل 54/27

(4) ما بين المعقوفين ساقط من ش، والمثبت من ج.

(5) السمنية نسبة الى « سومنات » اسم صنم كبير، قالوا بقدم العالم وبابطال النظر والاستدلال، وينكرون حصول العلم بغير الحواس. . . الفرق بين الفرق 270 .

يعرفون شيئاً بغير الحواس] [1]، وقد يعرفه ولا يدري من أين عرفه، فيخالف فيه، وذلك كالخلاف في العلم بمخبر الأخبار من اي وجه حصل، وأيضاً فانكم في طلب معرفته من خارج مع كونها مغروسة فيكم فلا تلتفتون اليها كمن معه جوهر كريم هو ضالته وطلبته ولا يدري أنه هو الذي معه [فأخذ يطلب جوهراً هو غير ضالته بما معه فخدع بأن اعطى حجراً مصبغاً بما كان معه فخاب وخسر] [2].

فان قيل : لو كان معرفة وجوده ضرورية لما جحد به[3] الملاحدة [قيل : الملحدة لم يجحدوا ان لهم فاعلاً فعلهم وناقلاً نقلهم] [4]. في الأحوال المختلفة، وانما يخالفون الموحدين في تعيين هذا الفاعل وفي صفاته وتوحيده، وكل هذا يعلم[5] بالاستدلال، وان وجد من جحد ان له فاعلاً ويقول نحن انفعلنا بأنفسنا ، فذلك أما مؤف[6] في عقله ، واما جاحد خبيث في طينته ، [ثم قال تعالى : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم [7]»][8] فان قيل : فلم قال اذن حكماء الصوفية : ان أصعب الاشياء معرفة الله عز وجل ؟ قيل : لم يعنوا بذلك المعرفة بوجوده وانما عنوا معرفة توحيده وصفاته وكونه سببا لوجود الاشياء ومباينته لها، وهذا

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ش، والمثبت من ج.

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ش، والمثبت من ج.

(3) في ش « جحدته ».

(4) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش.

(5) في ج العلم، والمثبت من ش.

(6) الاف : النتن، قاله الزجاج، انظر اللسان مادة « أفف ».

(7) النمل 14/27.

(8) ما بين المعقوفين ساقط من ش.

صعب جدا فهذا معرفة وجود على سبيل الجملة .

فأما ما ذكره المعتزلة بأن الله لا يعلم[1] كونـه موجـوداً الا بعد العلم بأنه محدث للعالم وانه قادر وعالم وحي ، وانه ما لم يعلم كل ذلك لا يمكن ان يعلم كونه موجوداً ، فذلك شنيع جداً وكيف يصح تصور موجد قادر عالم حي ليس بموجود حتى يدل انه موجـود بعد العلم بكل هذا .

بيان معرفة الله تعالى المكتسبة

هذه المعرفة تحتاج الى مقدمات :

الاولى : بيان الطرق المتوصل بها الى المعارف .

الثانية : الطريقة المتوصل بها الى معرفة الله تعالى من بين هذه الطرق .

الثالثة : وجوب معرفـة أنواع المـوجودات البـاقية والفـاسدة، وبيان ان جميعها غير منفك من افعال تقتضي ان يكون لهـا فاعـل واحد .

الرابعة : معرفة افعال الله تعالى وهي ضربان : ضرب يتولاها بلا واسطة، وضرب يتولاها بواسطة الخلق.

الخامسة : ترتيب الموجودات بعضها على بعض، وان بعضها سبب في وجود البعض، الى ان يصير الى واحد هو سبب وجودها كلها وهو موجد الموجودين وفاعل الفاعلين، ولا يمكن توهم وجود

---

(1) كلمة « لا » ساقطة من ج، والمثبت من ش.

شيء مع توهم ارتفاعه، وهو الله الخالق الباري المصور تبارك الله رب العالمين.

المقدمة الاولى : في ذكر الطرق المتوصل لها الى المعارف.

المعارف ضربان :

ضرب يحصل للانسان بلا مزاولة لتحصيله ولا احتيال لاصطياده، وذلك خمسة انواع :

الاول : الهام من الله تعالى يحصل مع الولادة كاهتداء الطفل لارتضاع الدر، وفزعه عند وهمه الى البكاء ونحو ذلك.

الثاني : المعقولات ببداية العقل فما لا يحتاج في تحصيله الى استعمال الفكر ولا يعلم من اين حصله ومتى اكتسب كالعلم بأن الجسم الواحد لا يكون في وقت واحد في مكانين! وان الشيء كله أعظم من جزئه.

الثالث : الحس ، وذلك خمسة أنواع اللمس ، والذوق ، والشم والسمع ، والبصر .

الرابع : التخيل وما تتصوره النفس عن الحس فتراه بعد غيبوبة المحسوس .

الخامس : ما يحصل عن وحي الله تعالى الى القلب، وذلك ما يكون للانبياء عليهم السلام ، واياه عنى بقوله « فنزل به الروح الامين على قلبك »[1].

وضرب يحصل للانسان بالاكتساب والاصطياد ، وذلك خمسة أنواع :

---

(1) الشعراء 26|193 ، 194 .

الاول : معرفة المؤثر بأثره والمتحرك بتحركه والفاعل بفعله، ونحو ان يرى الانسان بناء وحركة فيعلم ان له بانيا ومحركا، وان يرى دخاناً فيعلم ان ثم ناراً أو احراقاً .

والثاني : معرفة الحركة والاثر والفعل بالمتحرك والمؤثر والفاعل ، كمن يرى بانيا ومحركاً فيعلم ان له بناء وحركة او يرى ناراً فيعلم ان ثم احراقاً او دخاناً .

الثالث : التحليل ، وهو ان يرى شيئاً مركباً يريد أن يقف على المادة التي ركب منها فلا يزال بحله حتى يقف على مبادئه، كمن يرى قميصاً فيعلم ان القميص من الثوب والثوب من الغزل والغزل من القطن ، والقطن من النبت والنبت من الاركان الاربعة، أي التراب والماء والهواء والنار، اي الحرارة، وان كل واحد من هذه الاركان من عنصر وصورة، اي جوهر وعرض.

الرابع : التركيب وهو بعكس ذلك في التحليل سلوك من البسائط الى مركباتها وقد نبه الله تعالى على طريق التركيب في قوله تعالى « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين »[1] وقوله تعالى : « يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب »[2] الآية .

الخامس : معرفة الشبيه ، كما نبه الله تعالى عليه في أمر

---

(1) المؤمنون 14, 13/23

(2) الحج 5/22 .

البعث والنشور بقوله تعالى : « والذي نزل من السماء ماء بقدر فأثرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون »[1] فبين أن احياء الميت بعد موته كاحياء الارض بالنبات بعد موتها .

المقدمة الثانية :

ذكر الطريقة المتوصل بها الى معرفة الله تعالى من بين هذه الطرق .

أعلم انه لا طريق الى معرفة الله تعالى المكتسبة من الطرق العشرة التي يتوصل بها الى المعارف الا طريق واحد، فانه لا يعرف هذه المعرفة بالالهام المتقدم ذكره ولا بالعلم البديهي ، لجهل كثير من الناس بذلك ، ولا بحاسة بل لا سبيل للحاسة الى ادراك ذلك، ولا بالتخييل، لأن التخييل لا يكون الا في الاشياء المرئية، ولا من الوحي ، فالعلم الضروري يحصل من الوحي للانبياء ، ولا من جهة الشبيه بالشبيه واذ كان الله منزهاً عن شبيه وند وضد ، ولا من جهة التحليل والتركيب ! فذلك يصح فيما هو مركب ومكثر، ولا من جهة الفاعل فليس له فاعل فيعرف المفعول بفاعله والموجود بموجوده، وانما معرفة الله تعالى بظهور آثاره والاستدلال بأفعاله والفاعل والمحرك والمؤثر الذين يعرفون بأفعالهم وحركاتهم وآثارهم ضربان :

ضرب يمكن للانسان احساسه في بعض الاحوال وله ان يستدل عليه ببيانه فيصح ان يحس في بعض الاوقات، وضرب لا يمكن احساسه كنخل متصدع وشجر مثمر فانا نحس الاثر ولا نحس

(1) الزخرف 11/43 .

مؤثـر ، وكذا يرى في الانسان أثار العقل والحزم فيعلم ان له عقلا وحزما وهمـا لا يدركان حساً.

المقدمة الثالثة :

وجوب معرفة أنواع الموجودات الباقية والفاسدة .

أنواع الموجودات المدركة ستة :

الأول : الاجرام العلوية .

الثاني : الاركان الاربعة : التراب والماء والهواء والنار .

الثالث : الجمادات من المعادن والاحجار .

الرابع : الاشياء النامية من النبات والاشجار .

الخامس : الحيوانات الهوائية والمائية والارضية.

السادس : الانسان .

[وجمعها على ثلاثة أضرب :

ضـرب باق بحـالته من ابتـداء وجـوده الى انتهـائـه لا يتخلله اختلال، ولا يعتريه فساد، إلا أن يريد الله افناءه، وذلك هو الاجرام العلوية .

وضـرب يعتربـه الفساد في أجـزائه دون جملتـه، وذلك هـو الاركان الاربعة.

وضرب يعتريه الفساد في أجزائه وجملتـه دون نوعـه المعقول وهو النبات والحيوانات والانسان] [1].

وجميع هذه الموجودات لا ينفك من بيان آثار الله فيه، كما نبه

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من م.

تعالى عليه بقوله : « الله نـور السموات والأرض »[1] أي منـورها، وجعل اللفظ مصدراً للمبالغة، كقولهم : عدل ورضى، في عادل وراضي، ولوجود آثاره الدالة على وحدانيته في كل شيء، قال الله تعالى «شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة واولو العلم »[2] فشهادة الله بوحدانيته ليست بالعبـادة فقط بل بـاظهار العبـرة المرتبـة على العبادة :

فـفـي كـل شـيء لـه عـبـرة   تـدل عـلى أنـه واحـد[3]

ومعلوم انـه ليس الخبر كـالمعاينـة[4]؛ وكـذا شهـادة المـلائكـة المدبرات والمقسمات بما يظهرون من أفعالهم الدالة على ذلك وشهادة المؤمنين هي باطلاعهم على تلك الحقائق، فانهم شاهدوا آثار الله وآياته في ملكوت السموات والأرض فشهدوا أي أخبروا اخباراً عن مشاهدة مورثة للعلم وهي الشهادة المحمودة كما قال تعالى « الا من شهد بالحق وهم يعلمون » [5]، ومتى وقف على حكمة الله تعـالى في خلقـه السموات والأرض وخلق نفسـه واطلع عليها، صـار في حكم من شاهد الله تعالى وهو يخلق السمـوات والأرض ولم يكن كالكفرة الذين نكلهم الله عن هذه المعرفة، فقال تعالى فيهم : « ما أشهدتم خلق السموات والأرض ولا خلق انفسهم ومـا كنت متخذ المضلين عضداً » [6].

---

(1) النور 35/24 .

(2) آل عمران 18/3

(3) القائل ابو العتاهية : ابو العتاهية أشعـاره وأخباره ص 104 .

(4) المستقصي 302/2 ، بلفظ « ليس كالعيان » .

(5) الزخرف 86/43 .

(6) الكهف 51/18 .

المقدمة الرابعة :

كما ان افعال الملوك في الدنيا ضربان : ضرب أفعال يتولونها بأنفسهم، وأفعال دون ذلك يتولونها بخلفائهم وعبيدهم وأفعال الله على هذين الوجهين .

وأفعال الله تعالى على الجملة خمسة اضرب :

الأول : أفعال تولاها هو تعالى بلا واسطة ولا في زمان ولا في مكان ولا بآلة ولا في مادة بل أوجده دفعة، ويسمى هذا النوع من الفعل انشاء وابداعاً واختراعاً .

الثاني : أفعال تولاها بالملائكة والمدبرات والمقسمات وهم ثلاثة أضرب :

ضرب : خصوا بالامور العلوية كحملة العرش االمذكورين في قوله تعالى : « الذين يحملون العرش ومن حوله » [1] .

وضرب : خصوا بالامور الهوائية كالمثيرات للرياح والمزجيات للسحاب والجالبات للامطار، كالموصوفين بقوله تعالى « والمرسلات عرفاً »[2] الآية « والنازعات غرقاً »[3] الآية .

وضرب : خصوا بالامور السفلية كالرقيب والعتيد وكمن نبه بقوله تعالى « يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة [4]» وقال

---

(1) المؤمن 7/40 .

(2) المرسلات 1/77 .

(3) النازعات 1/79 .

(4) آل عمران 125/3 .

عليه السلام في صفة الجنين « ثم يبعث الله ملكاً فينفخ فيه الروح » [1].

الثالث : أفعال تولاها تعالى بواسطة الجمادات المسخرة لفعل كما أشار تعالى بقوله « وسخر لكم الشمس والقمر » [2]، وبقوله تعالى « وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته » [3] الآية ، فنبه الله تعالى انه استخلف في افلال السحاب .

الرابع : افعال تولاها بالحيوانات كالعسل الذي يوجده بوساطة النحل .

الخامس : افعال استخلف فيها الانسان .

وكل فعل حصل من الملائكة او من الجمادات المسخرة، فانه ينسب الى ما يظهر من جهته، وقد ينسب الى الله تعالى اذا لم يكن في ذلك الهام، ولم يكن من الافعال التي لا تصح من الله تعالى كالاكل والشرب، ويدل على انه ينسب الى الله تعالى، والى ذلك الشيء قوله تعالى في التوفي « الله يتوفى الانفس حين موتها » [4] وقال تعالى « قل يتوفيكم ملك الموت » [5] .

ونسبة هذه الافعال الى الله تعالى اولى من نسبتها الى الوسائط ولهذا قال الله تعالى : « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » [6]

---

(1) مضى تخريجه.

(2) ابراهيم 33/14 .

(3) الاعراف 57/7 .

(4) الزمر 42/39 .

(5) السجدة 11/32 .

(6) الانفال 17/5 .

فنفى الرمي عن النبي صلى الله عليه وسلم وأثبته له تعالى، وقال فيمن اعتراه شك فيما يظهر من جهة العبادة وهو فعله تعالى « أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون »[1] وقال « أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » [2]. فحق الانسان اذا تحرى معرفة الله تعالى ان يميز هذه الافعال فيحلها ويرتقي بها حتى ينتهي الى معرفة موجود هو سبب كل موجود، وفاعل كل مفعول، فيعلم انه موجود وفاعل غير موجود ولا مفعول، كما نبه عليه تعالى بقوله « خلقكم وما تعلمون » [3]. وذلك هو الله تعالى كما دل عليه قوله تعالى « ذلكم الله ربكم » [4].

المقدمة الخامسة :

الموجودات يترتب بعضها على بعض في الوجود، اما ترتيباً معقولاً، وأما ترتيبا محسوساً وذلك ان وجود العناصر قبل وجود الغزل ووجود الغزل قبل وجود الثوب، والثوب قبل القميص وكذلك وجود النقط قبل وجود الخط، والخط قبل السطح والسطح قبل الجسم والجسم قبل قوة النمو، وقوة النمو قبل الحياة، والحياة قبل العلم، وكل واحد من ذلك سبب في وجود ما بعده في الاول الذي لا يتوهم قبله شيء، هو سبب وجود ما بعده كله، ومثال ذلك: ان الواحد قبل الاثنين والاثنين قبل الثلاثة، فالواحد هو سبب وجود

---

(1) الواقعة 58/56 , 59 .

(2) الواقعة 63/56 , 64 .

(3) الصافات 96/37 .

(4) الانعام 102/6 .

الاعداد ونشئها واليه ينحل كل عدد، ولو توهم مستغن عنها، فأثر الواحد موجود في الاعداد كلها، فان كل عدد يصبح وصفه بالواحد نحو ان يقال : العشرة واحدة والمائة واحدة، والالف واحد، ولا يصح وصف الواحد بشيء من الاعداد فكل عدد يصح ان يعد بالواحد، والواحد لا يمكن ان يعد بشيء ، وكل عدد اذا ضرب في مثله، فاما ان يزيد او ينقص الا الواحد، فان الواحد في الواحد لا يخرج عن ذاته، وكذا الموجودات كلها مفتقرة الى الله تعالى وهو مستغنٍ عنها، ثم أثره موجود في كل شيء وهو ليس بشيء منها واليه ينتهي كل موجود ولو توهم ارتفاعه لارتفعت الموجودات ولو توهم ارتفاع الموجودات كلها لم يرتفع هو كما قال الله تعالى « هو الاول والاخر » (1)، لكن العدد الواحد في العدد يصح فيه التركيب والواحد الحق لا يصح ذلك فيه .

فصلٌ

بيان معرفة الله تعالى المكتسبة

الذي يجب ان نبين في هذا الفصل ان العالم بأسره موجود محدث، وان الموجودات والمحدثات لا بد أن تنتهي الى موجد ومحدث، وان ذلك الموجود والمحدث يجب ان يكون واحداً ازلياً واجب الوجود لذاته، وان يكون قادراً لا يعجز، وعالماً لا يجهل وحكيماً لا يخطيء، وهو سبب كل قادر وعالم وحكيم وجواد، فذلك هو الله تعالى له الملك وله الحكم .

---

(1) الحديد 3/57 .

والدلالة على كون العالم مخلوقاً أشياء منها ما نبه عليه بقوله تعالى « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون »[1]، وعنى بالزوجين ها هنا الجوهر والصورة المركبتين لا الزوجين الذكر والأنثى فقط ، وبيان ذلك ان كل ما ندركه من العالم لا ينفعك من جوهر وصورة يتلازمان ولا ينفك احدهما من الآخر، حتى انه متى بطل احدهما بطل الآخر كالكوزين المتعلقين من وتد بخيط واحد متى سقط احدهما سقط الآخر، وذلك انه لا يصح وجود الجوهر من دون الصورة ولا تقوم الصورة من دون الجوهر، كاللهيب الذي يحصل ذاته من شعلة ودخان فالدخان مفتقر الى الشعلة ليوجد والشعلة مفتقرة الى الدخان لتقوم ومجموع المعنيين هما حصول ذات اللهب، وكذلك الحال[2] في كافة الموجودات، فالجسم جوهر طويل عريض عميق، ولولا الجوهر لم يوجد طوله وعرضه وعمقه، وعلى هذا المعنى ذكر بقوله « ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده »[3] تنبيها ان كل ذلك مركب من جوهر وصورة [يمسك نظامهما][4]. ولولا أن الله تعالى يمسكهما لما كان لهما ثبات، وقد ذكر الله تعالى في موضع « زوجين » باعتبار الجوهر والصورة وقال في موضع « كم انبتنا فيها من كل زوج كريم »[5]، اشارة الى التركيب من غير بيان العدد،

---

(1) الذاريات 49/51 .

(2) في ج « الحكم » ، والمثبت من م .

(3) فاطر 41/35 .

(4) ما بين المعقوفين ساقط من ج والمثبت من م .

(5) الشعراء 7/26 .

ولم يرد اثبات النبت فقط، بل ذلك اشارة الى المكونات، واستعمال اللفظ الانبات فيه كقوله تعالى « والله انبتكم من الارض نباتاً »[1]. وقال في موضع وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى »[2] اشارة الى التراكيب المختلفة والاعراض المجتمعة مع الجوهر والصورة في الذات الواحد كاللون والرائحة والطعم وغير ذلك المجتمعة في ذات واحدة|والدلالة على انه لا بد للعالم ـ لما كان موجوداً ـ من موجد ومحدث، هو ان الموجد والموجد من باب المضايفة التي يحصل احدهما بحصول الاخر، فان المحدث وان تقدم بالذات عن المحدث من حيث الاحداث يتلازمان، والدلالة على ان موجده يجب ان لا يكون موجداً وان لا يشبهه ما قد نبه الله تعالى بقوله « ام خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون، ام خلقوا السموات والارض »[3]وبيان ذلك ان المحدث لا يخلوا من ثلاثة اوجه : اما ان يكون محدثاً بلا محدث وذلك محال كما تقدم، واما انهم أحدثوا انفسهم وذلك باطل لانه لو احدث نفسه لكان احداثه اما في حال العدم، ومحال ان يكون المعدوم فاعلاً لشيء، واما ان يكون احداثه لها في حالة الوجود، والشيء اذا وجد فقد استغنى عن موجد له، وذلك قوله « أم هم الخالقون »، فلم يبق الا الوجه الثالث، وهو : ان خالقهم غيرهم من حيث انه كالمطوق به، اذا القسمة لا تخرج عن هذه الثلاثة، وبابطال الاثنين ثبوت الثالث، ودل قوله تعالى : « أم هم

---

(1) نوح 17/71 .

(2) طه 53/20 .

(3) الطور 35/52 ، 36 .

الخالقون » على معنى آخر وهو أن موجدهم يجب أن لا يكون مثلهم في كونه موجداً، وبيان ذلك : أن كل موجد أما أن يكون غير موجود كالجمادات، او موجد كالإنسان او موجداً غير موجد وهو الباري تعالى وموجد الكل ومحدثه يجب ان يكون هو الموجد الذي ليس بموجد، وذلك لان الفاعلين والموجدين لا بد ان يقف على واحد لا يتجاوزه ، لانه لو لم يقف كان اما ذاهباً الى غير نهاية او دائراً وكلا القولين ظاهر البطلان، فان الاول يوجب وجود فاعلين لا نهاية لهم وذلك محال ، والثاني : يوجب أن يكون كل مفعول فاعل فاعله بل فاعل نفسه ، فانه اذا كان زيد مثلا فاعلا لعمرو، وعمرو فاعلا لخالد، وخالد فاعلا لزيد الذي هو فاعل لعمرو، فيكون الفاعل مفعولا لمفعوله وفاعلا لنفسه، وذلك محال فثبت بهذه الجملة ان العالم محدث وان محدثه غيره وان ذلك الغير الذي هو محدثه ليس بمحدث، ثم قال « أم خلقوا السموات والارض »[1] تنبيها ان السماء والارض من الاسباب التي بوساطتها خلق الله تعالى الإنسان، فانه اذا خلق الانسان من سلالة من طين، وجعل الماء والهواء والحرارة التي تحصل من الاركان العلوية من أسباب نشأته وتركيبه، فإذاً محال ان يكون ذلك من خلق الانسان من الوجه الذي ذكر آنفاً .

ومما يدل على حدوث العالم ما نبه الله تعالى بقوله : « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي

---

(1) الطور 36/52 .

تجري في البحر بما ينفع الناس »[1] الآية، ونحو ذلك من الآيات فانه ذكر انواع الموجودات وبيان ذلك ان جميع الموجودات في العالم من انواع التغيرات والتغيرات كلها ستة : الكون، والفساد، والربو، والاضمحلال، والاستحالة، والتنقل.

فالكون : خروج الجوهر من النقص الى الكمال كالنطفة اذا صارت حيوانا.

والفساد : خروج الجوهر من الكمال الى النقص كالنقطة اذا فرزت[2] والحيوان إذا مات .

والربو : الزيادة في جوانب الشيء كالانسان اذا سمن والصبي اذا كبر.

والاضمحلال : النقصان في جوانب الشيء كالانسان اذا هزل والشيء اذا يبس.

والاستحالة : تغيير يعرض في كيفية الشيء كالابيض اذا اسود والاسود اذا ابيض والبارد اذا سخن والسخن اذا برد.

والتنقل : تبدل المكان بالشيء اما بكليته كانتقال الانسان من بلد الى بلد، واما بأجزائه دون كله كالرحى الدائرة، ولا موجود ينفك من بعض ذلك .

---

(1) البقرة 164/2 .

(2) فروزت أي ماتت، اللسان مادة « فرز » .

فالموجودات ثلاثة اضرب :

ضرب : لا يثبت على حالة طرفة عين كالليل والنهار.

وضرب : يعتريه اكثر تغييرات كالنبات فانه يعتريه الكون والفساد والربو والاضمحلال والاستحالة ولكن لا ينتقل بذاته.

[وضرب تعتريه الانواع الستة ، وهو الحيوان][1] .

وضرب : يبقى بحالته لا يعتريه شيء من الفساد الى ان يريد الله تعالى افناء العالم، لكنه ابدا بالتنقل، وهي الاجرام العلوية، فكل ذلك تغييرات حادثة تعتري وتتسلط عليه وكلما تسلطت عليه التغيرات فمسخر وضعيف، ومحال أن يكون الضعيف المسخر أزلياً.

وقال بعض الحكماء : الموجودات كلها وان صح الاستدلال بها على وحدانية الله تعالى فلا شيء ادل عليه وابعد من الظن والشبهة من الاجرام العلوية وان كان الاستدلال بها اصعب واغمض وذلك ان الاجرام العلوية اشبه الاشياء بانها ابدية غير محدثة لكونها متعدية من الكون والفساد والربو والاضمحلال والاستحالة المغيرة للانسان والحيوان والنبات، فيتوهم من لم يعرف كونها مسخرة تسخير الرحى الطاحنة لا بذاتها ويراها انها ابدية، ممن تأكلها وعرف كونها مسخرة، ومحدثة هان عليه معرفة حدوث ما دونها، ولذلك فزع ابراهيم ـ عليه السلام ـ الى بيان حدوثها لما اعتقد قومه انها آلهة حتى ذكر الله تعالى نعمته عليه فيما هداه اليه فقال

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ج والمثبت من م

« وكـذلك نـرى ابـراهيم ملكـوت السمـوات والارض وليكـون من الموقنين »[1]، فانه لما علم قومه بالفطرة ان لهم ربا واعتقدوا انـه احـد الاجرام العلويـة اراد ابراهيم ان ينبههم على خـطأهم فأخـذ يتعـرف من هو؟ فـابتدأ بـأصغر الثـلاثة من الاجـرام العلوية وهـو الكوكب، فقال « هذا ربي »[2]، فلما رأى القمر اكبر وتأثيره أكثـر عدل اليه فقال « هذا ربي »[3]، « فلما رأى الشمس بازغة »[4] وهي أقوى أثراً بل رآها كالرئيس لهما والمعطي فمـا قيل نـورهما عـدل إليها، فلمارأى اثـر الصنعة في جميعهـا بالتنقـل وغيره من امـارات الحدث، علم انها محدثة مصنوعة وان لا بد لها من محدث وصانع لا يكون محدثاً ومصنوعاً، وذلك ان الموجودات ثلاثة :

- متحرك وغير متحرك كالجمادات .
- ومتحرك ومحرك كالانسان .
- ومحرك وغير متحرك وهو الباري جل جلاله .

وكل متحرك يحتاج الى محرك، فلما رأى هذه الاجرام متحركة نبأهم على كونها محدثة، ولما لم يكن فوق حركتها حركـة وكانت سببها في تحريك الاشياء التي دونها علم ان محركها لا يصح الا ان يكون محركاً غير متحرك، لانه لو كان متحـركاً لاحتـاج الى محرك اقوى منه، ولا يوجد متحرك اقوى من الفلك الاعلى، فاذا يجب ان يكون محركه الذي فوقه غير متحرك، هـذا اقوى دلالـة على وجود

---

(1) الانعام 75/6 .

(2) الانعام 76/6 .

(3) الانعام 77/6

(4) الانعام 78/6 .

الباري عز اسمه، وفي الوصول المتحقق به وصول الى ملكوت السموات والارض المورث لليقين، كما وصف الله تعالى به ابراهيم ـ عليه السلام ـ حيث قال : « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من المؤقنين »[1] فان قيل : ولم قلتم انه يصح ان يوجد شيء محرك غير متحرك مع انكم لم تجدوا ذلك في الشاهد ؟

قيل : ان وجود شيء متحرك غير محرك دليل على وجود شيء محرك غير متحرك، لان كل ما احد طرفيه ووسطه موجودان فطرفه الاخر موجود لا محالة، وهذا هو الذي اقتضى ان يوجد فاعل غير مفعول، كما وجد مفعول وغير فاعل ومفعول هو فاعل، ثم ان الحكماء طلبوا للمحرك غير متحرك مقالا محسوسا يقرب به تصور ذلك، فقالوا اشبه الفاعلين بذلك هو المعشوق الذي يحرك عاشقه وهو لا يتحرك بتحركه، والطعام المشتهى الذي يحرك مشتهيه وهو لا يتحرك بتحركه، ومعرفة العالم بانه محدث محكم على حسب ما ذكرنا، يقتضي ان يكون له محدث قادر حكيم، فان المحدث المحكم يقتضي محدثاً قادراً حكيماً عالماً، ويقتضي ذلك أيضاً أن لا يكون جسماً، فالجسم مركب من جوهر وعرض وهو الطول والعرض والعمق، وذلك يقتضي فاعلاً، والمقتضي لان يكون له فاعلاً هو ليس بالفاعل الاول، والله تعالى هو الفاعل الذي لا يتقدمه فاعل فلا يصح ان يكون جسماً .

(1) الانعام 75/6 .

الكلام في وجود الباري تعالى وكونه واجب الوجود

ويقال : على ضربين :

احدهما ان يقابل به العدم من غير ان يعبر فيه معنى الفعل كقولهم الانسان موجود.

الثاني : ان يعبر فيه الفعل ، ويقال ذلك على وجهين :

أحدهما وجود بالحس، والثاني وجود بالعقل .

واذا قيل في الله تعالى موجود فقد يراد به المقابل للعدم وقد يراد به الوجود بالعقل.

والدلالة على انه تعالى موجود واجب الوجود : انه كلما فرضته او توهمته موجوداً الا يخلو من ثلاثة اوجه : اما واجب الوجود او ممتنع الوجود، او ممكن الوجود.

فالواجب الوجود هو الذي اذا فرض غير موجود لزم منه محال، كحصول اربعة من وجود اثنين واثنين.

والممتنع الموجود هو الذي اذا فرض موجوداً لزم منه محال كحصول اربعة من وجود اثنين وثلاثة.

والممكن الوجود هو الذي اذا فرض موجوداً او غير موجود لم يلزم منه محال كمجيء المطر في الشتاء .

والواجب الوجود ضربان :

واجب الوجود لا لذاته بل لأمر آخر كوجود اربعة الذي يجب عن حصول اثنين وإثنين .

وواجب الوجود لذاته لا لشيء آخر وهو الباري تعالى، والواجب الوجود هو الذي اذا فرض غير موجود حصل منه محال، ولا محتاج في وجوده الى شيء يوجده، ويكون أزلياً وذلك هو الله تعالى.

والواجب الوجود لذاته لا يصح الا ان يكون واحداً، وذلك، أنّا متى فرضنا ثابتاً واجب الوجود لذاته جاء منه محال، فإن هذا الثاني لا بد ان صار ثانياً بشيء، فهو الأول، واذا لم يكن هناك شيء حصل به الاثنوية، فوجوده][1] إذاً بذاته، وبذلك الشيء فهو مفتقر في الوجود الى ذلك الشيء، والواجب الوجود هو الذي لا يفتقر في وجوده الى شيء غير ذاته فثبت انه لا يصح ان يكون واجب الوجود لذاته الا واحداً، ذلك هو الله تعالى.

الدلالة على ان الله تعالى لا تركيب فيه بوجه، لا محسوساً ولا معقولاً، انه لو كان مركبا من شيء لكانت المفردات التي منها مركب متقدمة عليه، وقد تقدم ان المركب لا بد ان ينتهي الى مركب وغير مركب وذلك هو الازلي وهو الله تعالى فاذا لا يصح ان يكون مركباً.

الدلالة على انه تعالى واحد ليس معه آخر.

انه لو كان معه آخر لكان ذلك الآخر اما أن يكون مخالفاً له بالذات، فالمخالف بالذات للاله لا يكون الها، كما ان المخالف بالذات للانسان لا يكون انساناً، والمخالف له بالذات للسواد لا يكون سواداً وان كان مشاكلاً له بالذات فالمشاكل لاخر بالذات متى

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من م، والمثبت من ج.

نميز عنه وانفصل بتميزه اياه اما بالحد والحقيقة فحينئذ لا يكونان شكلين، واما بالمكان فيصير كل منهما محدوداً ، او بالزمان فيصير كل واحد منهما متناهياً ، والمحتاج الى المكان والزمان، وفي الجملة الى شيء خارج من ذاته وهو خارج عن الالهية ومحال حصول الاثنوية والانفصال بوجه .

فصل

جعل الله تعالى كل موجود في العالم من وجه مزدوجاً لينبه بازدواجه وأثار الصنعة فيه على صانعه وخالقه، وجعله من وجه واحد ليدل بأثر الوحدة الموجودة فيه على وحدانيته تعالى فلا موجود بوجه إلا ويصح وصفه بالواحد حتى الاعداد المختلفة نحو ان يقال عشرة واحدة ومئة واحدة وألف واحد ، وقد نبه الله تعالى على نفي الاثنوية في مواضيع ، منها ما نبه على أقوى برهان فقال « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » [1]، والمراد بالدلالة هو الموجد الذي لا يتقدمه موجود، وهو قبل كل موجود وينتهي اليه، فيقول لو كان في تدبير السموات والارض مدبرون لم ينتهوا الى واحد عنه يصدر الامر لوجود الاختلاف في السموات والارض، وقد ثبت ان لا اختلاف فإذاً لا مدبر عنه يصدر الأمر الا واحد وهو الله تعالى .

فان قيل : ما ينكر ان يكون المدبر اثنين يتناوبان او يتقاربان

---

(1) الانبياء 22/21 .

كالبنائين يتواطآن على بناء من غير تعويج وخلل قيل : ان البنائين على الوجه الذي ذكرت لا بد أن يصدرا عن رأي واحد شخصاً كان ذلك الواحد أو أمراً أو رأياً، حتى يسبب وينظم الامر فاذا السبب الناظم له هو السبب له وهو السبب الاول، لا البانيان، كالخليفة والخادم للناظم، وذلك الناظم هو المبدأ، وقال الله تعالى في موضع : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا »[1] أي لو كان معه مثله لشاركه في وصفه واختصاصه بالعرش اختصاصاً، وذاك يؤدي الى انتفاء الالهية عنهما، وقال في موضع ما دل على معنى اقتضاه الاتيان، فقال الله تعالى « مااتخذالله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض »[2] لو كان معه مدبراً آخر لكان يجيء من ذلك احد الاخرين، اما ان يستبد كل واحد بفعله فتتفاوت افعالهما، وقد ثبت ان لا تفاوت كما نبه عليه بقوله تعالى « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت »[3] أو يدخل أحدهما تحت الاخر، والداخل تحت أمر آخر لا يكون إلهاً، وهذا معنى قوله تعالى « ولعلا بعضهم على بعض » .

بيان نفي المماثلة بين الله تعالى وبين غيره

يجب ان نبين في هذا الباب معنى المماثلة والمشابهة بين الشيئين، ثم نبين نفي المماثلة بين الله تعالى وبين غيره.

---

(1) الاسراء 42/17

(2) المؤمنون 91/23 .

(3) الملك 3/67 .

اعلم : ان المماثلة : اشتراك شيئين في معنى ما ذاتياً فيهما أو عرضياً أو ذاتياً في أحدهما وعرضياً في الآخر، وكل مماثلة لا تنفك من ثلاثة اوجه :

أما أن يكون من حيث الجنس فيقال له الند .
وأما من حيث الكمية [فيقال له المساواة .
وأما من حيث الكيفية][1] فيقال له الشبه .

ولهذا متى سئل وقيل : ما هذا فيقال : ند كذا، وقيل : كم هذا ؟ فيقال : هو مساو لكذا وقيل : كيف هذا ؟ فيقال : شبه كذا، كان الجواب صحيحاً، فكل هذه الثلاثة من الند والمساواة والشبه يستعمل فيه المثل، فالمثل عام في جميع ذلك .

واذ قد عرفت معنى هذه الالفاظ رجعنا الى المقصود من هذا الباب وقلنا : ما من موجودين في العالم الا والتركيب المختلف الذي فيهما، يصح ان يقال : هو مثل الآخر ويصح ان يقال ليس مثله فيصدق القولان من وجه، ويكذبان من وجه، نحو أن يقال : البهيمة مثل الانسان، فانه متى اريد به ان مثله بالحياة أو بالحس فهو صدق، ومتى اريد به انه مثله بالعقل او النطق فهو كذب، وكذا اذا قيل : البهيمة ليست مثل الانسان متى اريد به في العقل والنطق فصدق، ومتى اريد به في الحياة او الحس، فكذب ويصح في كل ما أثبت له المماثلة أو نفيت عنه ان يستثنى منه، فيقال هذا مثل ذاك الا في كذا، وليس مثله الا في كذا، ويكون ذلك صحيحاً.

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من م، والمثبت من ج.

والباري سبحانه وتعالى لما لم يكن فيه تركيب بوجه من الوجوه ولا يشاركه شيء بسبب من الاسباب، صار اذا قيل: « ليس كمثله شيء »[1]، كان هذا القول صدقاً منه من كل وجه حتى لا يصح ان يتسثني منه فيقال الا في كذا [واذا قيل فيه تعالى : « هو مثل كذا، كان هذا القول كذباً من كل وجه][2]وذلك انه تعالى لاجنس له ولا كيفية ولا مشاركة بينه وبين شيء في معنى من المعاني يرجع الى ذاته، فاذا لا مثل له كما قال تعالى « ليس كمثله شيء » .

شرف معرفة الله المكتسبة

من بين المعارف وما يجب ان تجري في تحصيلها العلوم، وان كانت كلها شريفة فأشرفها ما كان اشرف معلوما، وذلك معرفة الله تعالى ومعرفة كيفية الاقتداء به ولذلك قال بعض الحكماء « علمت ما علمت فلا تحسبن انك عالم ما لم تعرف الله تعالى » واشرفها واطيبها لا ينزل الا على طاهر النفس كما قال تعالى « والطيبات للطيبين »[3]، وكذلك قال تعالى على سبيل المثل في الحث على تطهير القلب : « وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود »[4]، وقال الله تعالى في الحث على تطهير البدن والنفس « وثيابك فطهر »[5] فحق الانسان ان يطهر قلبه ويزكيه اذا اراد

---

(1) الشورى 11/42 .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج والمثبت من م .

(3) النور 26/24 .

(4) الحج 26/22 .

(5) المدثر 4/74 .

تحصيل معرفة الله تعالى ، فالقلب والنفس في ادراك الامور الالهية بمنزلة مرآة متى جليت عن الهواء واميط عنها الشبوات* البهيمية والرذائل الدنية والاماني الردية تبين بها الحق من الباطل في الإعتقادات والجميل من القبيح في الفعالات والصدق من الكذب في المقالات، ومتى علاها طبع لم ير شيئاً علم الحقيقة فحق الانسان ان يزكي نفسه فيزيل رجسها كما قال الله تعالى « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » (1)، وأما كيفية تزكية النفس فقد بينتها في كتاب « الذريعة الى مكارم الشريعة » لكن لا بد ها هنا من ذكر الطرق المتوصل بها الى المعارف، والنص من جملتها على الطريق المتوصل الى معرفة الله تعالى ليحسن ان يسلك طالب المنهج ولئلا يضل عن الطريق.

الطريق المتوصل بها الى المعارف

المعارف ضربان : [ضرب يحصل للانسان بلا مزاولة لتحصيله والاحتيال لاكتسابه واصطياده، وذلك خمسة انواع :

الأول : الهام من الله تعالى يحصل مع الولادة ، وذلك كاهتداء الطفل لارتضاع الدر](2) الى آخر النوع الخامس من الضرب الثاني فقد كتبت فيما تقدم .

---

(1) الاحزاب 33/33 .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من م، والمثبت من ش.

(*) الشبوات : شباة كل شيء حدُّ طرفه، وقيل : حدُّه، وحدُّ كل شيء : شباتُه . اللسان مادة « شبا » .

بيان معرفة ذاته من هو ؟

قد ذهب الناس في ذلك كل مـذهب ، فمنهم من قال : هـو جسم محسوس في صورة انسان ، أما شيخ أشيب وإما شاب أمرد[1] [ومنهم من قـال : هـو جسم مخـالف لجميـع الاجسـام التي عندنا][2]. ومنهم من قال : هو العالم الكبير .

ومنهم من قال : بعض اجزاء العالم على اختلاف بينهم، اما الشمس [واما الفلك الأعلى][3] واما النار واما الهواء .

ومنهم من قال : انه الطبيعة .

ومنهم من قال : هو النفس الكلية .

[ومنهم من قال : هو العقل الفعال] [4]، والى غير ذلك من المذاهب المنكرة .

ومذهب اهل الحق : انه موجد كل شيء وسبب كـل موجـود وفاعل الفاعلين واحسن الخالقين وهو الذي فوق الكل وليس فـوقه شيء وبوجوده وجود الاشياء، وببقائه بقاؤها، ولا يمكن توهم وجود شيء مع توهم ارتفاعه سبحانه والدلالة على صحة ذلك ما نبه الله عز وجل عليه بقوله : [« ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل

---

(1) الملل والنحل 105/1 عن المشبهة .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج والمثبت من ش .

(3) ما بين المعقوفين ساقط من ش والمثبت من ج .

(4) ما بين المعقوفين ساقط من ج والمثبت من ش .

دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون »[1]][2]وقوله : « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب »[3]وبقوله : « قل من رب السموات والارض »[4]، وغير ذلك من الآيات التي نبه بها، وبيان ذلك : هو إنه موجود في عقل كل ذي عقل ، ان الشيء الذي لم يعرف لمصادمة الحس إياه ولم يكن في بداية العقول ، فالطريق إلى معرفته ظهور آثاره كعقل الانسان فإنه يظهر العلم بوجوده لنا بما يصدر عنه من أفعاله والباري تعالى لما لم تكن معرفة ذاته كعقل الانسان فانه يظهر العلم بوجوده لنا بما يصدر عنه من افعاله من بديهة العقل ولا مدركاً بمصادمة الحس لم يكن السبيل اليها الا بظهور آثاره، ومعلوم ايضاً عند كل ذي عقل ان اثر الشيء ومسببه وإن كان متأخراً عن المؤثر والمسبب، فقد يكون أقرب [الى معرفتنا من المؤثر والمسبب كالدخان والنار فان سطوح الدخان وان كان من أسباب معرفة][5] النار والنار في ذاتها متقدمة عليه فانه قد يعرف الدخان قبلها فيستدل به على النار، فثبت بهذا ان الفاعل وان كان سابقاً على المفعول بالذات وهو سبب وجود المفعول، فان المعرفة بالمفعول قد يكون أقرب الى عقولنا من المعرفة بالفاعل، فاذا متى علم كون الموجودات مصنوعة وقد تقرر في العقل ان المصنوع لا

---

(1) البقرة 164/2 .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ش، والمثبت من ج .

(3) آل عمران 190/3 .

(4) الرعد 16/13 .

(5) ساقطة من ج والمثبت من ش .

يكون الا هي صانع فانه يثبت المعرفة بالصانع على طريق الجملة، فالدلالة على كون العالم وما فيه مصنوعاً على ما نبه عليه بالآيات المذكورة في ان جميع ما في العالم ينقسم الى ثلاثة اقسام :

- أما موجود العين قائم بالذات معرض للانتقال وتبدل المكان كالافلاك والنجوم.

- واما قابل للاستحالة والتغيير [والزيادة] [1] والنقص والاجتماع والافتراق كالجواهر النامية والحيوانات المحسوسة.

وأما ما لابقاء ذاته بل ينصرم ابداً كالليل والنهار المتعاقبين، وكالحركة والسكون المترادفين، وثلاثتها متسلط عليها التغيير [2]، فان المنتقل من مكان الى مكان على الدوام لاثبات له ولاقرار، وذلك نوع من الاستحالة، والاستحالة : صفة حادثة في المستحيل، وما كان استحالته دائماً فانه لم يخلو [3] قط منها، وما قارب [4] الحوادث فمسخر، وكل مسخر ضعيف والضعيف محال كونه ازلياً، لان الازلي هو الواجب الوجود لا يفتقر الى شيء، واذ قد ثبت انه محدث وموجد ومكون فلا بد له من موجد ومحدث، ومكون، وقد نبه الله تعالى على محدثه، وموجده بأوجز لفظ وابلغه فقال : « أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون، أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون » [5].

وبيان ذلك : ان المحدث لا يخلو من ثلاثة اوجه :

---

(1) ساقط من ج والمثبت من ش.

(2) في ج التغاير، والمثبت من ش.

(3) في شن ينحل.

(4) في ش قارن.

(5) الطور 35/52، 36.

أما أن يكون محدثاً بلا محدث ، وذلك محال فان[1] المحدث والمحدث من المتضايفين الذين لا ينفك حصول أحدهما عن الآخر ولا المعرفة به عن المعرفة بالاخر، وذلك قوله : « أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون » ام من غير محدث . واما انهم احدثوا انفسهم وذلك باطل ، لانه لو أحدث نفسه لكان احداثه له في حالة العدم، ومحال ان يكون المعدوم فاعلا لشيء أو يكون احداثه لها في حالة الوجود، والشيء اذا وجد فقد استغنى عن موجد له، وبذلك قوله : « ام هم الخالقون » فلم يبق الا الوجه الثالث وهو : ان خالقهم غيرهم ولما ابطل تعالى الوجهين سكت عن ذكر الثالث الذي هو الحق من حيث انه كالمنطوق به، واذ القسمة لا تخرج عن هذه الثلاثة، وبابطال الاثنين ثبوت الثالث ونبه بقوله : « أم هم الخالقون » ان موجدهم يجب ان لا يكون مثلهم في كونه موجدا، وبيان ذلك ان[2] كل موجود اما ان يكون موجدا بموجد كالانسان او موجدا غير موجد وهو الباري تعالى، وموجد الكل ومحدثه يجب ان يكون هو الموجد الذي ليس بموجد، وذلك ان الموجدين والفاعلين لا بد ان يقف على واحد لا يتجاوزه، لانه ان لم يقف لكان، اما ذاهبا الى غير نهاية واما دائراً، وكلا القولين[3] ظاهر البطلان، فان الاول يوجب وجود فاعلين لا نهاية لهم وذلك محال، والثاني يوجب ان يكون كل مفعول فاعل فاعله بل فاعل نفسه، فانه اذا كان زيد مثلا فاعلا لعمرو، وعمرو فاعل لخالد وخالد

---

(1) في ش لان.

(2) كلمة « أن » ساقطة من ج.

(3) ورد في الأصل « القول » والمثبت يناسب السياق.

فاعل لزيد الذي هو فاعل عمرو، ويكون الفاعل مفعولا لمفعوله وفاعلا لنفسه وهو محال، فثبت بهذه الجملة ان العالم محدث وان محدثه غيره، وان ذلك الغير الذي هو محدثه ليس بمحدث وذلك هو الباري، وعلى هذه الجملة نبه ابراهيم ـ عليه السلام ـ لأنه علم بالفطرة ان له ربا فأخذ يبينه، فلما رأى كوكبا قال هذا ربي فلما رأى القمر بازغا ورأى تأثيره أكثر واعم عدل اليه، فقال « هذا ربي » فلما رأى الشمس بازغة وهي أقوى أثراً عدل اليها، فلما رأى الاستحالة فيها استرد لها، فقال : « لا أحب الافلين »[1] فلما استرذلها كلها وتبين ان جميعها لا ينفك من أثر الصنعة علم حيئنذ انها محدثة مصنوعة وان لا بد لها من محدث وصانع لا يكون محدثا ومصنوعا، فتنبه بذلك معرفة الباري تعالى الذي هو سبب الموجودات صغيرها وكبيرها، وضيعها ورفيعها، وعلى نحو هذا التفكر نبهنا الله تعالى بكل ما ذكر من نحو قوله تعالى : « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض »[2] ونحوه من الآيات، ومما يدل على حدوث العالم ما نبه الله تعالى عليه بقوله : « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون »[3] وبيان ذلك أن الشيئين اذا تعلق قوام كل واحد منهما بقوام صاحبه، فاذا اختل احدهما اختل الاخر، كالكوزين[4] المتعلقين من وتد بخيط واحد متى سقط احدهما سقط الآخر، وقد أوجد الله تعالى كل ما في العالم مزدوجاً مركبا من مادة وصورة لا

---

(1) مقتطفات من سورة الانعام 76/6 , 77 , 78 .

(2) الاعراف 185/7 .

(3) الذاريات 49/51 .

(4) الكوز من الاواني، معروف، اللسان مادة « كوز » .

يصح وجود المادة من دون الصورة ولا تقوم الصورة من دون المادة كاللهيب الذي لا يحصل ذاته الا من الدخان الحاصل من الحطب والشعلة[1] فالدخان يفتقر الى الشعلة ليوجد والشعلة مفتقرة الى الدخان لتقوم ومجموع المعنيين هما حصول ذات اللهب، وكذلك الحال في كافة الموجودات فالجسم جوهر [طويل عريض عميق، فلولا الطول والعرض والعمق لم يوجد جوهر، ولولا][2] الجوهر لم يقم الطول والعرض والعمق له، فاذا ثبت ان موجودات العالم كلها ازواج ومركبات، فالمركب لا بد ان ينتهي الى مركب، والا ادى الى محال ، ثبت انه محدث وان لا بد له من محدث غير محدث .

القول في الوحدانية

قد تقدم ان الانسان لا ينفك من الشرك الا باثبات الوحدانية، فالشرك إذاً مقابل للتوحيد، وانواع الشرك تفتن الى ثلاثة اقسام :

الاول : ان[3] الازلي واحد والمعبود اكثر من واحد وهو قول عبدة الاصنام مع اختلافهم .

والثاني : ان المعبود واحد والازلي اكثر من واحد وهو قول الثنوية [4]، والمجوس[5] في اثباتهم أصلان، وقول طائفة يقولون

---

(1) في ش « الاشتعال » .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش.

(3) ساقطة من ج.

(4) الثنوية : أصحاب الاثنين الازليين يزعمون ان النور والظلمة قديمان ازليان، الملل والنحل . 233/1

(5) انظر الملل والنحل للشهرستاني 233/1 .

بقدم العنصر وقول قوم قالوا : بقدم خمسة، درس مذهبهم، فجدده ابن زكريا[1] ونصره .

والثالث : ان المعبود والأزلي اكثر من واحد، وهو قول منسوب الى النصارى.

وقد قيل ان ذلك في الحقيقة خلاف في التشبيه لا في الشرك، ويجب ان نذكر اولا معنى الوحدة، فانها من الالفاظ المشتركة ونبين ما الذي يراد بها في وصف الباري - عز وجل -، ثم نبين انه لا يصح له شريك ثم نعرج على اظهار فساد مقالات الفرق .

اعلم ان لفظ الواحد يستعمل على اربعة اوجه، كل واحد من تلك الوجوه وان كان فيه الوحدة من وجه ففيه الكثرة من وجه، ويستعمل في الباري تعالى على وجه لا كثرة فيه البتة.

فالاول من الاوجه الاربعة الاشتراك في الجنس او في النوع كقولك الانسان والفرس واحد في الجنس وزيد وعمرو واحد في النوع.

والثاني : في المتصل من حيث الخلقة، كقولك شخص واحد من حيث الصناعة حرفة واحدة.

والثالث : لعدم النظير، اما في الخلقة كقولك : الشمس واحدة واما لدعوى الفضيلة كقولك : فلان واحد دهره، كما يقال هو نسيج وحده .

---

(1) ابن زكريا محمد ابو بكر الرازي، طبيب وفيلسوف، يرى أن « الله والنفس، الكلية والهيولي الاولى، والمكان والزمان، هي المبادىء القديمة الخمسة »، **طبقات الاطباء والحكماء** ص 77 .

الرابع : فيما يمتنع فيـه التجزيء، امـا لصغره كـالهباء، او لصلابته كالالماس، واما لأخذه في الـوهم كالنقـطة، والواحـد في العدد، والوحدة في ذلك كله عارض ولهذا يصح ان يوصف بالواحد من وجـه وبالكثيـر من وجه، فـالجنس كثير بـالأنواع والنـوع كثيـر بالأشخاص، والمتصل وجود الكثرة فيه ظاهر فـالشمس وان كانت واحدة بالشخص فجـرمه ذو مسـاحة، وكـذا من وصف بأنـه نسيج وحده، وكذا ما يمتنع فيه التجزيء لصغره، او لصلابته، والنقطة : مبدأ الخط والواحد من العدد فهو متكثر به والواحد المستعمل فيه ـ عز وجل ـ ليس معناه بشيء مما تقدم بل هو الذي لا يصـح وصفه في ذاته بالكثرة بوجه من الوجوه وسبب من الأسباب، وهو المعني بقوله تعـالى : ﴿ قل هـو الله احد ﴾[1] وبقـوله : ﴿ ومـا أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً ﴾[2] ، ﴿ وما من اله الا الله الواحد القهار ﴾[3] . وكل موجود لا ينفك من اقسام اربعة، اما ان يكون واحداً لا كثرة فيه بوجه، وهو الباري تعالى، واما ان يكون واحداً من وجه وكثيراً من وجه وهو كل ما كان واحداً من الموجودات في العالم، ومحال وجود شيء لا وحدة فيه ولا كثرة، وكذلك من المحال وجود شيء هو كثير من كـل وجه لا وحـدة فيه، والـذي يدل على ان البـاري سبحانـه وتعالى واحد بالذات لا شريك له ما نبه الله عز وجل بقوله : ﴿ لو كان فيهما آلهةٌ الا الله لفسدتا ﴾[4] ، وقوله : ﴿ ما اتخذ الله من ولد

---

(1) الاخلاص 1/112 .

(2) التوبة 31/9 ورد في ج « ليعبدوا الله » .

(3) سورة ص 65/38 .

(4) الأنبياء 22/21 .

وما كان معه من إله اذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون ﴾[1] فأخبر انه لو كان اثنين لانفصل كل واحد منهما عن الآخر وانحاز بذاته عنه ولوقعت افعالهما منقسمة، ولوجب ان يكون اما[2] متساويين في القوة واما متفاوتين ولو تفاوت قواهما لصار احدهما غالباً والآخر مغلوباً متميزاً عن افعال نده وكل واحد قادر على ما يحدثه شريكه لذهب كل اله بما خلق صاحبه فلم يحصل لهما فعل البتة، فأشار بقوله : « اذا لذهب كل اله بما خلق » الى تساويهما في القوة، وبقوله « ولعلا بعضهم على بعض » الى تفاوتهما فيها.

وايضاً فإن الاثنين لا بد ان يكون بينهما فصل ما وإلا فمحال تصور الاثنوية، فأما[3] قول من قال الازلي اكثر من واحد، وقالوا بقدم المادة، فإن الذي دعاهم الى ذلك هو انهم قالوا : لم نشاهد بحواسنا شيئاً يحدث إلا من شيء، وذلك انما يصح ادعاؤه ان لو احسوا جميع الموجودات، وقد علم ان ذلك لا يصح ادعاؤه كما لا يصح ادعاء[4] ان الانسان لا يوجد الا من رجل وامرأة اعتماداً على انا لم ندرك الا كذلك، فإن ذلك يلزم ان لا يثبت الا ما أحسه وان ينكر ما لم يحسه، ويقطع ان كل ما لم نجده هو غير موجود، ويلزمه اذا اخبر بأن في الدنيا حيواناً يقال له التمساح يحرك عند المضغ لحيه الأعلى او حيواناً يقال له النعامة يأكل النار ينكر وقطع ان ذلك

---

(1) المؤمنون 91/23.

(2) ساقطة من ش.

(3) ساقطة من ج.

(4) ساقطة من ش.

محال، وهذا فاسد، وانما ينبغي ان يتوقف في مثله حتى يشهد الدليل بوجوده، فأما يقطع ببطلانه فظاهر الفساد، وأيضاً فإن الأزلي يمتنع تغيره عما هو عليه وكل ما امتنع عليه التغير فلن يتكون منه شيء آخر أصلاً، ثم المادة التي يدعيها أزلياً ان كان عرضه فالعرض لاقوام له بذاته فكيف يصح ان يكون ازلياً، وان كان جوهراً فالجوهر هو القائم بنفسه القابل للمتضادات منزلة الجرمين اللذين يتعلق وجود كل واحد منهما بصاحبه ويمتنع ان يوجد دونه، وما كان كذلك ففيه تركيب معقول، وقد تقدم ان المركب لا بد له من مركب هو غيره، فإذا لا يصح ان يكون ازلياً.

وأما قول من جعل المعبود اكثر من واحد وهم عبدة الاصنام فأنواعهم كثيرة جداً، وقد قيل: الاصل في ذلك ان قوماً من الاوائل كانوا يعظمون الكواكب ويسمونها الالهة الصغار ويقولون انها هي الملائكة المقربون وهي الوسائط بين الله وبين عباده، وانهم متى عظموها صارت شفعاء لهم عند الله عز وجل، ولما كانت النجوم تستر احياناً عن أعينهم بكسوفاتها وغيوباتها في المغرب والغيوم اتخذوا اصناماً على صورها كالنائبة عنها عند خفائها فسموها آلهة ثواني، ثم اختلفوا من بعد فذهبوا كل مذهب على ما حكى في المقالات[1]، وحجتهم في ذلك ما اشار تعالى اليه في قوله اخبارا عنهم: ﴿وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى﴾[2]، وبيان ذلك هو انهم قالوا من عظم شأنه وسلطانه هابه حشمه ورعاياه وفزعوا اذا

---

(1) الملل والنحل 259/2.

(2) الزمر 3/39.

أحزبهم امر الى أوليائه في التوسل اليه، والله أعلى منزلة، قالوا فحق اذاً ان نطلب اعظم الخليقة شأنا وهو يصل به اليه، ومتى لم نجد هؤلاء العظماء اتخذنا صورها فنعظمها تقرباً الى الله تعالى بالوسائل، وقد اجيب عن ذلك بأن الرعية لا تتجاسر على مسألة السلطان الا بواسطة لتعظمه عليهم واحتجابه عنهم مخافة أن تزول هيبته اذا كثرت رؤيتهم له، وهذا أمر معدوم في الباري عز وجل.

قالوا : ولأنا لا يمكننا ان نعرف كيفية عبادته وان نعبده على الحقيقة، وهذا باطل لأن الله سبحانه وتعالى بلطفه وكرمه قد أزاح علتنا بما بينه لنا.

قالوا ويجب ان يكون[1] بيننا وبينه واسطة يرفع حوائجنا اليه وهو يسألنا ، وهذا ايضا باطل لأنه انما يحتاج الى الواسطة كل مالك لا يعلم الا ما اعلم ولا يعرف الا ما اعرف، فأما الباري جل شأنه الذي هو عالم بالخواطر فضلا عن الظواهر، ومن هو اقرب الى الخلق من انفسهم كما قال « ونحن اقرب اليه من حبل الوريد »[2]. وقال « يعلم السر واخفى »[3] . فلا يحتاج اليه.

وقالوا ايضاً : ان فعلنا شبيهٌ بفعل أهل الديانات في ايجابهم التوجه الى القبلة وتعظيمهم اياها وهذا باطل فصاحب القبلة لا يجعل القبلة واسطة بينه وبين الله ولا يخاطب القبلة ولا يسألها ولا يعظمها تعظيم عبدة الأصنام لها وان كانوا يتبركون بها.

---

(1) ساقطة من ج.

(2) ق 16/50 .

(3) طه 7/20 .

بيان معرفة اوصافه المنزهة التي يخرج الانسان من كونه مشبها

هذا الباب يشتمل على فصول :

الأول : حقيقة المثل والشبه واخواتهما.

الثاني : تبيين منافاة المماثلة بين الله عز وجل وبين غيره فبذلك يتم المعرفة بوحدانيته وتزول الشبه في تشبيهه[1].

والثالث : تبيين فضيلة صفاته المنزهة على صفاته الممجدة.

والرابع : ما يجوز ان يطلق عليه من الصفات المنزهة.

الأول : معنى المماثلة.

المماثلة : اشتراك شيئين في معنى ما ذاتياً فيهما او عرضيا او ذاتيا في احدهما وعرضيا في الآخر وكل مماثلة لا تنفك من احد ثلاثة أوجه : اما من حيث الجنس ويقال له الند، او من حيث الكمية ويقال له المساواة، او من حيث الكيفية ويقال له الشبه، ويدل على صحة ذلك انه اذا قيل ما هو فيقول هو ند كذا، ويقال كم هذا فيقول هو مساو لكذا، او يقال كيف هذا فيقول شبه كذا قنع المخاطب بذلك متى عرف الممثل به، وكل هذه الثلاثة يستعمل فيه المثل، فالمثل عام في جميع ذلك، وقد يتشابه الشيئان ولا يكونان ندين كفرس اسود وبقرة سوداء، وقد يكونان ندين شبيهين كفرسين اسودين. واذا قد عرف معنى هذه الألفاظ[2] وحقائقها نرجع الى

---

(1) ساقطة من ش.

(2) في ج « الافعال »

المقصود من هذا الباب، فنقول : ما من شيئين الا والتركيب المختلف الذي فيهما يصح ان يقال هو مثل الآخر ويصح ان يقال ليس مثله فيصدق القولان جميعاً من وجه، ويكذبان من وجه، نحو ان يقال: البهيمة مثل الانسان فإنه متى اريد انه مثله بالحياة فهو صدق، ومتى اريد انه مثله بالعقل فهو كذب، وكذا اذا قيل البهيمة ليست مثل الانسان، متى اريد به في العقل فصدق، ومتى اريد به في الحياة فكذب، ويصح في كل ما اثبتته له المماثلة او نفيت عنه ان يستثنى منه، فيقال هذا مثل هذا الا في كذا [وليس هو مثله الا في كذا][1] ويكون ذلك صحيحا والباري سبحانه لما لم يكن فيه تركيب بوجه من الوجوه ولا يشاركه شيء في سبب من الاسباب صار إذا قيل ﴿ ليس كمثله شيء ﴾[2] كان هذا القول فيه صدقا من كل وجه حتى لا يصح ان يستثنى منه فيقال الا في كذا واذا قيل فيه هو مثل كذا كان هذا القول كاذباً من كل وجه حتى لا يصح ان يستثني منه فيقال إلا في كذا، وذلك انه تعالى لا جنس له ولا كيفية ولا كمية ولا مشاركة بينه وبين شيء في معنى من المعاني يرجع الى ذاته، فإذاً لا مثل له كما قال تعالى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾.

واذ قد عرفنا من ذلك فأنا نذكر فضل صفات الله تعالى المنزهة، فنقول : قد كان الحق ان ننزه الله عز وجل عن ان نذكره بالألسنة اللحمية فضلا عن ان نصفه بالصفات البشرية.

لولا انه تعالى أطلق لنا ان نصفه بألفاظ بيّنها لنا النبي ـ صلى الله

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ش.

(2) الشورى 11/42.

عليه وسلم ـ والكتاب، وذلك رحمة منه لئلا تحار في معرفته الالباب.

وجميع الألفاظ التي يوصف بها ضربان: منزهة وممجدة. والمنزهة ضربان: ضرب في اللفظ والمعنى كقوله ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾[1]. وقوله ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾[2].

وضرب في المعنى دون اللفظ كقوله لنا: « احد » الذي يفيد نفي الاثنوية وان كان لفظه اثباتاً.

واما الممجدة فانا نذكرها مفصلة في الباب الذي يلي ذلك، ولما كان تنزيه الله تعالى عما لا يجوز عليه مقدماً على تمجيده بترك الذم له قبل مدحه، وجب ان نصرف القول أولاً اليه فنقول لما كان غاية معرفتنا الله، أن نعرف انواع الموجودات، محسوسها ومعقولها، ونعلم انه تعالى ليس بشيء منها ولا مشبهاً لها، ولذلك امرنا بالتفكير في الآية فقال تعالى: ﴿ اولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ﴾[3]. الى غير ذلك من الآيات، ونهينا عن التفكر فيه فقال عليه السلام: « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله »[4]. وحكي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يقول: « يا من غاية معرفته القصور عن معرفته »[5] وذلك ان غاية ذلك ان تعرف ما

---

(1) الاخلاص 3/112.

(2) البقرة 255/2.

(3) الاعراف 185/7.

(4) المقاصد الحسنة ص 159.

(5) احياء علوم الدين للغزالي، بلفظ قريب 101/1.

دونـه فإذا عـرفت ذلك فقـد عرفتـه وقيل : « اعـرفهم بالله اجهلهم بالله »[1] . أي لا يتصوره تعالى متصور ولا يتوهمه متخيل، كما قال امير المؤمنين رضي الله عنه « التوحيد ان لا تتوهمه »[2] وحكي عن بعض الحكماء انه سئل عن معرفة الله فقال : « كل ما توهمته فاعلم ان الله عز وجل غيره » وعلى ذلك قال تعالى : ﴿ ولا يحيـطون به علما ﴾[3] وقال بعض حكماء الصوفية : « غاية معرفة الله عز وجل ان يعلم أي شيء ليس هـو، دون ان يعلم انه اي شيء هـو »[4] . وهـذا قول شـريف لأن يقابل[5] في الأشيـاء التي يشترك في بعض الأوصاف وتتباين في بعضها، والله يتعالى عن مشاركة شيء.

ولما قلنا قبل، معرفة الله عز وجل في معرفة اوصافه المنزهة، لا في معـرفـة اوصـافـه الممجـدة، حتى قـال بعض العلمـاء من الصوفية : « تنـزيه الله تـوحيده وكـالشرك بـه تمجيده » . قـال فإن المنزه ينفي عنه كل ما لا يليق به والممجد قد يصفه بصفـات غيره نحو القادر والعالم والرحيم، وقال بعضهم « يا من اذا وصفته خفت ان اشـــرك وان لم أصفـه خفت ان أكفـــر »[6] وقـــال بعضهم في مناجاته : « يا رب ان نطقت بك اشركت وان سكت عنك تزندقت فمـا حيلتي فيك » . وقـال : « يا رب ثنـائي عليك جفـاء فإني ان

---

(1) حلية الاولياء عن ابي يزيد البطامي حكي مثله 37/10 .

(2) نهج البلاغة 108/4 .

(3) طه 110/20 .

(4) حلية الأولياء 12/10 .

(5) في ش « تعالى » .

(6) حلية الأولياء 274/10 .

أثنيت عليك وصفتك بما وصفت غيرك وتركي الثناء عليك لؤم لأني ان لم أثن عليك كتمت خيرك »[1] ولما ذكرنا من شرف الصفات المنزهة على الصفات الممجدة تواترت الأخبار بأن سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن لأنه تنزيه محض، وان لفظة الأحد والصمد وان كانت بصورة الاثبات فهي في الحقيقة سلب ونفي، فإن الأحدية نفي الاثنوية والكثرة، والصمدية نفي الحاجة الى الطعام والشراب والاعضاء والآلات في احد التفسيرين ونفي انه مستتبع في التفسير الآخر، والسيادة الحقيقية لمن لا يكون تابعاً بوجه واما ما يجوز ان يطلق عليه من هذه الصفات مما ورد به الكتاب والسنة على ما نفصله في الباب الذي يليه ان شاء الله تعالى.

بيان صفات الله الممجدة :

وهذا الباب يشتمل على فصول :

الأول : ذكر ما يجوز اطلاقه على الله عز وجل من الصفات، وهل ذلك عقلي أم توفيقي .

الثاني : تنويع صفاته عز وجل.

الثالث : الفرق بين ما هو اسم وبين ما هو وصف، وحقيقة معانيها.

---

(1) حلية الاولياء 346/9 .

الفصل الأول

ذهب صنف من الفلاسفة ان الله تعالى لا يوصف الا بألفاظ السلب والنفي من دون الاثبات، نحو ان يقال : ليس بجوهر ولا محسوس ولا متحرك وما شاكل ذلك، قالوا لأن لفظة الاثبات توهم تركباً ويقتضي ان يكون هو سبحانه محلا لمعان يتغير بحسب تغيرها وتعالى الله عن ذلك في صفته[1] ، ولأنه لا يجمع بين الباري تعالى وبين معقولاته في صفاته، فإن ذلك يقتضي شركة، وهذا قول تضاده الشريعة، [على ان هؤلاء اضطروا الى استعمال اسماء مقرونة بصفات، فقالوا : هو الانية المحصنة، والهوية بالحق، وهذا اثبات انية ووصف، لأنهم لو لم يصفوها بالمحض والحق لاشركوا به، كما له انية وهوية][*] ، وذهبت المعتزلة[2] الى انه يصح ان يطلق على الله كل اسم يصح معناه فيه وفي الافهام الصحيحة البشرية، ومحال اخبار الصفات، وذكر اهل الاثر ان الله عز وجل لا يصح ان يوصف الا بما ورد السمع به من حيث يقطع على صحته أو ما اجمعت الأمة عليه، وما عدا ذلك فمردود، وهذا هو الصحيح وإليه اشار بقوله عز وجل : ﴿ ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها ﴾[3] فنبه

---

(1) تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم ص 81 .

(2) المعتزلة : فرقة اسلامية زعمت ان كل عبد خالق لفعله، وقالت بخلق القرآن والمنزلة بين المنزلتين . . . ، الملل والنحل 44/1 . وشرح الأصول الخمسة 182 ، والمغني 184/5 ، 187

(3) الاعراف 180/7 .

(*) ما بين المعقوفين ساقط من ج والمثبت من ش .

ان له اسماء مقدرة عند المخاطبين وانه من الحق ان يـدعي بها لا غير قالوا : لو ترك الانسان وعقله لما جسر ان يطلق عليه عامة هذه الاسماء التي ورد الشرع بهـا، اذ كان اكثـرها على حسب تعـارفنا يقتضي أعراضاً، اما كمية نحو العظيم والكبير واما كيفية نحو الحي والقادر، او زماناً نحو القديم والباقي او مكاناً نحو العلي والمتعالي أو انفعالاً نحو الرحيم والودود، وهذه معان لا تصـح عليه سبحـانه على حسب ما هو متعارف بيننا، وان كان لها معان معقولة عند اهل الحقائق من اجلها صـح اطلاقها عليه عـز وجل فـإذا كان كـذلك فحق العاقل ان لا ينحرف فيطلق لسانه بكل ما يتوهمه قصـداً الى الاستكبار وتوهما أن ذلك زيادة في ثنائه، فعل قوم وقعوا من ذلـك في التشبيه، ولا يتوقف عما اطلقته الشريعة قصدا الى التنزيه، فعل قوم من الاوائل قـاربوا بـذلك من التعـطيل، ويراعي مـا قال أميـر المؤمنين كرم الله وجهه، وقد سئل عن التـوحيد، فقـال « استقامـة القلب بمفارقة التعطيل وانكار التشبيه، فإذا أومأ الى التعطيل أثبت، وأما اذا أومأ الى التشبيه أنكر »[1] .

---

(1) العقد الفريد 208/3 .

الفصــل الثاني

تنويع أساميه وصفاته، صفات الله ضربان :

منزهة : أما على لفظ النفي والسلب واما على لفظ الاثبات وقد تقدم ذلك.

ممجدة : وهي ايضاً ضربان :

ضــرب : يذكــر ثناء فـإن ذكره تمجيـد له نحـو الأول والآخـر والظاهر والباطن، نحو يحي ويميت.

وضرب يذكر مفرداً وثناء نحو العليم والحكيم والغفوروالرحيم، وذكر هذا الضرب ثناء يكثر في خواتيم آي القرآن المتضمنة لأوامره ونواهيه ووعده ووعيده واخباره وحكمه نحو العزيز الحكيم والغفور الرحيم والسميع البصير، وذلك ليدل على جلالـة أمره فيتمكن في نفوسهم عظيم خطر الأوامر والـزواجر فيكـون ذلك أوعى لهم الى المحافظة عليها ومراعاة حالها، ثم كان من نحـو يحي ويميت ففيه تنبيـه على ابطال مـذهب المجـوس حيث زعمـوا ان المحيي غيـر المميت.

وتنوع ايضاً على ضربين :

اسما وصفا، وباتفاق من الجميع ان جميع ما نذكر هو اوصاف الا لفظة الله عز وجـل، فقد اختلف فيـه فأكثـرهم جعله اسما، ثم اختلفوا هل هو مشتق او علم.

وتنوع ايضا نوعين :

منها ما يقال مقيدا ولا يقال مطلقا نحو « افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت »[1] ، وقوله ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾[2] فلا يقال هو قائم ونور.

ومنها ما يقال في مقابلة لفظ ولا يقال دونه نحو ﴿ مكروا مكرا ومكرنا مكرا ﴾[3] .

وتنوع ايضا من وجه آخر نوعين :

مختص اللفظ نحو الله والرحمن والقدوس، ومشترك اللفظ نحو عالم وقادر.

والمشترك اللفظ سبعة اضرب، كل واحد منها اذا استعمل فيدل لفظه على الأعراض .

الأول : ما يدل على كمية نحو العظيم، **والثاني** : ما يدل على كيفية نحو الحي ، **والثالث** : ما يدل على اضافة نحو الموجود، **والرابع** : ما يدل على زمان نحو القديم والباقي ، **والخامس** : ما يدل على ملك نحو الرب والمالك، والسادس : ما يدل على الانفعال نحو الرحيم والرؤوف والودود، **والسابع** : ما يدل على مكان نحو العلي[4] .

---

(1) الرعد 33/13 .

(2) النور 35/24 .

(3) النمل 50/27 .

(4) جاء في ش، الخامس مكان السابع، والسادس مكان السابع.

الفصل الثالث

في الفرق بين ما هو اسم وبين ما هو وصف ويجب ان نقدم معنى الاسم والصفة والفرق بينهما فبذلك نشرح هذا الباب فنقول وبالله التوفيق.

ان الاسم لفظة جعلت سمة لذات من الذوات ليفهم بها المخاطب ما يلقى اليه.

والصفة : عبارة عن حال من أحوال الذات.

والوصف : قول الواصف وهو ان يقول هو كذا أو ليس بكذا.

ثم قد توضع لفظة الصفة موضع الوصف، ولفظ الوصف موضع الصفة كالزنة والوزن والعدة والوعد.

والاسم اعم في الوضع من الصفة، لأن كل صفة يقال له اسم ولا يقال لكل اسم صفة.

والاسم ضربان :

علم : وهو الذي لا يعتبر فيه معنى وانما يجري مجرى الاشارة اليه كزيد الذي لا يراعي فيه معنى الزيادة.

وغير علم : وهو ضربان : مشتق وغير مشتق، مشتق ما جعل له اسم مأخوذ من غيره لأجل معنى يجمعهما كالقارورة فإنه سمي لاستقرار المائع فيه.

وغير مشتق : كل اسم[1] وضع في اصل اللغة لنوع ما من غير اعتبار معنى فيه هو موجود في غيره، والفرق بين الاسم المشتق والوصف : ان الوصف لا يتوقف في اجرائه على كل ما وجد فيه تلك الصفة والاسم يتبع فيه واضع اللغة ولا يجعل مطرداً.

والصفات كلها تنقسم الى قسمين :

منها ما هو عبارة عن معنى يقوم بذات الموصوف كالاسود والمتحرك، ومتى وصف به شيئان اقتضى ذلك مشاركة بينهما.

ومنها ما هو عبارة عن معنى لا يقوم بذاته بل يطلق عليه لعلاقة بينه وبين ذلك، نحو مالك الدار، فإن هذه العلاقة شيء مفارق لذات الموصوف، ومتى وصف به اثنان لا يقتضي ذلك مشاركة بينهما.

فأما القائم بذات الموصوف فضربان :

ضرب[2] : يقوم بذات الموصوف ومتى توهم مرتفعا خرج ذلك الشيء عما هو، كالحرارة في النار وضرب عرضي فيه متى توهم مرتفعاً لم يخرج ذلك الشيء عما هو فيه[3] كالحرارة في الماء واذ قد ثبت ذلك يرجع الى ما هو المقصود، فنقول وبالله التوفيق :

ان استيفاء حق حقائق معاني اسماء الله تعالى يستدعي كتابا اكبر يحتاج فيه الى تحقيق وتدقيق، ولكن نذكر هاهنا ما يحتاج اليه وما حقه ان يعتقد في معانيه.

---

(1) ساقطة من ج.

(2) ساقطة من ج.

(3) سافط من ج.

وأشرف اساميه تعالى لفظة « الله »[1] فهو لفظ مختص به لا يشاركه فيه ولا في اشتقاقه غيره بوجه، وقد أجمعوا ان أساميه تعالى كلها صفات الا هذه اللفظة، فقد اختلف فيه فجعلها بعضهم اسما علما، وبعضهم جعلها اسما مشتقا، وذكر بعضهم انه لا يصح ان يكون علما، فالاعلام موضوعة ليجري ذكرها مجرى الاشارة الى المسمى وليتصور منه ذاته في الوهم والله يتعالى عن الاشارة والتوهم، واصله فيما قيل ولاه فأبدل من الواو همزة نحو اسادة واشاح ثم اسقطت الهمزة منه، فأدخل عليه الألف واللام فصار الله[2] ، وهو في الأصل مصدر موضوع موضع المفعول، وتسميته بذلك لكون الاشياء والهة نحوه اما تسخرا واما تحسرا واختيارا ليمسكها ويحفظها، كما قال تعالى﴿ ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ﴾[3]

وقال بعض الصوفية : انه تعالى معشوق الخلائق لافتقارها اليه، وهذا لفظ لا يجوز اطلاقه عليه، وان كان معناه المقصود به صحيحا وانما لا يجوز ذلك لكونه موهماً مع ان الشرع لم يرد به، على انه قد روى عبد الواحد بن زيد[4] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول : ﴿ اذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت نعيمه في مسألتي ومناجاتي، فإذا فعل ذلك

---

(1) اللسان والتهذيب مادة « اله »

(2) اللسان مادة « أله » ، ومادة « أسد » .

(3) فاطر 41/35 .

(4) عبد الواحد بن زيد البصري، شيخ الصوفية، قيل عنه ممن يقلب الأخبار لسوء حفظه وكثرة وهمه، لسان الميزان 80/4 . ميزان الاعتدال 672/2 .

عبدي عشقني وعشقته وكنت ممثلا بين عينيه، ان ذهب عبدي حلت بينه وبين السهو اولئك الابدال حقا ﴾.

وقد اختلف في الصفات التي يقال لها صفات الذات نحو الحي والقادر والعالم على مذاهب.

فالأول : مذهب من يقول ان الله تعالى حي قادر، عالم بعلم وقدرة وحياة قديمة، وان هذه المعاني قائمة بذاته موجودة له وبها صار حيا عالما وقادرا[1] .

وقد اعترض على ذلك بأن من جعل هذه المعاني قائمة بذاته فقوله يوجب كونه سبحانه مركبا من اشياء كسائر المركبات، تعالى الله عن ذلك، فإن ذلك يبطل التوحيد بل يبطل الالهية.

والثاني : مذهب من لا يثبت له علما وقدرة وحياة، بل يقول انه له بكونه حيا وعالما وقادراً أحوالا مختلفة، وانه استحق هذه الصفات لكونه على صفة مستحقة للذات اقتضت القادرية والعالمية والحيية، ويقول : إن هذه الحالة لا أصفها بأنها قديمة او غير قديمة ولا انها شيء ولا انها ليس بشيء[2] .

وقد اعترض عليه بأن هذا القول أقبح من الأول فإن الأول مفهوم وان كان مبطلاً للتوحيد وموجبا للكثرة والتركيب، وهذا مع ذلك فهو غير مفهوم.

والثالث : مذهب من يقول وهو قادر وعالم وحي بعلم وقدرة

---

(1) اصول الدين للبغدادي ص 90 .

(2) انظر شرح الأصول الخمسة 182 .

وحياة هي ذاته، وكأن ذاته هـو الأمران جميعـا[1] ، وهذا وان كـان احترز من فتح باب التركيب والكثرة بوجه فقد اثبت ذلك بوجه.

والرابع : مذهب من يقول هوعالم وحي وقادر، ولا علم له ولا حياة ولا قدرة، وذكر ان معاني هذه الاسماء لا تختلف اذا استعمل فينا وفيه[2] .

يقـال هذا مـع نفيه مـا قد اثبتـه الله تعـالى من العلم والقـدرة والحياة، ومع اختراع اسام لا سبيل الى الوقوف على مدلولاتها من حيث اللغة، فقد أثبت التشبيه من حيث جعل معاني هذه الألفـاظ فينا وفيه واحدا مشتركا.

والخامس : مذهب اهل الأثر، هو ان الله تعالى حي عالم قادر وان له قدرة وحياة وعلما وان ليس معنى شيء من ذلك اذا استعمل في الله عز وجل معناه اذا استعمل فينا وذلك ان العالم اذا استعمل في غير الله فمعناه انـه اختص بهيئة اقتضت تلك الهيئـة ان يتصور بمعلوم ما، والقادر اذا استعمل فينا يراد ان له هيئة يصدر عنها فعله، والعلم والقدرة اسم الهيئتين اللتين يصح بهما منه ذلك الفعل وهذا يقتضي تركيبا فينا.

فأما اذا استعمل في الله عز وجل فمعنى العالم فيه انه لا يخفى عليه شيء، ومعنى القادر فيه تعالى انه لا يعجزه شيء ومعنى الحي فيه انه لا يجوز عليه الفناء، فمعنى العلم والقدرة والحياة إذاً في الله

---

(1) شرح الأصول الخمسة 182 ، مقالات الاسلاميين 225/1

(2) مقالات الاسلاميين 224/1 .

تعالى اشارة الى ارتفاع الجهل والعجز والفناء فهذا لا يقتضي الكثرة، وان كان معنى هذه الألفاظ ما ذكرناه فظاهر، انه لا يقتضي تركيباً وكثرة في الله تعالى عن ذلك، ولا هي اذا وصف تعالى بها جارية مجرى الالات للصانع التي بها يصح فعله وانما ذلك اشارة الى تنزيه الباري تعالى عن النقصانات فقط، وهذا ظاهر لا ينافي قوله ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[1] . وبذلك على صحة هذا الفرق بين اللفظين، إذاً العالم والقادر والحي اذا استعمل في البشر صح ان يستعمل فيه نقيضه على وجه، وان يستثني فيه فيقال : فلان عالم بكذا جاهل بكذا وقادر على كذا، عاجز عن كذا حي في حال، ميت في حال، وانه عالم بكذا وقادر على كذا وحي في حال ميت في اخرى، وانه عالم الا بكذا وقادر الا على كذا وحي الا في وقت كذا، ومتى استعمل في الباري جل وعز فإنه لا يصح استعمال نقيضه فيه ولا الاستثناء منه بوجه. ومن الفرق بينهما ايضا ان المدح والذم مراتب ثلاثة : مبدأ ووسط وغاية، فالناس في هذه الصفات التي هي العلم والقدرة والحياة في المبدأ، وقد يتجاوزه الى المرتبة الثانية، والباري تعالى هو في اعلى المراتب، ولذلك قال تعالى ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾[2] ، ولأجل ذلك قال بعض الناس : « هذه الالفاظ اذا استعملت في الباري عز وجل فهي حقيقة واذا استعملت في البشر فمجاز » ، وذاك ان اول من يستحق الوصف من هو في غايته، الا ترى ان اولى الناس باسم الانسان اكملهم انسانية حتى ان من كان في مبدأ الانسانية لينسلب

---

(1) الشورى 11/42 .

(2) يوسف 76/12 .

عنه اسمه فيقال فلان ليس بانسان بل هو حمار وبقر، وعلى هذا قال تعالى في صفة الانسان ﴿ إنه كان ظلوماً جهولا ﴾[1]، وقال : ﴿ والله يعلم وانتم لا تعلمون ﴾[2]، فنفى عنهم العلم كما ترى، فالأولى باسم القادر من كان أوسع فعلاً وبالعلم من كان أحكم علماً وبالجود من كان اكثر عطية، فدل ان هذه الاسامي في الله تعالى حقيقة وفي الناس مجاز، فإن قيل : فهل نصف قدرة الله وعلمه بالقدم كما ذكره بعض اهل الأثر ؟

قيل : لا نصفه بذلك، وذلك انه تقدم القول أنا لو تركنا وعقولنا لأحجمنا عن وصفه تعالى بكل لفظ يقتضي موضوعه كيفية او زمانا او مكانا او انفعالا، وانما جوزنا ذلك اتباعا للشرع ولم يرد الشرع بوصف علمه وقدرته بالقدم، وانما ورد عنه « يا قديم الاحسان » فجوزنا ذلك وتوقفنا عما لم يرد به الشرع، ولم يرد السمع بأن علمه قديم فسكتنا عن ذلك.

فإن قيل : فقد اجمع الذين قالوا له علم وقدرة انه يوصف بالقدم.

قيل : هذا دعوى اجماع ما أرى ثبته وتصحيحه عن الائمة من الاسلاف فإن ثبت ذلك عنهم حينئذ تبعناهم في الاستعمال وانزلناه على حسب ما يقتضي والله الموفق .

واما وصفه عز وجل بالأول والآخر فقد قال المتكلمون : الأول

---

(1) الأحزاب 72/33 .

(2) النور 19/24 .

هو الموجود قبل كل شيء والآخر الموجود بعد كل شيء، وهذا وان كان شيئاً[1] قاله قوم فقاصر، وذلك انه يقتضي انه كان اولا قبل أن خلق الأشياء ويكون آخرا بعد ان يفني الاشياء، وهو الآن على هذا لا يوصف بالأول والآخر الا على تقدير الماضي والمستقبل، وأيضاً يقتضي انه في حال ما كان اولا لا يكون آخراً وفي حال ما يكون آخرا لا يكون اولا، ثم على هذا القول لا يكون آخرا وانما يكون وسطا، لأنه تعالى يعيد الخلق فيبعثهم ويخلدهم بعد ذلك ابد الابدين فكيف يكون آخرا، بل الباري تعالى قصد بذلك تنبيه الخلق على أعجوبة في صفات، باين به سائر الأشياء، وهو أنه يصدق عليه الوصف بالضدين والنقيضين في حالة واحدة، وليس ذلك الا في وصفه تعالى وانما معنى ذلك انه مبدأ كل شيء وغايته، أي يصح أن يكون موجوداً ولا يوجد شيء بوجه، وان تكون الأشياء [كلها من نفعه، ولا يكون هو تعالى منتفعاً ولا يصح عكس ذلك، إذ هو سبب الابتداء وسبب الغاية وانه هو الممسك للأشياء][2] . مبدئها ومنتهاها، كما قال تعالى ﴿ ان الله يمسك السموات والأرض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده ﴾[3] وقال ﴿ الله لا اله الا هو الحي القيوم ﴾[4] ، أي القائم بحفظه في كل حال. وقوله : ﴿ الظاهر والباطن ﴾[5] ، والظاهر اشارة الى معرفتنا البديهية، وذلك ان معرفته سبحانه وتعالى من هذا الوجه هو اسهل

---

(1) في ش « قولا قد » .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش.

(3) فاطر 41/35 .

(4) البقرة 255/2 .

(5) الحديد 3/57 .

الأشياء، فإن الفطرة تقضي في كل ما نظر انه تعالى موجود، كما قال عز وجل : ﴿ وهو الذي في السماء اله وفي الأرض اله ﴾[1]، وقوله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر ﴾[2]، ولذلك قال بعض الحكماء : « مثل طالب معرفته مثل متطوف الآفاق في طلب ما هو معه، بل في طلب ما امتلأ منه نفسه وبدنه وعقله وجسمه »[3]، والباطن اشارة الى معرفته الحقيقية التي لا سبيل لأحد الى ادراكه، وهو الذي أشار اليه بعض الصوفية فقال : « ان معرفة الله بمنزلة طائر يتبعه الانسان وهو يبصره ويطمع كل وقت ان يدركه فمتى قرب منه تباعد قليلا عنه وذلك دأبه ابدا »b[4] .

وقد تقدم ما حكي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه حيث قال « يا من غاية المعرفة به القصور عن معرفته »[5] .

وايضاً فهو ظاهر بدلائل آياته، وباطن عن وقوع الأوهام عليه وايضا ظاهر باعتبار مصنوعاته، باطن باعتبار ذاته، ظاهر بمعرفته، باطن بالاحاطة به، كما قال تعالى : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾[6]، ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾[7]، وظاهر بأنه يحيط

---

(1) الزخرف 84/43 .

(2) المجادلة 7/58 .

(3) احياء علوم الدين 322/4 .

(4) معارج القدس ص 197 .

(5) مضى تخريجه .

(6) البقرة 255/2 .

(7) طه 110/20 .

بالأشياء ، ويدركها وباطن في ان يحاط به ويدرك كما قال[1] ، ﴿ لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ﴾[2] .

وقد روي عن امير المؤمنين رضي الله عنه ما دل على تفسير اللفظين وذلك : انه [قال : قد][3] تجلى لعباده من غير ان رأوه وأراهم نفسه من غير أن يتجلى لهم » . ومعرفة ذلك تحتاج الى فهم ثاقب وعقل وافر.

معرفة الله الموهبية :

اعلم ان المعرفة الموهبية هي المسماة علم اليقين في قوله تعالى ﴿ لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ﴾[4]، وذلك يخص الله به أنبياءه ، وبعض اوليائه، ويحصل للأولياء يجب تعرضهم اليه تعالى يتعاطى العبادات الصادقة، فرضها ونقلها وينقض الأرجاس والانجاس النفسية من الهوى والشهوة والحسد والنفاق والرياء والغضب وسائر الرذائل، فمن تعاطى تلك وتجنب هذا فجدير ان يكتب الله في قلبه الايمان ويؤيده بنوره، كما قال تعالى : ﴿ اولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ﴾ [5] ، وقال في صفة المؤمن : ﴿ مثل نوره كمشكوة فيها مصباح ﴾ [6] الآية، وقال عليه

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش.

(2) الانعام 103/6 .

(3) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش.

(4) التكاثر 5/102 , 6 .

(5) المجادلة 22/58 .

(6) النور 35/24 .

السلام حاكياً عن ربه : « لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها »[1] ، وقد استبعد المتكلمون هذا الضرب من العلم، وقالوا محال ان يستفاد من الأعمال بالجوارح [فالعلوم تستفاد بأعمال القلوب والعمل بأعمال الجوارح][2] فأين يجتمعان.

ولو نظروا حق النظر لعلموا ان المعارف الحقيقية لا تحصل الا بصحة النظر [وصحة النظر لا تحصل الا بصحة البصيرة، وصحة البصيرة][3] لا تحصل الا بزوال رجاسة النفس كما اشار بقوله : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾[4] ، وقوله : ﴿ خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكنٌ لهم ﴾[5] . وقوله : ﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾[6] ، ولهذا قال ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾[7] ، وقوله : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾[8] ، وقوله في العبد الصالح : ﴿ اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ﴾[9] ، وقد دل باختلاف العبارتين على اختلاف المعنيين،

---

(1) صحيح البخاري /19 ، ومسند احمد 256/6 .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج والمثبت من ش.

(3) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش.

(4) العنكبوت 45/29 .

(5) التوبة 103/9 .

(6) الاحزاب 33/33 .

(7) العنكبوت 69/29 .

(8) سورة محمد (ص) 17/47 .

(9) الكهف 65/18 .

وذلك انه تعالى سمى ما خولهم بألسنة انبيائه المرسلة وكتبه المنزلة هداية، وسمى ما افاض عليهم من باطنهم بلا واسطة بشرية هدى، وعلى هذا قوله عليه السلام : « من اراد علما بلا تعلم وهدى بلا هداية وعزا بلا عشيرة وغنى بلا مال فليزهد في الدنيا » ، [وقال تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ [1] ، فسمى ما كان منهم اهتداء وما أفاض عليهم هدى، وقال : ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ [2]] [3] قوله : ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ [4] ويسمى [المختص] [5] بالهدى المجتبى وعلى ذلك قوله : ﴿ واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ﴾ [6] ، وهذا النحو من العلوم هو الذي حصل لامير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ حيث قال « لو كشف الغطاء ما ازددت الا يقينا »[1] ، وحصل لحارثة على ما تقدم ذكره، ومن وفقه الله عز وجل لمعرفة وحدانيته ببدائعه وصنائعه كما قال عز وجل : ﴿ سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ﴾[2] ، وعبده حق عبادته فهداه واجتباه حينئذ، عرف حقائق الموجودات لموجدها ودقائق المخلوقات لخالقها، كما عرف من قبل الخالق بالمخلوقات فيصير كما قال بعض الحكماء وقد قيل

---

(1) سورة محمد (ص) 17/47 .

(2) مريم 76/19 .

(3) ما بين المعقوفين ساقط من ج والمثبت من ش.

(4) التغابن 11/64 .

(5) ساقطة من ج، والمثبت من ش.

(6) الانعام 87/6 .

(1) اللمع للطوسي 546 .

(2) السجدة 53/32 .

له : بم عرفت الله ؟ فقال عرفته بالاشياء كلها »[1] ، [وقد قال بعضهم : ما نظرت منذ عرفت الله الى شيء إلا رأيت الله قبله »][2]، ولما قلنا قال ابو زيد[3] : عرفت الله بنور صنعه وعرفت صنعه بنوره » ، وقال بعض الصوفية « انما قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ الم تر الى ربك كيف مد الظل ﴾[4] لنظره من الحق الى الخلق ومعرفة الأشياء به »[5]، وقال تعالى : ﴿ أولم يروا الى ما خلق الله من شيء ﴾[6]، وقال : ﴿ أولم يتفكروا في انفسهم، ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق ﴾[7]، وقال ﴿ أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ﴾[8] ، فحثهم على أن ينظروا في مصنوعاته لينتبهوا بمعرفة حكمته بها الى معرفته تعالى.

بيان رؤية[9] الله عز وجل :

هذا الفصل تتعلق به أصول :

الأول : معنى الرؤية [والنظر واللقاء والبعد][10] .

الثاني : رؤية الله تعالى للاشياء .

---

(1) حلية الأولياء 37/10 .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش.

(3) ابو زيد البسطامي، له شهرة في التصوف، التصوف الاسلامي 81/1 . والبداية والنهاية 35/11 .

(4) الفرقان 45/25 .

(5) روح المعاني 26/19 .

(6) النحل 48/16 .

(7) الروم 8/30 .

(8) الغاشية 17/88 .

(9) في ج معرفة، والمثبت من ش

(10) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش.

الثالث : رؤية العباد لله عز وجل في القيامة.

[الرابع : ذكر ما روي في رؤية النبي ـ عليه السلام ـ رَبَّهُ في الدنيا][1].

اعلم أن « رأيت » يقال في كلامهم على وجهين : احدهما : متعد الى مفعول واحد، والثاني متعد الى مفعولين، فأما المتعدي الى مفعول واحد فأربعة :

الأول : هو الادراك بالحاسة الباصرة، وذلك على ما نتعارفه نحن في الدنيا، لا يكون إلا للالوان والاجسام وشكلها ومصدره الرؤية.

والثاني : الادراك بالتخيل والوهم نحو ما يكون في المنام ومصدره الرؤيا.

والثالث : الادراك بالفكر والرؤية نحو : رأيت رأياً جيداً، وفلان يرى رأي ابي حنيفة ومصدره الرأي.

والرابع : الادراك بالبصيرة، نحو قول أمير المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ حيث قيل له : هل رأيت ربك ؟ فقال : ما كنت لأعبد شيئا لم أره، فقيل : وكيف رأيته ؟ فقال : لم تَرَهُ العيون بمشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان »[2]، ومن هذا النحو قوله تعالى: ﴿ الم تر الى ربك كيف مد الظل ﴾[3]، وقوله : ﴿ الم تر كيف فعل ربك ﴾[4].

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش.

(2) نهج البلاغة 99/2.

(3) الفرقان 4 5/25.

(4) الفيل 1/105.

وأما المتعدي الى مفعولين فهو عبارة عن الحكم على الشيء بأنه كذا وليس بكذا، نحو رأيت زيدا منطلقا، فمتى كان ذلك على دلالة قوية كان علما، ومتى كان عن أمارة كان ظنا نحو أرى زيدا خارجا كقوله أظـن زيداً خارجا.

وأما رؤية الله تعالى للاشياء فعلى وجه أشرف من كل ما تقدم فإنها ليست بحاسة ولا بواسطة لون ولا تخيل ولا وهم ولا تدبر وتفكر فهو يتعالى عن كل ذلك بل يرى الشيء قبل ايجاده وبعد اعدامه.

وأما رؤية العباد لله عز وجل في القيامة فقد أثبتها الحكماء واصحاب الحديث كما نطق به الكتاب والسنة.

أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ رب أرني انظر اليك ﴾ [1]، ومحال ان يكون ذلك من الأمور الممتنعة : فيسأله نبي الله، ومن المحال ان يكون النبي جاهلاً بالله، وبما يجوز عليه ويمتنع، فلو كان ذلك ممتنعا لما سأله، ومن قال : انما كان قد سأل لقومه فأما ما هو بنفسه فقد علم انه لا يصح عليه فإن ذلك جار مجرى قائل يجوز ان يسأله عنهم انه يمسه ويقبله تعالى الله عن ذلك، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ﴾[2].

ومن السنة قوله عليه السلام : « سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون من رؤيته » وروى لا تضارون في رؤيته [3]، وهذا الخبر رواه نيف وعشرون رجلاً من الصحابة [4] ولم ينكر أحد

(1) الاعراف 143/7.

(2) القيامة 22/75 , 23.

(3) البخاري 419/13، ومسلم 439/1 والترمذي 12/4 وابن ماجة 63/1، 64.

(4) انظر شرح الطحاوية ص 210.

منهم، وتلقاه التابعون بأسرهم، والتشبيه بالقمر ليس براجع الى المرئي، وانما ذلك راجع الى تحقيق الرؤية، وروى عدة في تفسير قوله : « طوبى لهم وحسن مآب » [1]، وقوله « ولدينا مزيد » [2]، وقوله : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »[3] أنه النظر الى الله عز وجل [4]، وانكرت المعتزلة رؤية الله عز وجل في الآخرة[5] وقالوا كما لا يصح ذلك في الدنيا كذلك في الآخرة، وفزعوا الى آيتين[6] ليس لهم فيهما دلالة أحدهما : قوله لموسى : « لن تراني » [7]، وذلك نفي [يتناول الدنيا والآخرة وليس ذلك كما قالوا، فان « لن » إنما هو لنفي المستقبل من الزمان، وكلامُنا إنما هو [بجرم][8] الفلك الذي عن حركته يكون الزمان][9] [على ان هؤلاء اضطروا الى استكمال اسماء مقرونة بصفات فقالوا هو الانية المحصنة والهوية الحقة، وهذا اثبات آنية وهوية] [10].

---

(1)الرعد 29/13 .

(2)سورة ق 35/50 .

(3)يونس 26/10 .

(4)راجعت بعض التفاسير فلم اعثر على احد يقول ان طوبى هي النظر الى وجه الله تعالى، بل هي شجرة في الجنة، مجمع البيان م 273/3، وتفسير الطبري 147/13 وتفسير ابن كثير 512/2 .

(5)انظر المغني 33/4 ، وشرح الاصول الخمسة ص 232.

(6)في ج ، وفزعوا الى اثنين ، والمثبت من ش .

(7)الاعراف 43/7 .

(8)الكلمة هكذا وردت ، وهي غير مناسبة للسياق .

(9)ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش .

(10)ما بين المعقوفين ساقط من ش ، والمثبت من ج .

والثانية قوله تعالى : « لا تدركه الأبصار »[1] ، وذلك تمدح فلا يجوز ان يزول عنه هذا المدح في حالة من الاحوال كقوله : « ان الله لا يظلم الناس شيئاً »[2]، وقوله « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير »[3] وقوله : « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »[4].

وليس ذلك بشيء ، فالمدح ضربان : ضرب كماقالوا، وضرب يجوز ان يكون عكسه، في بعض الاحوال نحو العلم والعفو، فان ذلك يختلف بحسب الاحوال وكذا الهيبة والاحتجاب يمدح بهما الملوك تارة وبعكسها تارة أخرى[5]، وان معنى ذلك انه تعالى لا تدركه الابصار، ولا تعرفه الابصار[6]، حق المعرفة، وهو سبحانه يعلم الاشياء بحقائقها، وما ذكروا انه لو صحت رؤيته في الآخرة صحت في الدنيا، فان المانع من رؤية الشيء انما هو الرقة واللطافة، والبعد المفرط والحجاب، قالوا وكل ذلك منتف عن الله عز وجل، فليس هذا بشيء[7].

وذلك أن أصل الابصار للقلب ، والنفس للقلب كالالة، ولذلك قد ينظر الى الشيء من يشغل قلبه فلا يبصره، وعلى هذا

---

(1) الانعام 103/6 .

(2) يونس 44/10 .

(3) الشورى 11/42 .

(4) الاخلاص 3/112 .

(5) كلمة « اخرى » ساقطة من ج .

(6) في ش البصائر .

(7) انظر المغني 95/4 ، والتمهيد للباقلاني ص 278، والارشاد للجويني ص 178 .

قال تعالى : « وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبثرون »[1] ولهذا من نزل في عينه الماء لم يبصر، فاذا نزح ذلك الماء أبصر فاذا ثبت هذا فللانسان ثلاث ادراكات بالرؤية : رؤية الجسمانية الملونة ورؤية الروحانيات كالملائكة، والجن، ورؤية لموجده تعالى، ويحتاج في رؤيته كل واحد من ذلك ـ اذا صحت لعين ـ الى نور به يرى.

فأما الاجسام فيحتاج في ادراكها الى احد الانوار المحسوسة كنور القمرين او ضوء النار والسراج، واما الروحانيات فيحتاج في ادراكها الى القوة التي هي المعارف الموهبية، وهي البصيرة للقلب كالبصر للعين، والى النور الذي اشار تعالى اليه[2]بقوله : « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه »[3]، وبقوله « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها »[4]، وبحصول النور توصل ابراهيم عليه السلام، الى رؤية الملكوت، كما قال : « وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين »[5]، وأما الباري سبحانه وتعالى فيحتاج في رؤيته الى الحياة الابدية المشار اليها بقوله : « وان الدار الآخرة لهي الحيوان »[6]فسمى تلك الحياة

---

(1) الاعراف 198/7 .

(2) ساقطة من ج .

(3) الزمر 22/39 .

(4) الانعام 122/6 .

(5) الانعام 75/6 .

(6) العنكبوت 64/29 .

المخصوصة بالحيوان، والى النور المشار اليه بقوله « يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم » [1] .

ولكل رؤية من ذلك مانـع لا تصح الـرؤية الا مـع ارتفاعـه ، فـالمـانـع من رؤيـة الاجسـام الـرقـة واللطافـة والبعـد والحجـاب الجسماني، اما من خارج واما من داخل البدن كـالماء النـازل من العين . وأمـا المانع من رؤية الثاني والثالث، فـالظلمـة التي هي اوسـاخ النفس وارجاسهـا من الدغـل والحقد والمكـر والشر، ومـا اشبههـا، وبسبب حصول ذلـك يمنع الانسـان من ادراك الحقـائق الاخروية ومن رؤية الملائكة والجن، فبذلك تمتليء نفوسنا ضبابـا وظلمة تمنع من الرؤية الشـريفة، كمـا يمنع نـزول الماء في العين رؤية الاجسام الكثيفة، وبحسب ارتفاعها يرى الروحانيات والاشياء الشـريفة [وذلـك معلوم من قـول علي رضي الله عنـه « لـو كشف الغـطاء ما ازددت الا يقينـاً »][2]ولحصول هـذه العوارض للكفـار حكم الله تعالى عليهم بالعمى، ولاجـل ازالة ذلـك امر الله تعـالى حيث قال : « وثيابك فطهر والرجز فاهجر »[3]؛ وقال : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيـراً »[4]، ولما لم يكن لرؤية الروحانيات شرف على رؤية الباري استغنى الانسان في رؤيتهن بـأن يتنقّى من هذه الاوسـاخ والانجاس النفسيـة، وان يزيلهن بقدر الوسع وان لم يتنق منها كل التنقي، ولـذلك حصلت

---

(1) الحديد 12/57 .

(2)ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش .

(3)المدثر 5،4/74 .

(4)الاحزاب 33/33 .

[illegible]
فذلك لا تصلح للمؤمنين الا في النشأة الآخرة دون الدنيا، وكان عيسى عليه السلام يقول « جوعوا بطونكم واعزوا حيوتكم[1] لعلكم ترون ربكم »[2] ولما لم تكن نفوس الكفار متنقاة من هذه الانجاس والارجاس حكم عليهم بانهم لا يرونه، ودل على ذلك بقوله : « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » [3]، وبقوله : « فمن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا » [4]. وقال : « والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الضمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجدوا الله عنده فوفّاهُ حسابه ـ الى قوله ـ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » [5]، ولما كان كتاب الله عز وجل أعظم ما يستعان به في استفادة نور الله وازالة الظلمات المانعة عن الاطلاع على الامور الالهية قال تعالى في وصفه : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام » الى قوله « ويهديهم الى صراط مستقيم » [6]، والمعتزلة لما تجاوزوا معرفة المحسوسات الى معرفة المعقولات ومع ذلك لم يتفكروا في قوله : «وننشئكم فيما لا تعلمون» [7]

---

(1) في ش « واعروا جنوبكم »
(2) النحل برنابا ص 34
(3) المطففين 83/15
(4) الاسر ا، 17/72
(5) النور 24/39، 40
(6) المائدة 5/15-16
(7) الواقعة 56/61

[illegible]

[illegible] « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[1]، ونحو ذلك مما ورد في الخبر واشتهر عند الاثر، اضطروا الى تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ورد به الكتاب والسنة ووقوف الانسان في اول النظر والاعتراف بالعجز الموجود في البشر الذي دل عليه قوله : « انه كان ظلوما جهولا »[2] وقوله « وخلق الانسان ضعيفا »[3]، اولى به من ارتكاب ما يجعله ممن وصفه تعالى بقوله : « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير »[4].

العرش والكرسي

عرش الله وكرسيه مما لا يعلم البشر منها الا مقدار ما اطلع الله عليه، وهما من الاشياء التي ليس عند البشر في الحقيقة منهما الا اسمه ولا يصح له تصوره وذلك انه لا يصح ان يتصور الانسان الا ما احسه او احس له مثلا، ومعلوم ان المحسوس لنا من العرش انه هو الغرفة أو السرير الذي يقعد عليه الملك او عرش الكرم او عريته

---

(1) السجدة 17/32

(2) صحيح البخاري 318/6، وصحيح مسلم 174/4، ومسند احمد 313/2

(3) الاحزاب 72/33 .

(4) النساء 28/4 .

(5) الحج 8/22 .

وليس عرش الله بشيء من ذلك وقد قال الخليل[1] عرش الرجل قوام امره »[2] ومنه قيل : ثل عرش فلان »[3] وروي ان عمر رضي الله عنه رؤي في المنام بعد موته فقيل له : ما فعل بك ربك ؟ قال ثل عرشي لولا اني صادفت ربا كريما »[4]، ولشرف العرش قال تعالى : « ذو العرش يلقي الروح من أمره »[5]، ولم يقل ذو الكرسي، وقد ورد : ان سقف الفردوس عرش الرحمن[6]، وروي : ان الله يظل في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله »[7].

وقال بعض الناس : العرش الفلك الاعلى والكرسي فلك الكواكب، واستدل بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما السموات السبع والأرضون السبع في جنب الكرسي الا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكرسي عند العرش كذلك »[8] وعلى ذلك حمل قوله « وكان عرشه على الماء »[9]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه

---

(1) الخليل بن احمد الفراهيدي ، صاحب العربية والعروض . توفي سنة 175هـ ، طبقات النحويين ص 47 .

(2) معجم العين ، مادة « عرش » ج 1 ص 249.

(3) المصدر السابق ، وفيه « واذا زال عنه ذلك - اي عرشه - قيل : ثل عرشه ج 1 ص 249.

(4) طبقات ابن سعد 215/3 ، وكلمة « ثل » ساقطة من ج والمثبت من ش .

(5) المؤمن 15/40 .

(6) صحيح البخاري 404/13 ، قريب من معناه .

(7) صحيح البخاري في حديث : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله » 143/2، ومسلم 715/2. ومسند احمد 439/2.

(8) تفسير الطبري 399/5 .

(9) هود 7/11 .

ما بين الكرسي الى الماء مسيرة خمس مائة[1] عام، والعرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه من اعمالكم شيئاً » [2]، واياك ان تتصور بهذه الالفاظ شيئاً من المحسوسات، فان « على » في نحوه انما هو كقوله ﴿ والله على كل شيء قدر ﴾ [3]، ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ [4]، وقد قال امير المؤمنين، رضي الله عنه - في وصفه : « لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس، قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كل شيء ولا يقال شيء تحته، وتحت كل شيء ولا يقال شيء فوقه »، وفي قوله تعالى : ﴿ ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش ﴾ [5]، وقوله [﴿ رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش ﴾ [6]، دليل على ان لا حاجة به الى العرش وانه لم يتغير عما كان، وما قالت المعتزلة، من أن الكرسي بين* العلم فقول منهم ليس بخمر ولا خل][7]، وقوله تعالى في وصف حملة العرش : ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ [8]، قيل : هم الملائكة المقربون الذين يفتحون باب الجنة على المؤمنين، حيث قال عليه السلام،

---

(1)كلمة « مائة » ساقطة من ج ، والمثبت من ش .

(2)الاسماء والصفات للبيهقي ص 401 .

(3)البقرة 20/2 .

(4)يوسف 76/12 .

(5)الاعراف 54/7 .

(6)الرعد 2/13 .

(*) هكذا وردت في الأصل ولعلها « يعني » .

(7)ما بين المعكوفتين ساقط من ج والمثبت من ش .

(8)الحاقة 17/69 .

من اسبغ الوضوء فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من ايها شاء »[1]، والله أعلم بذلك.

وصف الله تعالى بأنه في السماء ، وانه بكل مكان ، وعلى العرش، لقوله ﴿ أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض ﴾[2]، وقوله ﴿ ثم استوى على العرش ﴾[3] وذلك على[4] معنى قوله : ﴿ وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله ﴾[5]، وليس ذلك على معنى الشيء في الوعاء او في المكان وهو مع كل واحد لا معنى الاصطحاب الجسماني، بل كما قال : « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا معهم »[6]، وكما قال : ﴿ ان الله مع الذين اتقوا ﴾[7] فما من شيء الا وهو فيه ومعه وعليه وفوقه، قد غشاه بنور منه يشهد بربوبيته على وحدانيته لا على ان الأشياء مكان له أو محتاج اليها بل المعنى أن الأشياء كلها محتاجة إلى حفظه، كما قال : ﴿ ان الله يمسك السموات والأرض ان تزولا ﴾[8] وعلى هذا النحو نزول الرب[9] عز وجل في قوله عليه السلام : « ينزل الله

---

(1) رواه الترمذي 78/1 .

(2) الملك 16/67 .

(3) الاعراف 54/7 .

(4) ساقطة من ج والمثبت من ش .

(5) الزخرف 84/43 .

(6) والمجادلة 7/58 .

(7) النحل 128/16 .

(8) فاطر 41/35 .

(9) ساقطة من ش .

عز وجل الى سماء الدنيا »[1] والمجيء في قوله تعالى ﴿ وجاء ربك والملك ﴾[2] [والاتيان في قوله تعالى ﴿ فأتى الله بنيانهم من القواعد ﴾] [3] .

حقيقة الدين والملة

هما اسمان لمعنى يتفقان من وجه ويختلفان من وجه، فاتفاقهما انهما اسم لاعتقادات واقوال وافعال تدين بها امة من الامم عن نبي لهم، ليتوصلوا بهما الى جوار الله عز وجل .

واختلافهما من وجهين :

أحدهما من حيث الاشتقاق : فان الدين اذا اعتبر [بمبدأه فهو الطاعة والانقياد، نحو قوله ﴿ في دين الملك ﴾ [4]، وإذا اعتبر] [5] بمغزاه ومنهاه فهو الجزاء كما قيل : كما تدين تدان [6] . والدين يضاف تارة الى الله عز وجل وتارة الى العبد كما تضاف الطاعة والجزاء اليهما . **وأما الملة** فمن أملت الكتاب اي امليته ولا يضاف الا الى الامام الذي يسند اليه نحو ملة ابراهيم وملة موسى، ولا يكاد يوجد [7] مضافاً الى الله عز وجل ولا الى آحاد امة

---

(1) البخاري 29/3 ، ومسلم 521/1ومسند احمد 264/2.

(2) الفجر 22/89 .

(3) النحل 26/16 .

(4) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش .

(5) يوسف 76/12 .

(6) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش .

(7) اللسان مادة « دين » .

النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يقال ملة الله ولا ملتي ولا ملة زيد كما يقال دين الله وديني [1] ودين زيد.

والفرق الثاني : ان الدين يقال لكل واحد من الاعتقاد والقول والفعل انه دين الله، ولا يقال ملة الا باجتماع ذلك كله .

وأما الشريعة فهي [2] الطريقة المتوصل بها الى اصلاح الدارين تشبها بشريعة الماء وبالطريق الشارع، كقوله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة ﴾ [3].

ان قيل : كيف قال في موضع : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ﴾ [4]. الآية، فذكر ان شريعته، وشريعتهم واحدة، [وقال في موضع آخر «ولكل جعلنا منكم شرعة] [5] ومنهاجاً » [6]. فذكر ان شريعتهم مختلفة، قيل : الاول : اشارة منه الى اصول الاديان التي هي الاعتقادات والعبادات والمعاملات والمزاجر والاداب، فعلى كل امة صلاة وصوم وزكاة وحج وجهاد، وكذلك سائر الاركان. والثاني : وهو قوله ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ﴾ اشارة منه الى الفروع التي تتغير بحسب مصالح كل انسان وزمان ومكان .

---

(1) ساقطة من ج .
(2) كلمة « فهي » ساقطة من ج .
(3) يوسف 108/12 .
(4) الشورى 13/42 .
(5) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش .
(6) المائدة 48/5 .

ثبوت دين الله عز وجل :

قد أنكر الدين فرق : الأولى من قال: ان معظم الدين انما هو العبادات ، وهي التقرب الى الله عز وجل بالصلاة والصيام وسائر ذلك والله تعالى مستغن عنها فوجودها لا ينفعه وعدمها لا يضره، وليس هو كملك من ملوكنا الذين يفرحون بخدمة رعاياهم لهم [1]، ويتباهون بهاعند ملوك سواهم ، فاذا لا ينبغي ان يشرع لنا دينا نتعبد به.

والفرقة الثانية : قالوا الغرض من العبادات الوصول الى اللذات والله تعالى لقدرته وَجُودِه واستغنائِه عن عباده خليق ان يعطيهم ذلك وينيلهم[2] من غير استخدامهم.

والفرقة الثالثة : قالوا : لو كان لله دين لجعله بحيث يبهر[3] العقول والاسماع والأبصار، فان السلطان البشري لو أراد أمراً يدعو اليه رعيته، لجعلهم حيث لا يخفي عليهم آثاره وصنائعه، فكيف برب العزة مع سعة قدرته، وبالغ حكمته، قالوا : وقد رأينا جميع ما يذكر انه دلالة على الحق لا يثلج قلبا[4] ولا يبرد صدراً حتى كثر المختلفون وكثرت أدلتهم، فمن واحد يلتزم مذهباً لإلفةٍ أو لنفعٍ دنيوي يجده فيه، أو لغرض آخر غيره، ومن آخر يتنقل من مذهبٍ إلى مذهبٍ.

---

(1)ساقطة من ج .

(2)ساقطة من ج .

(3)في ش يبصر .

(4)ساقطة من ج .

والفرقة الرابعة : قالوا الاختلاف في الدين بحيث لا يفي باحصائها عدد ولا يتسع لاستقرائها احد، فالاول ترك جميعها، والاشتغال بما فيه صلاح المعاش من الطب والفلاحة ونحوها، وهذه شبهة « برزوية »[1]، صدر كتاب « كليلة ودمنة »! وقد اجيب عن كل ذلك، فاما من قال ان الله تعالى غني عن عبادة خلقه وأنه ليس كواحد من ملوك الارض، فذلك مقدمة صحيحة وقد قال الله تعالى يؤكد ذلك حيث قال « ان الله لغني عن العالمين »[2]، لكن استعبادهم النفع لهم لولا سعيهم في تحصيله لم تقتض الحكمة حصوله لهم وذلك ان الله تعالى خلق الناس بحكمته ليتوصلوا بعبادته وتوفية حق خلافته الى تزكية انفسهم وتطهيرها، فيصلحوا للمجاورة في دار السلام، ﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾[3]، فينالوا منه بقاء بلا فناء وعزّاً بلا ذل وغنىً بلا فقر وعلماً بلا جهل ، فتحصل لهم السعادة الكبرى : كما قال تعالى ﴿ وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ﴾[4] الآية ولم تقتض الحكمة حصول ذلك لهم الا بعد ان يؤدوها طاهري النفوس [والا فالحميم اولى بهم، فالخبيثات للخبيثين، والطيبات للطيبين][5]، ولهذا قال تعالى ﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم

---

(1) برزوية : طبيب فارسي ، كان عالماً متميزاً في زمانه جلب كتاب « كليلة ودمنة » من الهند الى ملك الفرس انوشروان وترجمة الى الفارسية. عيون الانباء ص ٬ 413

(2) العنكبوت 6/29 .

(3) القمر ٬ 55/54

(4) هود 108/11 .

(5) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش .

الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾[1]، وقال تعالى ﴿ قد أفلح من تركي ﴾[2] ولذلك قال تعالى ﴿ ولا يرضى لعباد، الكفر ﴾[3]، وبهذا تبين فساد قول من قال : القصد بالعبادة الوصول الى اللذات، والله تعالى قادر أن يعطينا بغير استخدام منه، أياً ما كان هذا لم يمنع منه قدرة الله تعالى، بل منع منه الحكمة [وهو ما تقدم ان الخبيثات للخبيثين][4]، وقيل من دنّس نفسه في الدنيا ولم يزكيها، مثل قوم دعوا الى دعوة ملك وقيل لهم طهروا ابدانكم واثوابكم واصلحوا اخلاقكم لتستحقوا مجالسة الاخيار ومعاشرة السلطان، فلا سبيل الى دخول داره وحضور مأدبته الا لمن كان طاهراً، فجاء بعضهم وسخ الثياب متلطخاً بالانجاس فاسد الاخلاق غير عارف آداب مجالسة الملوك، وكانت تلك الدار طاهرة وأهلها كراماً بررة، فالحكمة تقتضي منعه لمنافاته لها، واما شبهة من قال : لو كان لله دين لكان باهرا للعقول والاسماع والابصار.

فجوابه : ان ذلك باهر ولكن[5]، لمن لم يضيع نور الله الذي به يبصر ولم يفسد بصيرته التي بها يدرك، واما من ضيع ذلك فقد صار بمن، وصف الله تعالى بقوله : ﴿ صم بكم عميّ

---

(1) الاحزاب 33/33 .

(2) الاعلى 14/87 .

(3) الزمر 7/39 .

(4) ما بين المعقوفين ساقط من ج .

(5) كلمة « ولكن » ساقطة من ج .

فهم لا يعقلون ﴾[1] وما أشبه قائل هذا فيما يتقوله برجل قال لشاعر : لم لا تقول ما نفهم ؟ فقال : وأنت لم تفهم ما يقال، ويجب ان يعلم ان الله تعالى ركز في عقل كل ذي عقل مرآة فكر [2]، فاذا زكاها وجلاها بين الحق من الباطل، والكذب من الصدق والقبيح من الجميل .

وأما شبهة « برزوية » فانه يلزمه في الطب ايضا ففيه من الشبهة ما يقارب الشبهة الدينية بل تزيد عليها، فأصول الطب مبنية على غلبة الظنون، وأصول الشرائع مبنية على الحقائق، وامام الطب بقراط [3] يقول فيه « العمر قصير والصناعة طويلة والتجربة خطر والقضاء عسير ومطلب الحق فيما يدان الله تعالى به غير عسير على من وفقه الله فصرف اليه عنايته، فقد قيل : ما أقرب الطريق لمن استصحب التوفيق وكان الحق بغيته ولم يكن استثقال الشريعة آمنة على ان العقل لا يسوغ الاعراض عن جميع ذلك فمحال تكذيب النقيض .

واذ قد تبين فساد الفرق الضالة، فانا نذكر وجوب شرع الدين.

الوجوب اذا استعمل في الباري سبحانه وقيل واجب [أن يفعل هذا] [4]، فليس معناه على حسب ما يتعارفه الفقهاء حيث قالوا

---

(1) البقرة 171/2 ، وجاء في ش « لا يبصرون » .

(2) كلمة « فكر » ساقطة من ج .

(3) بقراط حكيم وطبيب يوناني ، طبقات الاطباء ص 16، وعيون الانباء ص 43.

(4) ما بين المعقوفين ساقط من ش .

واجب علينا كذا، وانما معناه ان ذلـك شيء مقدور لـه، والحكمة تقتضي وجـوده ومن بديهـة العقل ان من قـدر على فعل والحكمـة تقتضيه فلم يفعله فذلك لبخله الذي طـرأ فيه، والله يتعـالى على ذلـك فهو القـادر الذي لا يلحقـه عجز، والحكيم الـذي لا يعـروه جهل، والجواد الذي لا يعرض له بخل. والذي يدل على وجـوب ذلك أوجه :

الاول : ان الله عز وجل أوجد الانسان بحكمته مناسبا للبهيمة من حيث ان فيه قوة الاغتذاء ، والنمو وابتغاء النسل واخلاف المثل ومحبة الظفر والغلبة، وغير ذلك من احواله ومناسباً للملك من حيث يتحرى العقل والخير، والاستكثار من ذلـك لنفسه، وافـاضته على غيره فهو بطبعه يميـل الى اخلاق البهيمـة، وباختيـاره يميل[1] الى أخـلاق الملائكـة، والطبـع اغلب من الإختيار، فـانه يكـرهه على الفعـل ويقهره، والاختيـار يـدعـو اليـه ويسكت عنـه، فلو لم يكن للانسان شريعة تجري مجرى الزمام يقوده، او لجام يذوده عن طبع البهائم بتخويفه من العقاب وترغيبه في الثواب لصار بطبعه كبهيمة مهملة.

والثاني : ان الناس خلقوا خلقة صار كل واحد منهم محتاجـاً الى الآخر ليتعاونوا، ولا سبيل الى هذا التعاون الا بمراعاة النصح

---

(1) كلمة يميل ساقطة من ج .

ولا يصح الا بالتحاب، فالناس اذا تحابوا تناصحوا واذا تناصحوا عمروا، واذا عمروا أمروا، ولذلك مَنَّ الله على المؤمنين بما أوقع بينهم من الالفة، فقال تعالى « هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم »[1]، فنبه تعالى على افاضته عليهم بما فيه صلاح معاشهم ومعادهم.

الثالث : انه قد ثبت ان عامة مصالح العباد كالاغذية، والادوية، والاكسية والاسلحة لا يمكن الوقوف عليها الا من جهة الله تعالى اما بالهام او بلسان نبي، فمن البعيد ان يوقف على طبائع النبات والمعادن ومنافع اعضاء الحيوانات بالتجارب، فانه يفنى بها الخلق الكثير قبل الوقوف على شيء من ذلك، سيما وطبائع الناس مختلفة وقد يوافق واحد ما لا يوافق الآخر وينفع قدر ويضر قدر، وفي وقت دون وقت فالوصول الى ذلك عسير بالتجربة جدا.

الكلام في دين الله تعالى

هل هو عقلي محض او نبوي محض، ام بعضه عقلي وبعضه نبوي ؟.

للناس في هذا ثلاثة مذاهب :

---

(1) الانفال 8/62، 63.

الاول : مذهب البراهمة [1]، فانهم انكروا النبوة وقالوا لا واجب الا من جهة العقل.

والثاني : مذهب اهل الحديث، ان لا واجب الا من جهة النبوة.

والثالث : مذهب اكثر اهل الأثر ان ذلك بعضه عقلي وبعضه شرعي. فشبهة البراهمة، هي انهم قالوا : ان كانت الشرائع التي اتى بها الانبياء مخالفة للعقل فهي مرذولة مهجورة، لان العقل حجة الله، به يأخذ عباده، وما أدى مخالفته وجب طرحه وان كانت موافقة العقل ففيه غُنيةٌ عنها، وايجاد ما يستغنى عنه عبث، والله تعالى عن ذلك، وقد اجيب عن ذلك ، [ان هذه القسمة قاصرة، فان الاشياء على ثلاثة اقسام : واجب والعقل يقتضيه ودفع ما ينفيه، وجائز والعقل يتوقف فيه، فالشريعة تساعد العقل في ايجاب ما تقتضيه ودفع ما ينفيه وتزيح العلة في بيان ما يتوقف فيه، وايضا][2] فان الذي يوجبه العقل هو ان الجميل والخير والعدل مؤثرة على الاطلاق، وان القبيح والشر والجور مرذولة، فأما معرفة اي فعل واي حركة على التفصيل هو الجميل او القبيح او الخير او الشر او العدل او الجور، فليس للعقل اليه سبيل وانما ذلك يمكن التوصل اليه من جهة الشرع [3]، ولو كان في احدهما غنية لم يكن ايجاد الاخر عبثاً

---

(1) البراهمة قبيلة هندية ،أنكروا النبوة، واعتقدوا ان الاله الحق الموجود بذاته لا تدركه الحواس وانما يدرك بالعقل، مروج الذهب 79/1، وانظر التمهيد للباقلاني ص 104 في الرد على البراهمة .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش .

(3) في ش « السمع » .

كما زعم، وقد اشترك حاسة البصر وحاسة السمع في معرفة الشكل والحركة وليس احدهما باطلا، وقد[1] يصطاد الطير بالفخ والجوارح وليس احدهما باطلا، فالعقل من جهة كالبصر، والشرع، كالضوء بين البصر والمبصر، فكما لا يدرك البصر شيئاً من المبصرات بغير ضوء كذا العقل لا يحقق كثيراً من الامور الا بواسطة الشرع، ولذلك وصف الله تعالى الشرع بالنور والسراج والهدى والبيان، نحو « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين »[2]، وقال: ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة ﴾[3]، وقال: ﴿ انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾[4]، ومن وجه العقل كالوزان، والشرع كالميزان، والأمور الدنيوية والاخروية كالموزون، كما أن الوزان ما لم يستغن[5] بالميزان، لا يعرف حقيقة مقدار الشيء فيحتاج أن يخمن ويحرص، والتخمين والحرص قلما يصاب الحق وان اصيب لم يوثق به ولهذا عظم الله تعالى أمر الميزان فقال ﴿ الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان ﴾[6]، الى غير ذلك من الآيات، كالمجمع عليه بين حذاق اهل كل صناعة ان اصول الصناعة مأخوذة

---

(1) ليست في الاصل ويقتضيها السياق.

(2) المائدة 15/5.

(3) آل عمران 138/3.

(4) الاحزاب 46/33.

(5) في ج، لا يستغني.

(6) الشورى 17/42.

عن الوحي فان الاطباء اذا سئلوا عن اصل الطب نسبوه الى بقراط وقالوا اخذ عن نبي في زمانه عرج بروحه الى السماء فاطلع على حقائقه، وكذلك اصحاب النجوم والهيئة اذا سئلوا عن اصل ذلك نسبوه الى هرمس، وهو فيما يقال ادريس النبي صلى الله عليه وسلم[1] وأما شبهة من جعل كل ذلك نبويا فان ذلك من اجل انه لم يأت نبي الا وقد حث على ذلك، كما حث على ما شرع من فروع الدين، ولانهم لم يعهدوا زمان كانت النبوة فيه معدومة، فيقيسوا حالهم بعد ورودها بحالهم قبلها ولم يمعنوا النظر حتى يعرفوا بين ما هو مركوز في العقل يحتاج الى تنبيه الانسان له وبين ما يستفاد من خارج، واذا اعتبر حال الصبيان المتعرين من العادات القبيحة علم ذلك انهم يستقبحون مقابح ويستحسنون محاسن من غير معرفتهم بالشرع والى هذه المعارف التي هي معرفة الله على طريق الاجمال ووجوب شكر النعم وقبح الظلم والغدر والخيانة والكذب والمتعرية من النفع ودفع المضرة اشار تعالى بقوله : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ واذا اخذ ربك من بَني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ [3] الأية .

---

(1) ان هرمس هو ادريس عليه السلام ، وهو اول من تكلم في الاشياء العلوية... واول من نظر في الطب... طبقات الاطباء ص 5، ومروج الذهب 39/1.

(2) الروم 30/30 .

(3) الاعراف 172/7 ، وانظر في تفصيل هذه المسألة نهاية الاقدام للشهرستاني ص 370.

الفصل الثالث

ماهية النبوة

النبي يقال على وجهين :

أحدهما : فعيل من النبأ أي الخبر[1] ، وتسميته بذلك لانبائه بالامور المغيبة ماضيها وآتيها، وعلى ذلك دل قوله تعالى أخباراً عن عيسى عليه السلام ﴿ وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ﴾ [2]. فترك الهمزة من نبي تخفيفا كالبرية والذرية والخابية [3].

والثاني : أن يكون من النبوة اي الرفعة، وهي التي حرمت من قال تعالى فيه ﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ﴾ [4]. وهذا ابلغ من الاول، وما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول : يا نبيء الله فقال « لست بنبيء الله ولكن نبي الله »[5] فقد قال بعض الادباء أراد ان يعرفه الى لغته، ولغة قريش ترك الهمزة ، وليس ذلك بشيء

---

(1) اللسان مادة « نبأ » .

(2) آل عمران 49/3 .

(3) اللسان مادة « نبأ » . عن سيبوية .

(4) الاعراف 176/7 .

(5) اللسان مادة « نبأ » والزمخشري في الفائق 401/3، والنهاية لابن الاثير 3/5 .

وانما الصحيح انه عليه السلام تفرس[1] في الرجل انه خاطبه بذلك اعتقادا انه بعض المخبرين لأنه عليه السلام ممن قد عظمهُ الله ورفعهُ، فقال : انا نبي الله، أي ممن رفعه الله كما قال تعالى ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ [2]. وصرفه عن هذا اللفظ الموهم الى ما لا يوهم، كما قال تعالى ﴿ لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾ [3]. كما كانت اليهود يخاطبونه بهذا اللفظ ويقصدون به الرعونة، وقول النحويين [4] من ان اصلة الهمزة لاجماع العرب على قولهم : «مسيلمة نبيء سوء» فليس ذلك بشيء، فان اجماعهم على ذلك لاعتقادهم فيه انه كان يخبر بسوء لكونه كاذباً وان لم تكن له رفعة بوجه .

واما حد النبوة

فقد قيل : هي سفارة العبد بين الله وبين خليقته من ذوي العقول .

وقيل : هي ازاحة علل ذوي العقول فيما تقصر عنه عقولهم من مصالح المعاش والمعاد.

ومن المحققين من جمع بين المعنيين، فقال هي سفارة بين الله وبين ذوي الالباب لإزاحة عللهم فيما يحتاجون من مصالح الدارين، وهذا حد كامل جامع بين المبدأ من المقصود بالنبوة وهو السفارة المخصوصة وبين منتهاها وهو ازاحة عللهم.

---

(1) في ج « يفرس » ، وفي ش « تفرس » من الفراسة وهو القريب .

(2) الانشراح 4/94 .

(3) البقرة 104/2 .

(4) اللسان مادة « نبأ » .

وصف المستصلح للنبوة ، والفرق بين النبوة والرسالة

حق المرشح للنبوة ان يكون من شرف المنزلة وعلو المرتبة في افق الملائكة، وبيان ذلك ان الله تعالى جعل الموجودات قسمين جسماني وغير جسماني وجعل الجسماني اربعة انواع : الجمادات، والنبات، والبهائم، والانسان، وجعل كل نوع افضل مما تحته فالنبات أفضل من الجمادات، والبهائم أفضل من النبات، والانسان افضل من البهائم والملائكة افضل من الانسان.

وجعل من كل نوع من ذلك ضربا هو في افق ما فوقه فمن الجماد ما هو في افق النبات كالمرجان الذي فيه[1] أثر النمو وتشذيب الاغصان فهو جماد نباتي، وجعل من النبات ما هو في افق البهائم كالنخل الذي فيه الذكور والاناث ويحتاج الى تلقيح كالسفاد في الحيوان، واذا قطع رأسه فسد اصله فهو نبات حيواني وللمشهابة التي بينها وبين الحيوانات قال عليه السلام : « اكرموا عمتكم النخلة[2] »[3]، وجعل أيضاً في البهائم ما هو في افق الانسان كالقرد والخيل فانهما يتعلمان صناعات، ويقاربان في المعرفة الناس الذين هم سكان اطراف المعمورة في[4] آخر الترك والزنج، وجعل من الناس من هو في افق الملائكة من كثرة ما خصه الله به من العلم والمعرفة والثاني لحسن العمل وعبادة الرب فهو انسان

---

(1) كلمة « فيه » ساقطة من ج .

(2) ف ج النحل .

(3) الحلية لابي نعيم 123/6 .

(4) في ج « من » .

ملك، كما قال تعالى ﴿ ما هذا بشر ان هذا الا ملك كريم ﴾ [1]، وبذلك ألم الشاعر فقال :

فلست لإنسي ولكن لملأكٍ   تنزل من جو السماء يصوبُ [2].

ولاتصال[3] آخر كل نوع بأول ما فوقه يكون ذلك كالسلك الواحد الذي ينظم [خرزاً كثيرة، قال تعالى : ﴿ هل ترى في خلق الرحمن من تفارت ﴾] [4]، فالناس إذاً ثلاثة أضرب : ضرب في أفق البهائم من جهة الرذيلة وهم الموصوفون بقوله : ﴿ ان هم الا كالانعام ﴾ [5]، وضرب في أفق الملائكة من الفضيلة، وضرب واسطة بين الطرفين يشرف بحسب قربه من الملائكة ويرذل بحسب قربه من البهائم، والى الانواع الثلاثة أشار تعالى بقوله في صفة الظالم لنفسه والمقتصد والسابق، فمن صفات [6] المرشح للنبوة ان يكون في افق الملائكة حتى يمكنه ان يستفيد من الله عز وجل بواسطة الملك ويفيد البشر، وعلى هذا نبه الله عز وجلَّ بقوله ﴿ لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ [7]

---

(1) يوسف 31/12 .

(2) مجاز القرآن لابي عبيدة 33/1 وفيه «ولست» ونسبه لرجل من عبد قيس، وسيبوية 38/4، واللسان مادة «ملك» وفيه «فلست». وجاء في الاصل : ولست بانسي ولكن ملكا تنزل من حنق السماء يصوب .

(3) في ج ، « ولا يقال » .

(4) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش ، والآية من سورة الملك 3/67 .

(5) الفرقان 44/25 .

(6) في ج « ابهات » .

(7) التوبة 128/9 .

والفرق بين النبي والرسول :

ان الرسالة أخص من النبوة، فكل رسول نبي وليس كا نبي رسول، وقال بعض الحكماء[1] في الفرق بينهما : ان الرسول هو من يأتيه الوحي من الوجوه كلها، والنبي من له الوحي المنامي والالهامي دون غيرها [2]، ومن خاصية الرسول ان تكون له شريعة مخصوصة، والنبي قد لا يختص بشريعة بل يكون مجدداً لشريعة من تقدمه، ولهذا قال « يحكم بها النبيون الذين اسلموا » [3] [اي اسلموا الأمر للرسل الذين تقدموهم] [4] والمرسل يقتضي معنين احدهما : الاتيان بالرسالة، والثاني الاطلاق له ان يسن السنن بالوحي [من جهة الالهام [5]] وذلك مشتق [من قول الشاعر :

. . . . تضل العقاصُ في مثنى ومرسل] [6]

وأما اولوا العزم من الرسل فهم المذكورون في قوله تعالى ﴿ واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم ﴾ [7]، وأمر نبينا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي بهم في قوله ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ [8]، ونهاه

---

(1) كلمة « الحكماء » ساقطة من ج ، والمثبت من ش .

انظر شرح المقاصد 128/2 ، وشرح الطحاوية ص ' 167

(3) المائدة 44/5 .

(4) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش وفيه « للرسول الذين تقدموهم » .

(5) ما بين المعقوفين ساقط من ج .

(6) ما بين المعقوفين ساقط من ش ، وهو عجز من بيت لامريء القيس من معلقته، وصدره : غدائره مستشزرات الى العلا . شرح المعلقات العشر 84 .

(7) الاحزاب 7/33 .

الاحقاف 35/46 .

ان يتخذ من وقع منه زلة قدوة لقوله ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ [1].

باب الاحوال التي لا ينفك منها المرشح للنبوة

حق كل من رشحه الله للنبوة ان تجمع فيه خصال محمودة ولا تكاد ترى مجتمعة في غيره .

الاول : ان يكون من أشرف نسل حتى لا يكون عليه في ذلك غميزة، وعلى هذا نبه بقوله تعالى : ﴿ ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض ﴾ [2]. واصطفاؤهم هو تصفية طينتهم من الشوب وتهذيب انسابهم من الغميزة والعيب، كالشيء يرجع الى اصله في الطيب والخبيث، ولهذا قال تعالى ﴿ والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا ﴾ [3].

والثاني : ان لا يكون مؤوفا[4] في بدنه ولا مشوها [في خلقته][5] فقل ما يرى شوه بدن ولا يتبعه رداءة نفس بل يكون تام الاعضاء صحيح البنية وضيء البدن تؤاتيه اعضاؤه لكل ما يقصد بها فعله .

الثالث : ان يكون طاهر النفس من الاخلاق الدنيئة، مختصاً

(1) القلم 48/68 .

(2) آل عمران 34,33/3 .

(3) الاعراف 58/7 .

(4) الأف :النتن في البدن ، اللسان مادة « أفف » .

(5) ما بين المعقوفين ساقط من ش .

بالاخلاق السنية، وذلك بمحصول اربعة من الفضائل تستتبع عشرين خصلة منها وبها يصير الانسان موصوفاً على الحقيقة بحسن الخلق، فالأربعة هي العفة والشجاعة والحكمة والعدالة .

فأما العفة : فتستتبع الامانة والحياء والرزانة .

وأما الشجاعة : فتستتبع الجود في السراء مع الشكر والاقتصاد في الضراء مع الصبر، ثم الصبر يستتبع القناعة والرضا والتثبت عند وقوع البلاء وقلة المبالاة بالدنيا وقمع الشهوة عن استعبادها للعقل.

وأما الحكمة : فتستتبع قوة الحفظ والفهم والفكر والذكر بالقلب واللسان حتى لا ينسى ما يسمعه ويراه.

وأما العدالة فتستتبع الحلم[1] ، والرحمة ولين الجانب وسهولة الطبع، وبحصول هذه المعاني تحصل الحرية والظرف والمرؤة والكرم، فان الحرية هي ان يبتاع الانسان نفسه ويعتقها من رق الهوى ورذائله، كما قال عليه السلام : « الناس غاديان بائع نفسه فموبقها ومبتاع نفسه فمعتقها » [2].

والظرف : ان يصير وعاء للمحاسن فيحويها تشبيهاً بالظرف الذي هو الوعاء، والمرؤة ان يستطيب[3] المحاسن[حتى يصير كمتناول طعاماً بهنأه ويمرأه، والكرم ان ينظم نفسه المحاسن نظم الكرم، أو أن يثمر نفسه المحاسن][4] كالكرم للعنب.

---

(1) ورد في ج ، الحكمة ، والمثبت من ش .

(2) رواه الترمذي 536/5 ، ومسند احمد 321/3.

(3) في ج « يستطيل » .

(4) اما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش .

الرابع : ان يكون ما يدعيه ويدعو اليه موافقاً للعقل، فان من ادعى خلاف ذلك لا يصغى اليه، كما ادعى زرادشت[1] من الجهل بالصانع وهيئة العالم وشكلها، ودعا الناس الى ما دعا اليه ماني[2] ومزدك [3]، فحرم ماني العمارة والمكاسب التي بها صلاح العالم، وأباح مزدك الزنا المؤدي الى فساد الانساب فمثله لا يعرج عليه ولا يلتفت اليه.

والخامس : ان يكون مجيئه في وقت يختل فيه الدين وتشتد الحاجة الى من يتداركه اما باصلاحه وتنقيته على ما كان، واما بتغيره الى ما هو اصلح في وقته .

والسادس : ان يكون المكان المبعوث فيه مقتضياً لذلك.

والسابع : ان يكون من قبله من الانبياء قد بشر به تعريفاً وعلى وجه يعرف مغزاه اولوا الاحلام، واولوا الالباب، كما نبه بقوله تعالى في قصة عيسى عليه السلام ﴿ ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد ﴾ [4].

والثامن : الامر الذي يأتيهم به هو الذي يتمناه اولوا الالباب في

---

(1) زرادشت بن اسبيحان ، نبي المجوس صاحب كتاب الزمزمة عند العوام، احرقه الاسكندر، مروج الذهب 229/1، والملل والنحل 77/2.

(2) ماني بن فاتك الحكيم تنسب اليه المانوية، كان مجوسي الاصل، قتل زمن سابور بن بهرام، الملل والنحل 81/2، ونشأة الفكر الفلسفي 194/1.

(3) مزدك صاحب مذهب المزدكية، احل النساء ، وأباح الاموال، وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والكلاء، الملل والنحل 86/2.

(4) الصف 6/61 .

زمانه، ويظهرون الرغبة فيه، وعلى ذلك نبه بقوله تعالى ﴿ واقسموا بـالله جهد ايمـانهم لئن جـاءهم نـذيـر ليكـونن اهـدى من احـدى الامم ﴾ [1].

والتاسع : ان يكون رشيداً ، أعني الـرشد المـذكور في قـوله ﴿ ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ﴾ [2]، والرشد : هو هيئة بها يقدر الانسان على ايجاد النظام المرضي فيما اليه تدبير من السياسات الثلاثة، سياسة الانسان لنفسه، وسياسة لماله وداره، وسياسة للبـلاد والعباد، الا ان بين حصـول الرشـد للانبيـاء وبين حصـوله لغيـرهم ان المتـولى لـرشـد الانبيـاء هـو الـروح الامين، والمتولى لرشد غيرهم واحد من الادميين.

والعاشر : ان يؤخذ بأدنى زلة تقع منه وايسر هفوة تبدر، لئـلا تستمر به العادة فتؤدي الى ما هو اكبر منه، ولهذا ما قرع داود عليه السـلام بقصـة الخصمين حتى قـالا « احكم بيننـا ولا تشـطط » [3] وسليمان عليه السلام بأن القى على كـرسيه جسـدا، ومحمد صلى الله عليه وسلم بأن قال « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم » [4].

والحادي عشر : ان يخصه الله تعالى بفضـل اكرام وإيجـاب واجابة دعوة كما فعل بموسى عليه السلام حين قـال : « رب اشرح

---

(1) فاطر 42/35 .

(2) الانبياء 51/21 .

(3) سورة الانفال ص 22/8 .

(4) الانفال 68/8 .

لي صدري ويسر لي امري » الى قوله « لقد اوتيت سؤلك يا موسى »[1].

والثاني عشر : ان يمده الله بسكينة وروح من عنده وبنور يسري في مشاعره وحواسه[2] فيكون ذلك سبباً لاستعطاف نفوس الورى اليه حتى لا يكاد ينظر اليه [ذو بصيرة][3] إلاّ هابهُ وآثره واحبه وقدمه على النفس والاهل والولد، وذلك هو المشار اليه بقوله تعالى لموسى ﴿ والقيت عليك محبة مني ﴾[4]، وقوله ﴿ وأنا اخترتك ﴾[5]، وبقوله في عيسى ﴿ وكلمته القاها إلى مريم وروح منه ﴾[6]، وقوله لمحمد عليه السلام ، ﴿ كذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾[7] ، ولهذا روى ان نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يأتيه من يريد قتله فما هو الا ان ينظر اليه وقد احبه وهابه.

ومن لم يؤت بصيرة يعرف بها هذه الفضائل وشاهد الاشباح المجردة، والاجسام الممثلة اعتورتهُ الشبهة فيمن يأتيه الوحي من الله عز وجل وادعى السفارة بين الله وبين عبيده كما قال الله تعالى

---

(1) سورة طه 36,25/20.

(2) في ج ش « مشاعرهم وحواسهم » .

(3) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش .

(4) طه 39/20 .

(5) طه 13/20 .

(6) النساء 171/4 .

(7) الشورى 52/42 .

﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشراً مثلكم انكم اذا لخاسرون ﴾ [1].

ذكر المعجزات للانبياء والكرامات للأولياء

المعجزة : هي فِعْلٌ ناقض للعادة تقصر عنه قوة البشر بالتدبير والصنعة ويختص بمن يدعي السفارة بين الله وبين البشر، ومن أنكر جواز المعجزة ممن يدفع النبوة، وقال هذا ممتنع، فان كان ممن لا يقر بالباري سبحانه وبسعته وقدرته فمكالمته في تثبيت النبوة محال، وان كان ممن يقر بذلك فمعلوم ان القادر على ايجاد الجوهر واعدامه قادر على تغيير بعض خواصه، وواجب لكل نبي ان تكون له معجزة تسكن نفوس البشر اليه فيما يدعوهم اليه.

والمعجزات ضربان : حسي وعقلي .

فالحسي : ما يدرك بالعيان وتقع عليه المشاهدة كطوفان نوح وناقة صالح، ونار ابراهيم وعصا موسى.

والعقلي : ما لا يدرك الا بالبصيرة والروية والفكرة كالخصائص التي تقدم ذكرها.

فأما الحسي ، فانه اوقع عند العامة وابهر لعقولهم الا ان التمييز بينه وبين ما يكون من جهة التدبير والصناعة والعادة الجارية ليس الا للمبرز في العلم الذي يقوى للفرق بين الحجة والشبهة، ويعرف

---

(1) المؤمنون 34،33/23 .

طـرف الشعبـذة وكيـد السحـر ومـا يتوصل اليه بـالنيـرنجـات[1] والتوجيهات، وأما العقلي فهو أبلغ في القوة وأدل على الصدق وأبعد من الشبهة، ولكن لا يعرفه الا عالم نحـرير يكـون متأمـلاً لأحوال النبي المبعوث متعرفاً لكل ما تقدم ذكره، ولا تدخل العامة من هذا النوع من المعجزات لا من رؤيته ولا من الحكم عليه، واما الحسية فلم تدخل في رؤيته دون الحكم بصحته، فان العامة قليلة الحظ في معرفة المعجزات ومن اعتمد المعجزة العقلية استفاد يقينا لا يعقبه شك، ومن اعتمد المعجزة الحسية فقد يعرض له الشك حتى ربما يزيد كقوم ثمود حيث اخبـر الله تعالى بقـوله ﴿ وأتينا ثمـود الناقـة مبصرة فظلموا بها ﴾ [2]، ومن عرف المعجزات المعقولة لم يـركن الى المحسوسات، بل اذا رأى صاحبها يدعي النبوة صدقهُ كما فعل ابو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فانه لما شاهـد الخصال النبـوية [مجتمعة في محمد ـ عليه السلام ـ اخذ ينتظر منه الدعـوى، فلما ادعى][3] صدقه ولهذا قال ـ عليه السلام ـ « مـا عرضت الاسـلام على احد الا كانت له كبوة غير ابي بكر فانه لم يتلعثم » [4].

والمعجزة للانبياء كالكرامة للاولياء ، وهما من حيث ان فيهما نقض العادة والخروج عن القدرة بالتدبير والصنعة، غير أن المعجزة تظهر على الانبياء ابتداء والكرامة تظهر على الاولياء بعد الاجتهاد

---

(1) النيرنجات نوع من التمويه والتحيل ، مفتاح السعادة 365/1.

(2) الاسراء 59/17 .

(3) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش .

(4) سيرة ابن هشام 255/1 .

في العبادات، وايضا فالمعجزة تكون معها التحدي والكرامة بخلاف ذلك.

وأنكرت المعتزلة كرامات الاولياء ، وكذبوا رواتها المدعين لمشاهدتها مع كونهم صادقين في جميع اخبارهم، وقالوا ان ذلك لو ظهر على غير نبي وفي غير زمانه لادى الى التشكيك في امر النبوة.

وهذا جهل بحقيقة المعجزة وانما كان ذلك يلزم ان لو اظهره الله على يد من يقوى به ويدعو الى نفسه، فأما اذا أظهره على يد من تقوى به نبوة نبيه ويرغب الناس في عبادة الله ليقربوا من منزلته، فذلك مقو للنبوة، على ان الظهور في أمة النبي - صلى الله عليه وسلم - كظهورها في زمانه على يد غيره، ومعلوم ان ذلك قد ظهر في أزمنة الانبياء كقول من قال لسليمان عليه السلام : « أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك »[1] وكحال مريم فيما كان يوجد عندها من طعام الصيف في الشتاء، وطعام الشتاء في الصيف وعلى ذلك قوله ﴿ انى لك هذا قالت هو من عند الله ﴾ [2]، ويقوى ذلك ما قال عليه السلام « ان في امتي لمحدثين ومروعين » [3]، ومتى ظهر شيء من ذلك على بعض امّة محمد (ص) كان ذلك تصديقاً وتحقيقاً لما أخبر به .

---

(1) النحل 40/27 .

(2) آل عمران 37/3 .

(3) رواه البخاري 512/6 ، ومسلم 1864/4، وفي رواية رجال يكلمون من غير ان يكونوا انبياء . . .

شرط المعجزة

ان تكون موافقة لطباع المبعوث اليهم وملائمة لعقولهم، ولهذا كان أكثر آيات موسى ـ عليه السلام ـ حسية ليدركوها بحواسهم، فقد كانوا لغباوتهم يقصرون عن ادراك المعقولات وكان أكثر معجزات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ معقولة لكون جل أصحابه ذوي العقول الراجحة وقد أجرى الله تعالى العادة، إنه إذا أراد أن يبعث نبياً الى خلقه ان يجعل معجزته من جنس ما برع فيه قومه، حتى اذا جاءهم ذلك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمعجزته [من جنسه][1] سهل عليهم [تبين حالها][2]، ومعرفتها وعلو مرتبته فيها، وذلك يتحقق[3] باعتبار الازمنة التي ظهرت فيها النبوات، وذلك ان قبيل زمن موسى عليه السلام، ظهر السحر وتوفرت دواعي الناس حتى تلقوا فيها الغاية، فلما جاءهم موسى عليه السلام بما كان في الظاهر شبيها بصناعتهم، فعلاهم وعجزوا عن الاتيان بمثله، فأقروا بالعجز عنه واعترفوا بالاذعان له، فقالوا « آمنا برب العالمين رب موسى وهارون »[4]، وكذلك ظهر قبل زمان عيسى عليه السلام الطب وتوفرت عليه دواعي الناس حتى لم يعهد الطب في زمن اكثر منه في زمانه فلما جاء بالمعجزة من عنده ولم يكن في طوق البشر[5]

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش .

(3) في ج مستحق .

(4) الاعراف 122/7 .

(5) في ج ، طوق مثله .

مثله أذعنوا له، ولهذا لما حكي لجالينوس عن حال[1] عيسى ـ عليه السلام ـ في معالجة الأبرص استعظمه ولم يقربه فلما قيل إنه يحيي الموتى اذعن له واعترف به، وكذلك ظهر قبل زمان نبينا عليه السلام نوعان من العلم، توفرت عليه دواعي الناس، احدهما عقلي وهو الكهانة والقيامة والعرافة، وتعبير الرؤيا، والاخر لفظي وهو توالي نظم الالفاظ من الشعر والسجع وارتجال الخطب فما عرف في زمن من قوة المهانة والعرافة والفصاحة ما كان في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فلما جاءهم ـ عليه السلام ـ بما كان من جنس صناعتهم فاعجزهم اذعنوا له، وكان ـ عليه السلام ـ يقرعهم بالعجز والتقصير ويبعث خاطرهم على الاتيان بمثله تأكيدا عليهم فما زادوه على ان قال معاندوه مرة « لو نشاء لقلنا مثل هذا»][2] وتارة قالوا : « اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا»][3] وتارة قالوا : « لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة »[4]وتارة قالوا : « ائت بقرآن غير هذا »[5].

الفرق بين النبي والمتنبي

الفرق بينهما وان كان يدق عند العامة ، فانه ظاهر جدا[6]عند

---

(1) ساقطة من ج .

(2) الانفال 31/8 ، والآية ساقطة من ش .

(3) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش ، والآية من سورة الفرقان 5/25 .

(4) الفرقان 32/25 .

(5) ابونس 15/10 .

(6) كلمة جدا ساقطة من ج .

الحكماء ومن تعرى من الخصائص التي ذكرناها للانبياء ـ عليهم السلام ـ فمعلوم انه متنبي متكلف لما يظهره من ذلك ولن يخلو من ظهور تكلفة وافصاحه به .

ان التخلق يأتي دونه الخلق [1]

ثم محال ان يمكنه الله تعالى من معجزة، وان أتى سحرا وشعبذة واشياء من النيرنجات ان يخفي امره على حكماء زمانه وان خفي على الاغبياء .

صحة نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

من عرف الشرائط المتقدمة سهل عليه معرفة صحة نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقد كان من اشرف نسل عمومة وخؤلة ، فمن تأمل أحوال الأمم عرف صحة قوله ـ عليه السلام ـ «ان الله اصطفى العرب من بني آدم واصطفى كنانة من العرب واصطفى بني هاشم من كنانة واصطفاني من بني هاشم » [2]، وكان موصوفا بالخلق السوي على ما نطق به الاخبار المروية ، وكان في الغاية من حسن الخلق حتى قال جل وعز له ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [3]، ودعا الى ما طابق العقول الصحيحة من العلوم النظرية والعملية ، وكان زمانه مقتضياً لمجيء رسول فيه ، لانهم كانوا على فترة من

---

(1) عجز من بيت شعر نسبه صاحب اللسان الى سالم بن وابصة مادة «خلق»، وصدر البيت :

يا أيها المتحلي غير شميته ....

(2) مسند احمد 107/4 ، وجامع الترمذي 583Ω5.

(3) القلم 4/68 .

الرسل ولذلك قال تعالى : ﴿ قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾[1]، وكان يتمنى مجيئه كما قال تعالى ﴿ واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم ﴾[2]، وكان مكانه الذي ظهر منه لائقاً بذلك لكونه مجمعاً ولذلك قال تعالى : ﴿ وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها ﴾[3].

وأما المعجزات الحسية فظاهرة كحنين الجذع [4]، وكلام الذئب[5]وتسبيح الحصا في يده [6]، وانشقاق القمر[7]ومجيء الشجرة [8]، وكلام الذراع المسمومة معه [9]، ونبوع الماء من تحت اصابعه[10]، ودر الشاة الحائل لما مسحها[11] وغير ذلك مما نقله اصحاب الحديث، ثم ما روى من اخباره بالغيب اكثر من ان تحصى، نحو قوله : « قوموا بنا نصلي على ملك الحبشة فانه

---

(1) المائدة 19/5 .

(2) فاطر 42/35 .

(3) الشورى 7/42 .

(4) صحيح البخاري 601/6 .

(5) المصدر السابق 512/6 .

(6) البداية والنهاية لابن كثير 132/6 .

(7) البخاري 130/6 ، ومسلم 2158/4.

(8) صحيح مسلم 2306/4 .

(9) أخرجه ابو داود 351/3 .

(10) لبخاري 580/6 ، ومسلم 1783/4.

(11) مسند احمد 379/1 .

مات » [1] ، وقوله لرسول ملك الفرس : « ان ربي قتل ربك البارحة » [2] وقوله لعمار [3] : تقتلك الفئة الباغية [4]، الى غير ذلك من الاخبار التي جمعها اصحاب الحديث.

ومن معجزات نبينا ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ اتيانه بالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وتقريع العرب[5] بالعجز عن الاتيان بمثله او بمثل عشر سور او سورة واحدة، مثله مع كون العرب في وقته ارباب الكلام وحذاق اهل الصناعة لنظم الخطب والرسائل واتيان السجع، وكان ما اتى به من القرآن متضمنا لاجناس كلامهم من وجه وخارجا من كلامهم من وجه، فقصرت الفصحاء عن اختراع مثله، حسن لفظ وجودة معنى وتضمن من الاخبار بالغيب ما قصر عن الإتيان بمثله الكهنة والعرافون والمنجمون، ومن الحكم البديهة المزجرة ما عجز عنه الحكماء البرعة فصار لتضمنه انواع المحاسن من كل وجه بحيث وصفه الله تعالى بانه تبيان كل شيء وقوله « ما فرطنا في الكتاب من شيء » [6] ولذلك اشار تعالى بقوله الى الاكتفاء بالاستدلال به بقوله [7] : ﴿ او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم[8] ﴾ وشرح ذلك

---

(1) البخاري 191/7 ، ومسلم 658/2، ومسند احمد 438/3.

(2) الخصائص للسيوطي 132/2 .

(3) عمار بن ياسر صحابي من السابقين للاسلام، قتل في صفين مع علي (رض) الاصابة 512/2.

(4)رواه البخاري 541/1 ، ومسنذد احمد 161/2وجامع الترمذي 669/5.

(5) كلمة « العرب » ساقطة من ج .

(6)الانعام 38/6 .

(7) كلمة « بقوله » ساقطة من ج .

(8) العنكبوت 51/29 .

يستدعي كتابا يطول حجمه، وقد نصت عليه كتب كثيرة والله الموفق للصواب.

كون الاسلام مؤيداً

قد دل على ذلك السمع والعقل.

أما السمع فقوله تعالى في صفة محمد ـ عليه السلام ـ انه «خاتم النبيين»[1] وقوله عليه السلام: «انه لا نبي بعدي»[2] وغير ذلك من الاخبار، والعقل ما نبه تعالى عليه بقوله ﴿ وكذلك جعلناكم امة وسطا ﴾[3] وقوله ﴿ دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا ﴾[4] وبيان ذلك ان اديان الانبياء بعد ابراهيم عليه السلام تجري من نفوس البشر مجرى الطب للاطباء في ابدانهم وبهذا التشبيه روى ان المسيح عليه السلام كان اذا دخل قرية نزل على اشرارهم وقال: «اني طبيب والعليل احوج الي من الصحيح»[5] وقيل: العالم طبيب الدنيا والدين، فاذا جر الطبيب الداء الى نفسه فكيف يداوي غيره، ولاجل ذلك سمي الكفر والنفاق مرضا في نحو قوله «في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا»[6].

---

(1) الاحزاب 40/33

(2) رواه البخاري 577/10 ومسلم 471/3.

(3) البقرة 143/2.

(4) الانعام 161/6.

(5) انجيل متى الاصحاح 9 آية 10.

(6) البقرة 10/2.

وهو ضربان : ازالة الامراض بالدواء ، وحفظ الصحة بالغذاء .

[والدواء يحتاج اليه في حال المرض][1] ، والغذاء يحتاج اليه في كل حال، والشرائع التي كانت قبل الاسلام جرت من نفوس الناس مجرى الدواء، اما معالجة افراط او كمعالجة تفريط وذلك ان بنِي اسرائيل كان قد حمل منهم الحمية لما لحقهم من جهة القبْط، فانهم كانوا يسومونهم سوء العذاب يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم. فبعث الله موسى عليه السلام لينقذهم من المذلة ويحيي فيهم قوة الحمية والى ذلك اشار تعالى بقوله : ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور ﴾[2] ولذلك اباح لهم الاطعمة الخشنة والاكسية الخشنة وحملهم على الاسفار الشاقة وحرم عليهم استيطان البلدان اربعين سنة يتيهون في الارض، وقيل لهم اقتلوا انفسكم، فروى انهم تقاتلوا حتى قتل منهم سبعون الفا[3] فلما شبوا على ذلك وطالت مدتهم وتعدوا اطوارهم فصاروا كما قال تعالى ﴿ أوكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴾[4] فاحتج الى مداواة ذلك الافراط بما يضاده من التفريط كمداواة الحرارة المفرطة بما يضادها فبذلك يعود حاله الى حد الاعتدال، كذلك حال الدين لما فسد بالافراط احتاج في رده الى حد الاعتدال ان يداوي بما يضاده من التفريط فبعث الله

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش .

(2) ابراهيم 5/14 .

(3) انظر تفسير القرطبي 130/6 ، وتفسير ابن كثير 40/2.

(4) البقرة 87/2 .

تعالى عيسى بشريعة اقتضت خمود شهوتهم وكلال قوتهم، فأمرهم بـالزهـد في الدنيـا والاقتصـاد في المـطعم والمشـرب والمنكـح، واحتمال الفظاظة والتزام المهانة حتى قـال لهم : اذا لطم الـواحد منكم من احد خديـه فليمكن الخد الاخـر حتى يلطم واذا سخرت ميلا فتسخر ميلين » [1].

ولذلك قال تعالى ﴿ وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم ﴾ [2]، وقال ﴿ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ﴾ [3]، كل ذلك لقمع شهوتهم وكف غرتهم حتى ظهر بهذه المداواة الاعتدال، فلما رجعت نفوسهم الى حالة الاعتدال احتيج حينئذ[4] الى طبيب يأتيهم بغذاء يحفظ عليهم الصحة، فبعث محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدين قيم ووسط معتدل لا افراط فيه ولا تفريط وذلك دين ابـراهيم عليـه السـلام، ولـذلـك قـال تعـالى : ﴿ دينـا قيمـا ملة ابـراهيم حنيفـا ﴾[5] وقال ﴿ ملة ابيكم ابـراهيم هـو سمـاكم المسلمين من قبل﴾[6]، وإلى نحو هذا أشار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ «ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السمـوات والارض » [7]، تنبيها انها قد عادت الى الحق المشار اليه بقوله : ﴿ يوم خلق السموات

---

(1) انجيل متى الاصحاح 5 آية 38.

(2) المائدة 46/5.

(3) الحديد 27/57.

(4) كلمة « حينئذ » ساقطة من ج.

(5) الانعام 161/6.

(6) الحج 78/22.

(7) رواه البخاري 324/8.

والارض ﴾[1] فأمر بالقتل تارة وبالعفو تارة وبالصوم تارة وبالافطار اخرى وبالنكاح مرة وتركه مرة اخرى، ولذلك قال « كنتم خير امة اخرجت للناس »[2]، وقال : « وكذلك جعلناكم امة وسطا »[3]، فدل ذلك ان دينه عدل ووسط، وكل عدل حق. وما بعد الحق الا الضلال، فإذاً وجب تنقية هذا الدين ومراعاته، في كل حال وحفظه عن العدول عنه في كل زمان .

الكلام في الوحي

الاصل في الوحي الاشارة اللطيفة وذلك يكون بالاشارة طورا وبالقول وبالكتاب وبضرب المثل، وعلى ذلك قال تعالى : ﴿ فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا ﴾[4] [قال الشاعر في وصف ظليم[5] :

يوحى اليها بانقاض ونقنقة كما تراطن في افدانه الروم[6].

---

(1) التوبة 36/9 . وجاء في نسخلا ش كلمة «بالحق» في اخر الآية، ولم يرد في القرآن آية تبدأ بـ يوم خلق والسموات. . . وفيها بالحق، الا ان الوارد في المصحف بدون الابتداء بكلمة «يوم»، الانعام 73/6، وابراهيم 19/14، والنحل 3/16 .

(2) آل عمران 110/2 .

(3) البقرة 143/2 .

(4) مريم 11/19 .

(5) الظليم : الذكر من النعام « اللسان مادة ظلم » .

(6) ما بين المعقوفين ساقط من ش ، والبيت لعلقمة ، ديوانه ص 62 . واللسان مادة « وحى » . ومادة « رطن » وفيها « كما تراطن في حافاتها الروم » . وفي مادة « فدن » : في أفدانها » والفدن القصر الشيد . والتراطن كلام لا يفهمه الجمهور ، وهو التكلم بالعجمية ، والنقنقة : نقَّ الظليم : صوَّتَ، والإنقاض : جمع نقيض وهو من الاصوات يكون لمفاصل =

ويقال: وحي، وأوحى أكثر، قال تعالى: ﴿ وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ﴾[1]، ويعبر بالوحي عن الالهام الملقى الى الحيوانات والبشر، نحو ﴿ وأوحى ربك الى النحل ﴾[2] وقوله: ﴿ وأوحينا الى ام موسى ان ارضعيه ﴾[3].

والوحي من الله تعالى الى عباده ربما كان نفثاً أو قذفاً في القلب وربما كان سمعاً في الاذن من غير رؤية، وربما كان بلسان شخص مرئي يشافه بما يؤديه عن الله تعالى الى النبي المبعوث اليه، فأدنى هذه المنازل الثلاثة النفث، نحو ما روى عنه عليه السلام ﴿ ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ﴾[4]، ثم ما كان ملقى بالسمع، ثم ما كان من قول شخص مرئي، والاول مبدأ الثاني والثاني مبدأ الثالث وقد أبان الله تعالى عن ثلاثية بقوله: ﴿ وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء ﴾[5] وقد غلب على نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الوحي الى قلبه وعلى ذلك قوله تعالى: [﴿ وانه لتزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك ﴾[6]، وقوله:

= الانسان. . . والنعام، وقال: والانقاض: صويت مثل النقر. اللسان مادة «رطن» ونقق ونقض».

(1) الانعام 121/6.

(2) النحل 68/16

(3) القصص 7/28.

(4) تفسير ابن كثير 123/1، الحلية 27/10، والمستدرك 20/1.

(5) الشورى 51/42.

(6) الشعراء 192/26، 193، 194.

﴿من كـان عدوا لجبـريل] فـانه نـزل على قلبـك بأذن الله ﴾[1] ،
وكان عليه السلام ربما يـأتيه جبـرائيل في صـورة بعض الاعراب ،
وفي صـورة دحيـة الكلبي ، ولقيـه في بعض الاوقـات على هيئته
وصـورته المختصـة ، وقال بعض الحكمـاء : ان النبي ـ صلى الله
عليه وسلم ـ لم يكن يخلو في عامة اوقاته من نفث روح القدس في
روعه ، وأما سماع الصوت ورؤية الشخص فقد كان حينا بعد حين ،
ومن خصه الله بمأثرة النبوة ووفر حظه من الرسالة ناله من ثقل الوحي
ما يكابده، فقد روى عن الانبياء عليهم السلام ، انـه كان يعتـريهم
عند الوحي نوع من التغير، الا انه لم يبلغ ما كـان ينالهم مبلغ مـا
وصل به نبينا عليه السلام ، فقد روى انه ربما كان يحتاج عند نزول
الوحي عليه الى تزمل وتدثر، حتى صار ذلك من حاله وصفا مختصا
بـه ، ولذلـك قال تعـالى ﴿ يـا أيهـا المـدثـر ﴾[2]، و ﴿ يـا أيهـا
المـزمـل»[3] ، وروى انـه كـان اذا نـزل عليـه الـوحي وهـو علي
راحلتـه ثقل عليهـا حتى بركت لعجـزها عن حمله»[4] وكـان ذلـك
أمـرا بينا ولاجـل هـذا الثقـل فـال تعـالى ﴿انا سنلقي عليك قولاً
ثقيلاً ﴾[5] وروى انـه عليـه السـلام كـان يـأتيـه الـوحي في اليـوم
الثاني فلا يـزال يعرق حتى تبـل ثيابـه، وروت عائشـة رضي الله

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش .

(2)البقرة 97/2 .

(3)المدثر 1/74 .

(4)المزمل 1/73 .

(5)تفسير القرطبي 38/19 .
المزمل 5/73 .

عنها : ان الحرث بن هشام[1] سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوحي كيف يأتيه ؟ فقال عليه السلام : « احياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا أشد ما يكون على فيفصم عني وقد وعيته، واحياناً يتمثل لي الملك فأعي ما يقول » [2]، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم المنام الصادق جزءاً من ستة واربعين جزءاً من النبوة [3]، وقد جعل الله هذا الجزء من النبوة لكثير من الناس وان اختلفت احوالهم فيه، وقد اخبر الله تعالى بأن ذلك بعض ما خص به النبي من الوحي اليه بقوله تعالى : ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ﴾ [4] الآية .

عصمة الانبياء عليهم السلام

العصمة في اللغة : المنع الشديد[5] ، اما بالقهر واما بالزجر والامر، وقد اجمع العلماء على ان النبي من حقه ان يكون معصوما عن الكفر والفسق والكذب في أوامره والجهل بأحكامه، لكن اختلفوا في وجه، عصمتهم : فقال قائل : هي فعل يوقعه الله تعالى فيهم يمنعهم عن المعاصي منعا [6]، وقال قائل : ينزع هممهم عنها

---

(1) الحرث بن هشام شقيق ابي جهل، اسلم يوم الفتح، مات في طاعون عمواس بالشام سنة 18هـ ، الاصابة 293/1.

(2) رواه البخاري 18/1 ، ومسلم 181/4.

(3) البخاري 373/12 ، ومسلم 1773/4.

(4) الفتح 27/48 .

(5) اللسان مادة « عصم » .

(6) كلمة « منعاج » من ش. .

بآياته الباهرة كحال يوسف عليه السلام حيث قال : « ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه »[1]. وقال بعضهم : يأخذه اياهم بصغائر اجرامه وذنوبهم حتى يصير ذلك مانعا لهم.

وقائل قال : بل ذلك باختيارهم وعزيمتهم. وعند المحققين : ان عصمتهم بتخصيصهم بالخصال المذكورة في الباب المتقدم في صفة المستصلح للنبوة .

فأما من قال : هم ممنوعون عن الذنوب حتى لا يقدروا عليها فخطأ فان الله تعالى خلق الانسان حياً ناطقاً مميزاً مختاراً، فقال : « إنا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا »[2]، وقال : « ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين »[3] واخراج الانسان عن هذه البنية المخصوصة اخراج به عن الانسانية، فان ذلك من خصائص الانسان، ولذلك قال تعالى لنبيه ﴿ قل انما أنا بشر مثلكم ﴾[4]، ومن لا يمكن وقوع المعصية منه فليس بواجب وقوع الطاعة منه، لانهما متقابلان، ومن فعل فعلا انطباعا لم يوصف بكونه مطيعا ولا استحق عليه ثوابا ، ولو[5] لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قادراً على المعصية لم يقل : « لئن اشركت ليحبطن عملك »[6]،

---

(1) يوسف 24/12

(2) الدهر 3/76 .

(3) البلد 9,8,7/90 .

(4) الكهف 110/18 .

(5) كلمة « لو » من ش .-

(6) الزمر 65/39 .

الى غير ذلك من الوعيد، ولذلك لا يصح ان يقال انه كان مصروفاً، عن الشر قهرا، فان ذلك يخرجه من كونه مستحقاً للثواب وقوله « وهم بها لولا ان رأى برهان ربه » (1)، يقتضي ان لم يكن منه هم بها لتذكر برهان ربه، ولو هم كما همت لما قال « ولقد راودته عن نفسه فاستعصم » (2) ولا يمكن لاحد ان يستعصم باختياره المجرد (3)، والله تعالى يقول لنبيه عليه السلام « ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً » (4)، فثبت بهذه الجملة ان العصمة تحصل باجتماع امور كثيرة على حسب ما تقدم ذكره، فان الله تعالى جعل جبلة الناس متفاوتة كما قال الله تعالى ﴿ ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾ (5) فجعل بعضهم للحرب اصلح، وبعضهم للحرث وبعضهم للعلم، فكذلك جعل بعضهم للنبوة والرسالة، وعلى هذا قال : ﴿ انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ﴾ (6).

---

(1) يوسف 24/12 .

(2) يوسف 32/12 .

(3) في ش « وبعيد ان يقال يمكن لاحد ان يستعصم . . . . »

(4) الاسراء 74/17 .

(5) الانعام 165/6 .

(6) سورة ص 38/46،47

الفصل الرابع

في الملائكة والجن واثبات الروحانيات وانواعها

جل العقلاء على ان الاعيان الموجودة ثلاثة : جسماني مجرد، وجسماني روحاني كالانسان وروحاني مجرد وهم الملائكة والجن، ولا خلاف بين اهل الملل المختلفة المحقة في وجود الملك والشيطان وهما المسميان عند المتقدمين الارواح الطيبة والارواح الخبيثة ومن انكر وجودها من الطبيعين اعتمادا على انا لسنا نتصورها، وعدوا كل ما ذكر في تأثيراتها اباطيل ولا اعتبار بهؤلاء ، فان تصور الشيء بالوهم يتبع الحس وما لا يحس لا تتصوره النفس وانما اثبته العقل بالبراهين والادلة.

وجملة الامر ان من اقر بالباري سبحانه وقدرته لم يمتنع من وجود الملائكة والشياطين فإن ذلك داخل تحت قدرة الله تعالى والحكمة لا تمنع ايجادها ، بل تقتضيها ، فوجودها إذا ممكن وقد ورد السمع به ، ومن صفة[1]، القادر، التام القدرة ايجاد كل ضدين لما لم يكن محالاً ، فلما جعل تعالى بأزاء الشيء القائم بذاته وهو الجوهر، الشيء الذي

---

(1) في ج « وصف » .

قوامه بغيره وهو العرض وجعل بأزاء [الأشياء][1] المحسوسة المركبة الاشياء المعقولة البسيطة، وبإزاء الحركة السكون، وبازاء الاجسام التي تقبل الكون والفساد والاجسام التي لا تقبلها في كل حال، كذلك جعل بازاء الخلق الذين يحسون وهم الاجسام الكثيفة خلقا لا يحسون وهم الروحانيات اللطيفة، وذلك احد مانبه عليها بقوله تعالى ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾ [2]، فدل ذلك على ان الروحانيات موجودة.

ماهية الملائكة

اختلفت في ذلك :

فقال عبدة الأصنام : ـ انها الكواكب وان المسعدات منها ملائكة الرحمة والمنجسات منها ملائكة العذاب، وقال قوم من النصارى : الملائكة أرواح الاخيار، والشياطين ارواح الاشرار، وقالوا : ويسميان بذلك اذا فارقت البدن، وقال جملة الاعراب هي بنات الله ولذلك قال تعالى : ﴿ ويجعلون لله البنات ﴾[3] وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا» [4].

وقال المسلمون وغيرهم من اهل الملل : انها روحانيات وهم لباب الخليقة وخلاصة العالم، وايدهم الله من النور، والايمان بهم

---

(1) ساقطة من الاصل ويقتضيها السياق .

(2) الذاريات 49/51 .

(3) النحل 57/16 .

(4) الزخرف 19/43 .

احدى قواعد الشرع، وبذلك ورد الكتاب والسنة [كقوله تعـالى : [والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته[1] ﴾][2]، وقول النبي ﴿ الايمان ان تؤمن بالله وملائكته ﴾ [3].

وأما اثباته من جهة العقل والكلام فيـه غموض، ويخفى على من لم يتدرب بالحقائق فلذلك اضربت عن ذكره، واشتقـاق لفظ الملائكة من قولهم : ألكت اليه اي ارسلت، والألوكـة الـرسالـة، وواحد الملائكة ملاك وأصله مألك فقلب نحو جبذ وجذب [4].

وأما ملك فقد قيل : أصله ملأك فحذفت الهمزة بعد ان القيت حـركتها على الـلام، وقيـل بـل ليس من لفـظه وانمـا الملك اسم للسائس الروحاني، كما ان الملك اسم[5] للسـائس الانسي، ومن هذا قيل : ملك الموت ومالك النار، والملائكة رسـل الله وخلفاؤه على امور لا يستصلح له الناس، كما ان الناس خلفاؤه في امور لا يستصلح لـه الملائكـة، ولقصور المـلائكة عن امـور يستصلح لـه الناس، قالوا لما نبههم الله تعالى على ذلك « سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا » [6]، ولقصور الانسان عن امور يستصلح له الملائكة امر تعالى نبيه عليه السلام ان يقول « ولا أقول لكم اني ملك » [7].

---

(1) البقرة 285/2 .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش .

(3) البخاري 114/1 ؛ وسنن ابن ماجة 24/1.

(4) انظر اللسان مادة « ألك » .

(5) ساقطة من ج .

(6) البقرة 32/2 .

(7) الانعام 50/6 .

تأثيرات الملائكة

لكل نوع من الملائكة مقام معلوم كما قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ وما منا الا له مقام معلوم ﴾ [1]، وهم على القول المجمل ثلاث اضرب : ضرب اليهم تدبير الاجرام السماوية وضرب اليهم تدبير الاركان الهوائية، وضرب اليهم تدبير الامور الارضية، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله : ﴿ والمدبرات امرا ﴾[2]، فالذين اليهم تدبير الاجرام السماوية هم المقربون المعنيون بقوله ﴿ لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ﴾[3]، وقال بعض المتوسمين بالحكمة : المقربون هم سبعة : اسرافيل وميكائيل وجبرئيل ورضوان ومالك وروح القدس وملك الموت، عليهم السلام والله اعلم بذلك وقد وصف الله تعالى المحففين بالعرش فقال : ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ﴾[4]، وقال تعالى : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ﴾[5]، وليس تسبيحهم لله واستغفارهم للمؤمنين بالمقال فقط بل بالفعل ايضا، وبالجد والمحافظة على ما يوحى[6] اليهم، وتبصير المؤمنين وارشادهم بما

---

(1) الصف 164/61 .

(2) النساء 172/4

(3) الزمر 75/39 .

(4) المؤمن 7/40 .

(5) في ش « فوفي اليهم » .

يلقى في روعهم. ومنهم الموكلون بأبواب الجنة وهم رضوان واصحابه، والموكلون بابواب النار وهم مالك واصحابه، والمعنيون بقوله ﴿ عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ﴾ [1].

وأما الضرب الذين اليهم تدبير الاركان الهوائية فكالملك الذي روى في الخبر بانه يصوت الرعد والذي يزجي السحاب [2].

وأما الضرب الذين اليهم تدبير الارض فكمن اشير اليه بقوله عليه السلام في صفة الجنين : ﴿ ثم يبعث الله اليه ملكا فينفخ فيه الروح ﴾ [3]، وكالحفيظ والرقيب والعتيد، وبقوله : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ [4].

وقد ذكر الله تعالى الملائكة في مواقع فجعلهم اقساما : فمن ذلك قوله : ﴿ والصافات صفا، فالزاجرات زجرا، فالتاليات ذكرا ﴾ [5]، فأشار بذلك الى المقربين من الملائكة واصطفافها مراعاتها لمقاماتها المعلومة كما قال : ﴿ وما منا إلّا لَهُ مقام معلوم ﴾ [6] وزجرها قيل : هو زجرها للفلك ودورانه، وقيل : زجرها نفوس الورى عن الفواحش ، وتسميتها بالزاجرات كتسمية العقل عقلا وحجراً وحجىً ونُهىً لكونه عاقلاً وحاجراً وحاجياً وناهياً عن

---

(1) المدثر 31,30/74 .

(2) اجامع الترمذي 294/5 ، ومسند احمد 274/1.

(3) اجامع الترمذي 246/4 ، ومسند احمد 382/1.

(4) االرعد 13 / 11 .

(5) االصافات 3,2,1/37 .

(6) االصافات 164/37 .

القبائح، واشار بتلاوتها للذكر، الى نحو قوله : ﴿ يسبحون بحمد ربهم ﴾ [1]، ومن ذلك قوله : ﴿ والمرسلات عرفا، فالعاصفات عصفاً، والناشرات نشراً، فالفارقات فرقاً، فالملقيات ذكراً ﴾ [2]، فأشار بذلك الى الذين وكلهم الله في الامور فيعصفون عصفاً، اي يسرعون اسراعاً، والى الذين وكلوا بنشر نعمة الله بالعباد، ويفرقون بين الأشياء ويميزونها ويوحون الى قلوب الانبياء والاولياء، ما فيه الاعذار والانذار وعلى نحو هذا قوله : ﴿ والنازعات غرقاً، والناشطات نشطاً، والسابحات سبحاً فالسابقات سبقاً، فالمدبرات امراً ﴾ [3]، وقوله : ﴿ والذاريات ذرواً، فالحاملات وقراً فالجاريات يسراً فالمقسمات امراً ﴾ [4]، وأما الارواح أعني المذكورة في قوله : ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها ﴾ [5] فقد قيل : هم ضرب من الملائكة، موكلة لمعاونة الناس والقاء الخيرات في اوهامهم، وسموا ارواحاً للمناسبة بينها وبين أرواح الناس في القاء الذكر في روعهم والايصال به، وقوله: ﴿ تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ﴾[6] فقد قيل عنى بالروح هذا الضرب من الملائكة، وقيل : بل عنى الروح الذي يخرج من الانسان والله اعلم [7]، وقوله : ﴿ ألن يكفيكم ان يمدكم

---

(1) الزمر 75/39 .

(2) المرسلات 77/1-5 .

(3) النازعات 79/1-5 .

(4) الذاريات 51/1-4 .

(5) القدر 97/4 .

(6) المعارج 70/4 .

(7) انظر في تفسير ذلك في القرطبي 281/18 ، وابن كثير 418/4.

ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾ [1] فقد قيل: هم الأرواح المختصون بمعاونة البشر، واياهم عنى الله تعالى بقوله: ﴿ والعاديات ضبحا ﴾[2] فأما كيفية تصرفهم للمؤمنين فالكلام يدق فيه، والاولى في مثله التسليم الظاهر والاقتصار على ما ورد فيه من الخبر.

صحة رؤية الناس للملائكة

قد أجمع السلف[3] ان كثيراً من الناس رأوا الملائكة وكذا الشيطان وانهم رأوهم في صور مختلفة، وذلك ظاهر من خبر جبرئيل واتيانه النبي صلى الله عليه وسلم تارة في صورة دحية الكلبي، وتارة في صورة بعض الاعراب وروى انه رآه مرة وقد سد الافق[4] وكثرت الروايات في رؤية الصحابة للملائكة يوم بدر في صور مختلفة وحيث ايدهم الله عز وجل بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين [5]، فكذا وردت الاخبار المتظاهرة لظهور ابليس والشياطين لكثير من الانبياء، والاولياء، ونبه تعالى بقوله: ﴿ يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ﴾ [6]، وان المحتضر يراهم لا محالة ومن طهر قلبه من الانجاس وزكى نفسه وصفى روحه يجعل

---

(1) آل عمران 124/3 .

(2) العاديات 1/100 .

(3) اورد في ش بعد كلمة السلف « قبل حدوث المعتزلة » .

(4) رواه البخاري 313/6 ، ومسلم 161/1.

(5) انظر سيرة ابن هشام 319/2 .

(6) الفرقان 22/25 .

بينه وبين الارواح العلية والسكينات ملاقاة، تارة من الظاهر وتارة من الباطن، فيأتونه بالاعتذارات والانذارات ، كما نبه تعالى عليه بقوله : ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾[1] وقوله : ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ﴾[2] الآية .والفرق بين المتزكي وغير المتزكي أن المتزكي قد يراه، قبل حالة الاحتضار، وغير المتزكي لا يراه قبل ذلك، وقوله ﴿ انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾[3] ، لا يقتضي ذلك انه لا يصح رؤيتهم، وأن الناس لا يرونهم في شيء من الأحوال، كما اذا قيل : فلان يراك من حيث لا تراه، لا يقتضي ذلك .

مفاضلة بين الملك والناس

أما فضيلة الملائكة على الدهماء الذين وصفهم الله تعالى، بالجهل والصم والعمى والبكم، وجعلهم دون الانعام، فلا ارتياب فيه .

وأما الكلام في المفاضلة بينهم وبين الانبياء فقد اختلفوا فيه ، وليس للخوض في هذه المسألة كثير غنية، ولكني اشرت اليه من حيث ان الناس تكلموا فيه فقال بعضهم[4] الملائكة افضل لقوله تعالى ﴿ لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة

---

(1) المؤمن 15/40 .

(2) فصلت 30/41 .

(3) الاعراف 27/7 .

(4) المعتزلة وقسم من الاشاعرة ، انظر اصول الدين للبغدادي ص 166 .

المقربون ﴾ [1]؛ قال وذلك جار مجرى قول القائل : لن يستنكف الحاجب من خدمتي ولا الوزير ولا الامير، قال فيقوم الامثل بالامثل، ولا يقال على عكس ذلك واعترض على ذلك بوجوه :

الأول : انه قد يذكر في هذا الموضع ما لا يعتبر فيه ترتيب شرف، كقولك لن يستنكف من ذلك الرشيد ولا المأمون.

الثاني : انه لم يذكر ها هنا الا عيسى وليس فيه دلالة على انهم افضل من جماعة الانبياء .

[**الثالث** : انه قد ذكر الملائكة المقربين ولا دلالة على ان غيرهم افضل من الانبياء] [2].

وقد أجيب عن ذلك : بأن المسلمين اختلفوا على وجهين، فمن قائل قال الملائكة أفضل، وقائل قال الانبياء ولم يقل احد انهم سواء ولا فرقوا بين عيسى وغيره ولا بين المقربين وغير المقربين، وليس هذا الجواب بشيء .

وقد اعترض عليه ايضا بأن القصد بذلك الانكار على من ادعى أن عيسى بن الله وعلى من ادعى ان الملائكة بنات الله وانهم اشرف من ان يوصفوا بالعبودية، فقال : ان من ادعيتم انه ابنه، ومن ادعيتم انه بناته لا يستنكفون من الاذعان لعبوديته، واحتج في ذلك ايضا بقوله تعالى ﴿ ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ﴾ [3]، فلولا انهم فوقهما لما اغترا

---

(1) النساء 172/4 .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من م ش .

(3) الاعراف 20/7 .

بذلك، وكذلك قوله ﴿ ولا اقول اني ملك ﴾[1]، فبين انه لا يدعي مرتبة ليست له، وقال بعضهم : الانسان اذا نفض نجاساته النفسية وقاذوراته البدنية وحصل في جوار الله يكون حينئذ افضل من الملائكة لقوله عز وجل ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ﴾[2].

وقد رُوِيَ : ان الملائكة خدم اهل الجنة .

الجـــن

لم ينكر وجوده الا الذين انكروا وجود الملائكة، وشبهتهم فيه مثل شبهتهم في ذلك، والكلام في اثباتها على حد واحد ، وسموا بذلك لاستتارهم عن اعين الناس كما يسمى الانس انساً لظهورهم، وقولك آنست فلانا اي ابصرته، وخلقهم الله تعالى [من النار][3] لقوله تعالى ﴿ والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾[4]، [وقوله تبارك وتعالى ﴿ وخلق الجان من مارج من نار ﴾][5]، وتكليفهم كتكليف الانسان لقوله ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾[6] وقوله ﴿ يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ﴾[7] الآية،

(1) هود 31/11 .

(2) الرعد 23/13 .

(3) ما بين المعقوفين ساقط من م ، والمثبت من ش . ج .

(4) الحجر 27/15 .

(5) الرحمن 15/55 ، وما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من م . ش .

(6) الذاريات 56/51 .

(7) الانعام 130/6 .

وتوعدهما على حد واحد بقوله ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ﴾ [1]، وقال بعض الناس : لفظ الجن يقع على الملائكة أيضاً [2]، وقيل ان ذلك يقع على جنس منهم لقوله ﴿ الا ابليس كان من الجن ﴾ [3]، وقالوا ان الجن على ثلاثة اضرب كالناس سابق ومقتصد وظالم، وقد أشار الى ذلك في قوله تعالى ﴿ قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن ﴾[4] السورة وقوله ﴿ واذ صرفنا اليك نفرا من الجن ﴾ [5] الآية ، وأما الشيطان فالعاتي من الجن من شاط يشيط اذا حقد [6] ، وذلك من صفة النار، وقيل من شيطن اذا تباعد، وذلك لتباعده عن الخير وأهله [ولذلك وصف باللعين والرجيم، ويقال لكل عات من الناس والحيوانات وغير ذلك شيطان] [7] ، قال تعالى ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن ﴾ [8] ، وقال ﴿ واذا خلوا الى شياطينهم ﴾ [9] .

والعفريت : المتناهي منه في الشر كأنه الذي يلقى الانسان في العفر وهو التراب وشبه به الرجل الخبيث ، وروى « أن

---

(1) السجدة 13/32 .

(2) مقالات الاسلاميين 115/2 .

(3) الكهف 57/18 ، وانظر مفاتيح الغيب 136/21 .

(4) الجن 1/72 .

(5) الاحقاف 29/46 .

(6) اللسان مادة « شيط » .

(7) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش . م .

(8) الانعام 112/6 .

(9) البقرة 14/2 .

الله يبغض كل عفريت نفريت لم يرزأ في جسمه وماله »[1] معناه لم تصبه مصيبة .

والمارد : المتجرد عن الطاعة والخيرات تجرد الخد عن الشعر، والشجر عن الورق والتمر.

والرجيم : المرجوم لقوله « ويقذفون من كل جانب دحورا » [2].

والغول : ما يغول الانسان .

والسعلاة : اخبث الغيلان ، والقوى الردية في نفوس البشر نحو الهوى والغضب والحسد والجهل والظلم خلفاء الشيطان فيها، ويقال لها شيطان وبها يتوصل الى نفوسهم، وقدروى الهوى شيطان، والغضب شيطان، والحسد شيطان، والقوى الفاضلة نحو العلم والحلم والعفة والعدالة خلائف الملائكة وبها يتوصل الملائكة الى ارشادهم وبحسب قوتيهما في النفوس المام كل واحد منهما بها كما قال النبي عليه السلام : « للملك لمة وللشيطان لمة، فأما لمة الملك فايعاد بالخير، وتصديق بالحق، واما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق » [3]، وقال عليه السلام : ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » [4]. فمن تطهر نفسه تمكن منه السكينات

---

(1) الفائق للزمخشري 414/1 ، واللسان مادة « عفر » باختلاف في اللفظ .

(2) الصافات 9/37 .

(3) جامع الترمذي 219/5 ، وفي اللسان مادة « لمم » روى الحديث عن ابن مسعود، وجاء في معنى اللمة : عن شَمِر انها الهمة والحظرة تقع في القلب، وقال ابن الاثير : اراد المام الملك او الشيطان به والقرب منه. . .

(4) رواه البخاري 337/6 ، ومسند احمد 156/3 .

والارواح، كما قال تعالى ﴿ هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ﴾ [1]، ومن تنجس قلبه تمكن منه الشيطان كما قال تعالى ﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ﴾ [2]، وقال ﴿ انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا ﴾ [3]، ولما تقدم قال تعالى : ﴿ الخبيثات للخبيثين والطيبات للطيبين ﴾ [4]، وقال النبي عليه السلام : « ما منا الا وله شيطان يغويه ويرديه، وان الله اعانني على شيطاني فاسلم » [5].

بيان أفعال الجن والشياطين

للجن افعال كثيرة عجيبة على مادل عليه قصة سليمان في قوله تعالى ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب ﴾[6] الآية ، وقوله ﴿ ومن الجن من يعملون بين يديه باذن ربه ﴾ [7]، وقوله ﴿ ومن الشياطين من يغوصون له ﴾ [8]، وقد بين الحكماء من أفعالها تأثيرات الطلمسات والرقي والسحر وما تواتر من أخبار الكهنة،وقد انكر المتكلمون [9] تأثير الجن، وانكروا السحر،

---

(1) الفتح 4/48 .

(2) المجادلة 19/58 .

(3) مريم 83/19 .

(4) النور 26/24 .

(5) رواه الدارمي 306/2 .

(6) اسبأ 13/34 .

(7) اسبأ 12/34 .

(8) الانبياء 82/21 .

(9) مفاتيح الغيب للرازي 151/30 ، ومقالات الاسلاميين 115/2 . دائرة المعارف الاسلامية 312/11.

وقالوا اكثر ما يمكن للشيطان القاء الوساوس، وقالوا : ان ما حكى الله تعالى عن الجن المطيعة لسليمان انما كانت لتكثيف الله اجسامها وتقويته لها اعجازا له، وعدوا ما عليه الناس من ذلك خرافة وقالوا : السحر اسم خداع وتخييلات، وشعبذة، صارفة للابصار وتميمة عائقة للاسماع، قالوا: ويصرف الأبصار بخفة اليد، قال تعالى ﴿ سحروا اعين الناس واسترهبوهم ﴾[1] وان الذين كانوا يتعلمون من هاروت وماروت، ويفرقون به بين المرء وزوجه كان من جنس النميمة، وقالوا: لو كان للشيطان سلطان لكانوا يأتون الانبياء فيحيلونهم الى دور المؤمنين فيسرقون ثيابهم وينكحون نساءهم، ولكان يشتبه طريق النبوة بطريق السحر فيتصور الساحر بصورة نبي يدعو الى نفسه وذلك يؤدي الى ما ادعاه ماني[2] الزنديق على كثير من الانبياء في انهم كانوا سحرة، معاونين من قبل الشيطان، والى تصحيح ما ادعى المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قالوا « ساحر كذاب »[3]، و« معلم مجنون »[4] أي معاون من قبل الجن، وما قالوا، فلو عرفوا حقيقة الشيطان ومبلغ قواه ومقدار ما يمكنه ان يتعاطاه لآحجموا عن هذا القول وعن تكذيب كتاب الله تعالى. فاذن يجب ان نبين ما السحر وما الذي يتأتى منه وفي اي موضع يتأتى وفيمن يتأتى فيؤثر فيه، فبذلك تنكشف حقيقته، فنقول وبالله التوفيق.

---

(1) الاعراف 116/7 .

(2) كلمة « ماني » ساقطة من جـ ، والمثبت من م ش .

(3)، سورة] ص 4/38 .

(4)) الدخان 14/44 .

السحـــر

اجتلاب الناس بمعاونة الشيطان بكلمات من الشرك يقرأوها، والذي يتأتى من ذلك كل خبيث فـاجر أفـاك اثيم ، [ولذلـك قال تعالى : ﴿ ومن يعش عن ذكر الـرحمن نقيض له شيـطاناً فهـو له قرين ﴾ [1]، وقال : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشيـاطين، تنزل على كل افاك اثيم ﴾ [2] [3] ولذلك أكثر ظهوره على ايدي الحيض وعبدة الاصنام وضعاف العقول، والموضع الذي تأتي فيه ذلك كل موضع قذر من بلاد الكفر وعبدة الاصنام وحيث لا يجري فيـه ذكر الله ، ولذلك اذا وافقه ذكر الله تعالى بطل واضمحل، والذي يؤثر فيه السحـر فيرديـه السحر كـل من قل منـه ذكر الله تعـالى ويبعـد عن سكينـات الله وعصمته ثم لا يكـون الا في الندرة، وقلمـا يؤثر في مؤمن محض الايمان، ومن انكر السحر لقصور منه وعمي بصيرتـه عن ادراكه، وكونه غير متجاوز منزلة تأثير المحسوسـات بعضها في بعض فهو مع جهله قد أبطل دعـواه كتاب الله حيث يقـول « وجاؤا بسحر عظيم »[4] فأثبته ووصفه بالعـظيم وان كان خفي الاثـر [كما وصف الكيد بالعظيم في قوله : ﴿ ان كيدكن عظيم ﴾][5]، ونسب تعليمه الى الشياطين فقال تعالى ﴿ ولكن الشياطين كفروا يعلمـون

---

(1) الزخرف 36/43 .

(2) الشعراء 222،221/26 .

(3) ما بين المعقوفين ساقط من م ، والمثبت من ج ش .

(4) الاعراف 116/7 .

(5) ما بين المعقوفين ساقط من ج م ، والمثبت من ش، سورة يوسف 28/12، وفي ش « كيدهن » .

الناس السحر ﴾[1]، ولو كان كما قالوا لما وردت الشرايع كلها فضلا عن شريعتنا بقتل السحرة ونفيهم عن بلاد الاسلام، ولما أجرى مجرى الشرك حتى قال بعض الفقهاء[2]: لا يقبل توبتهم كالمستسر بالكفر فإن الخديعة والنميمة لا يستحق بهما العقوبة ، فان قالوا فالذي هو كفر ما يقول العامة ان الساحر يطير بلا جناح ويركب البيضة والمكنسة فيبلغ بأقصر مدة الى ابعد بلدة، قيل مدعي ذلك ومصدقه سخيفان لا يقتلان بل يضحك منهما ولا خلاف ان بدعوى ذلك وتصديقه لا يستحق القتل وانما يستحق اذا ادعى قتل الانسان بسحره. قد انكر المتكلمون[3] أيضاً ما روي أن اليهود سحروا النبي صلى الله عليه وسلم وانه عليه السلام قال: « أتاني ملكان فقعد احدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه: ما بالرجل فقال الآخر: هو مطبوب، فقال: ومن طبه قال بنات لبيد بن أعصم اليهودي، فقال: في ماذا؟ فقال: في مشط ومشاطه في جف طلعة ذكر طرح في بئر ذي أروان، فبعث صلى الله عليه وسلم من أخرجه وحل عقده، وكل ما حلت عقدة وجد لذلك خفة، كأنما انشط من عقال »[4]، قالوا: ان قلنا بصحة هذا الخبر كان ذلك قادحاً في النبوة، وليس كذلك لما تقدم ولان تأثير السحر في النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن في أمر يرجع الى النبوة وكونه

---

(1) البقرة 103/2 .

(2) انظر نيل الاوطار 100/7 ، والمغني 29/9.

(3) تأويل مختلف الحديث ص 1777 .

(4) مسند احمد 367/4 .

معصوماً لا يقتضي ان لا يؤثر شيء في بدنه تأثيراً صغيراً، وانما كان قادحاً لو أثر فيه من حيث ما هو نبي وكان يزيل عقله او يفسد نفسه، ولو كان تأثير ذلك في جسده يقدح في النبوة لكان كسر ثناياه يقدح فيما ضمن الله تعالى من عصمته حيث قال تعالى ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾[1]، وكان يقدح تسلط المشركين على بعض النواحي فيما ذكر الله تعالى من اكمال الاسلام حيث قال ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم ﴾[2]، وهذا ظاهر وبالله التوفيق .

---

(1) المائدة 67/5 .

(2) المائدة 3/5 .

الفصل الخامس

في كتاب الله عز وجل وتحقيق الكلام وأحواله

تحقيق الكلام وحال مورده ووصوله من المخاطِب الى المخاطَب

اعلم ان المعنى اذا كان في النفس فعِلمٌ، واذا انتهى الى الفكر فَرَوية، واذا جرى به اللسان فكلام، واذا كتب باليد فكتاب، فهو بالذات شيء واحد وتختلف عليه هذه الاسامي بحسب اختلاف الاحوال به، وذلك كما ان القطن ما دام لحالته فقطن، فاذا غزل فهو غزل، فاذا نسج فثوب، فاذا خيط فقميص او جبة، وقد يسمى الشيء وهو على حال باسم ما كان عليه من قبل، وباسم ما يؤل اليه من بعد كتسمية الشحم ندى من حيث انه كان منه، ويسميه الندى شحماً من حيث انه يؤل اليه، وعلى هذا قوله تعالى ﴿ أعصر خمراً ﴾ [1]، وانما كان يعصر العنب والعنب يصير ثجيراً[2] ثم يصير

---

(1) يوسف 36/12

(2) الثجير ما عصر من العنب فجرت سلافته وبقيت عصارته، انظر اللسان مادة « ثجر ».

خمـراً ، اذا ثبت هذا الكلام قد يقول له كلام قبل ان يصير حروفـاً واصواتا محسوسة، كما قد يسمى كتاباً وصحفاً قبل ان يكتب نحو قوله تعالى : ﴿ انا انـزلنا اليكم كتـاباً ﴾[1]، وقـوله تعـالى ﴿ يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة ﴾[2]، وعلى هذا يقال في قلبي كلام لا اريـد اظهـاره. فالكلام ضـربـان : محسـوس ومعقـول، فالمحسوس : هو الجاري فيما بين الناس ويحتاج في تحصيله الى معـان ثلاثة : معبر من جهة القائل، وهو آلة الكلام من الرئة واللهاة واللسان والشفة، ومعبر من جهة السامع : وهـو سمع معتـدل وقوة مخصوصة ومعبر بينهما وهو هواء معتدل ومسافة معتدلة، ومتى فقد ذلك لم يحصل السماع والاستماع ولهـذا سمي الكلام بيننـا عبارة لكونه معبراً بمعنى من نفس المخاطب الى نفس المخاطب تشبيهاً بعبور النهر، ومعبر الماء .

والضرب الثاني : الكلام المعقول وهـو حصول ثمـرة الكلام والمقصود منه، وهو الاعلام والاستعلام، دون قشوره التي هن قرع الهـواء، ومـا أحسن مـا شبـه لهـذا المعنى من قـال اللفظ شجـر، والمعنى ثمر، ولولا الثمر ما احتفل بالشجـر، ولما كـان الله تعالى لتمام حكمته وقدرته قـادراً على ايصال المعنى المقصـود الى ذوات الاشياء ناطقها وجامدها وعلى الوقوف على ما في ذواتها من غير آلة الافهام والاستفهام، يجب ان لا يتصور الكلام منه واسماعه الخلق وسماعه منهم على وجه ما يتصور في الناس اذا تخاطبوا فيما بينهم،

---

(1) الانبياء 10/21 .

(2) البينة 3/98 .

بل كلامه يكون منه بالخطاب المباشر[1] من خارج تارة وبالالهام المجرد عن الخطاب تارة، وبالتسخير الالهي. قوله تعالى ﴿ يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم ﴾[2]، وقوله تعالى للسماء والارض ﴿اتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين﴾[3]ويدل على صحة هذا المعنى ان الله تعالى جعل خدعة الشيطان وان لم يكن مسموع من خارج دعاء فقال تعالى ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ﴾[4][وكذا قوله ﴿ كمثل الشيطان، اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منكم ﴾][5] وكذا قوله تعالى ﴿ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ﴾[6] فسمى ما يسمعه في المنام حديثاً[7][وان لم يكن محسوساً، وقال عليه السلام: «ان في أمتي لمكلمين ومروعين»[8]، فسمي ما يسمع في المنام كلاماً][9]، وقال الله تعالى: ﴿ يسبح له من في السموات ومن في الارض﴾[10]وغير ذلك من الأيات، وما ذكرناه فقد اعتبره الناس وعرفوه فقد جعلوا المعاني المعقولة فيما

(1) في ش ج « المسموع ».
(2) الانبياء 69/21 .
(3) السجدة 11/32 .
(4) ابراهيم 22/14
(5) الحشر 16/59 .
(6) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش م .
(7) يوسف 4/12
(8) في م، كلاما، والمثبت من ش ج .
(9) مضى تخريج الحديث.
(10) ما بين المعقوفين ساقط من م، والمثبت من ش ج .
النور 41/24 .

بينهم من الجمادات والبهائم كلاما ونطقاً [ولذلك قيل للاشياء هي مع الحكماء ناطقة] [1] ، وجعل الكلام [2] ناطقا فقال تعالى ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ﴾ [3]، وقال الشاعر :

امتلأ الحوض وقال قطني [4] .

فجعل ما بان منه وعرف باعتباره عبارة ، ولما تقدم من ان الله تعالى قادر على ايصال المعنى المقصود الى ذوات الأشياء، قالت الحكماء لله تعالى أمران ظاهر مسموع وهو قوله تعالى للعقلاء المميزين افعلوا ولا تفعلوا، وباطن معقول وهو أمره الساري في جميع الموجودات المشار اليه بقوله تعالى : ﴿ وأوحى في كل سماء أمرها ﴾ [5] وقوله تعالى : ﴿ انما امره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون ﴾ [6]. وذلك ان شيئاً من الأشياء لا يكون الا بأمره سبحانه، وأمر السلاطين اذا اضيف الى هذا الأمر وقوبل به وجد مجازا في جنبه لأن اولى الأمور بذلك هو النافذ الذي لا يمنع من نفوذه شيء ومن الانقياد له حيثما يوجه، وهذا الأمر هو النافذ بكل مكان وعلى كل حال فهو المشار اليه بقوله تعالى ﴿ وما أمرنا الا واحدة كلمح

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من م، والمثبت من ش ج.

(2) في م « الكلام » . والمثبت من ش.

(3) الجاثية 29/45 .

(4) البيت في الرجز، في اللسان مادة « قطط، قطن » ، والخصائص 3/1 ، ومعظم مقاييس اللغة 14/5، ومعنى قطني اي حسبي.

(5) السجدة 12/32

(6) سورة يس 82/36

بالبصر ﴾[1] تنبيها على ان ذلك نافذ أسرع نفوذ، فصور للناس بأسرع محسوس لتدركه أفهامهم، وبعض المعتزلة[2] لما قصروا عن ادراك هذا الضرب من الأمر انكروا ودفعوا ما ورد من نحو هذا في الاخبار والايات، وصرفوا ما ورد عليهم من القرآن فإن قيل: ان ذلك يقتضي ان يكون المعدوم مأمورا، قيل ان انكرت ذلك في امر البشر وانهم لا يصلح ان يأمر المعدوم فمنكر وان انكرت ذلك في الباري سبحانه وتعالى فغير منكر لأن المعدوم المرشح للوجود عنده في حكم الموجود على ان قوله تعالى ﴿ انما قولنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون»[3]، انما ذلك أمر لما يريد تكوينه، والتكوين في الحقيقة ليس[4] هو الابداع وانما هو جعل الشيء شيئاً اخر كالطين الذي جعله الله حيوانا وانسانا، وكالنار التي جعلها بردا وسلاما وهذا في الحقيقة ليس لمخاطبة المعدوم، فإن قال: فالجماد لا يصح مخاطبته، قيل: مخاطبتنا له لا تصح اذ ليس في قدرتنا افهامه، ومخاطبة الله تعالى له تصح اذ هو تعالى لا يعجز عن افهامه ومن قاس قدرة الله تعالى بقدرة العباد فما قدروا الله حق قدرة تعالى الله عن المقايسة بالعباد علوا كبيرا.

فإذا ثبت ذلك فالكلام من جهة الله تعالى يصل الى البشر من ثلاثة اوجه:

اما سماع وعيان من الظاهر نحو ما كان يأتي به جبرائيل في

---

(1) القمر 50/54.

(2) المغنى 15/7 وغاية المرام ص 94، وشرح المواقف 95/8.

(3) النحل 40/16.

(4) كلمة ليس من ش ج وليست في م.

صورة دحية، او بعض الاعراب واما بسماع من غير رؤية كسماع موسى عليه السلام كلامه تعالى.

واما من الباطن من غير رؤية شخص ولا سماع من خارج كما ذكر الله تعالى ﴿ نزل به الروح الامين عل قلبك ﴾[1] وقد نبه الله تعالى على ثلاثتها بقوله ﴿ ما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً او من وراء حجاب او يرسل رسولاً ﴾[2] الاية، ومثال ذلك بكتابة تحصل دفعة في شيء، ينقش بها، والى ذلك أشار تعالى بقوله ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الايمان ﴾[3] لكن كتابة ذلك روحانية بلا آلة حسية، وكتابة الانسان جسمانية بآلة حسية، وما ذكرناه وان كان صعب الادراك لمن لا يعتمد الا على الحس ولا ينظر اليه الا بالبصر فسهل على من اعتمد العقل ونظر اليه بالبصيرة.

بيان اختلاف الناس في كون كلام الله تعالى بين الخلق :

اعلم ان السلف قالوا : ان كلام الله تعالى موجود بذاته وهو صفة من صفاته، وقالوا مع ذلك هو فيما بيننا متلو ومسموع ومحفوظ ومكتوب ولم يتحاشوا من ذلك، وكانوا بين فرقتين فرقة استسلموا للأثر ولم يستكشفوا عن تحقيق ذلك، وفرقة عرفوا حقيقة ذلك لبلوغهم منزلة الحقائق في العلوم كما وصفهم الله تعالى بقوله

---

(1) الشعراء 193/26 .

(2) الشورى 51/42 .

(3) المجادلة 22/58 .

﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾[1]، فلم يكن له شبهة ولا بينهم خلاف الى ان نبغ قوم من الجدليين خرجوا بتحذلقهم عن قيد الشرع ولم يستفيدوا بجهدهم الهدى الذي أشار اليه بقوله تعالى : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾[2] ولم يتجاوزوا منزلة المحسوسات والموصوفات الى التحقيق بالمعقولات، واخذوا الكلام محسوساً فقط ورأوه من المحال أن يكون الجسم المحسوس مع[3] كونه في محل يحصل في محل آخر ولم يعلموا ان الصور المجردة المعقولة تكون بخلاف الأشباح المحسوسة، فاختلفوا فيما بينهم فقال جل المعتزلة[4] : كلام الله تعالى قط لم يصل الى الوجود وذلك ان الكلام حروف مركبة ولا يكاد يوجد الحرف الثاني الا بعد عدم الحرف الأول، ولا الثالث الا بعد عدم الثاني، والموجود لا يتركب مع المعدوم فاذن لا يتصور وجود الكلام على أصلهم قط لا في نفوس الحفاظ ولا في تلاوة التالين، ولا في كتابة الكاتبين، والذي يوجد في كل وقت منه هو فعل البشر، وخلق لهم من كل وجه وليس شيء منه وجد لا في هذا الوقت ولا في وقت النبي عليه الصلاة والسلام، وزعمت الكلابية[5] : ان كلام الله تعالى قائم بذات الباري عز وجل، وانه ليس بصوت ولا حرف ولا امر ولا نهي ولا

---

(1) الرعد 28/13

(2) سورة محمد (ص) 17/47

(3) في م « يقع » والمثبت من ش ج.

(4) انظر شرح الأصول الخمسة ص 529 ، والمغني 6/7 .

(5) الكلابية : هم اتباع عبدالله بن سعيد الكلابي، احد المتكلمين في عصر المأمون وكان يقول : ان كلام الله هو الله. نشأة الفكر الفلسفي 379/1 .

شيء من أقسام الكلام وانه لم يوجد قط من البشر وان القرآن في التحقيق ليس بكلام الله تعالى، فإن القرآن هو الأصوات والحروف وذلك عبارة عن كلام الله تعالى، وربما غالطوا بأن القرآن اسم مشترك يقع على الكلام القائم بذات الباري عز وجل وعلى الذي في صدور المؤمنين وعلى المصاحف، وهذا يؤدي الى ان يكون القرآن ثلاثة اشياء كل واحد يخالف الآخر بل يؤدي الى ان يكون اشياء كثيرة، ولو اعتبر الفريقان أدنى اعتبار بأن الصور المعقولة بخلاف المحسوسات لما ارتكبوا هذه الجهالات وذلك انه قد علم ان العلوم تتأدى[1] في نفس المعلم الى نفس المتعلم من غير مفارقة نفس المعلم ثم يكون موجوداً في نفسيهما معا وان هيئة الصناعة يكون في نفس الصانع معقولة، ويوجدها في المصنوع محسوسة من غير مفارقته نفس الصانع، كنقش الخاتم الموجود في الفص ويوجد بالطبع في شموع كثيرة من غير مفارقة الخاتم وكذا الصورة الواحدة قد توجد في مرائي كثيرة من غير ان تفارق ذات المصور، فإذا ثبت ذلك في القرآن الذي هو كلام الله تعالى مع انه لا قياس له الى كلام البشر شرفا، ليس بعجب ان يكون في وقت واحد مع قيامه بالله تعالى موجودا في لوح المحفوظ وفي نفوس البشر، وفي تلاوتهم وفي سمع من يسمعه عند قراءة القارىء وفي المصاحف، فإن قيل لو كان كلام الله تعالى موجوداً في هذه الأحوال لكان مسموعاً في كل حال، قيل وشرط سماعه تصور النطق الظاهر به واذا لم يحصل الشرط لم يحصل المشروط، والمعتزلة قد يقولون[2] :

---

(1) في ج تبادر.

(2) شرح الأصول الخمسة ص 551.

القرآن فيما بيننا، فإذا حقق عليهم قالوا : انما يعني به العبارة عنه، وعندهم ان العبارة غير المعبرعنه، والكلابية قد يقولون هو بيننا لا بذاته ولكن متلوا ومسموعاً ومكتوبا ومحفوظا.

البيان في وصف القرآن بأنه مخلوق او غير مخلوق :

ان هذه المسألة غير خافية على الخائضين فيها وقد صارت فتنة لقوم وسبباً لوقوع التهاجر والتناكر والتكفير والتبديع لأقوام صالحين، وذريعة الى الاستخفاف بعصبة من المسلمين، وقد حُكي ان اول ما حدثت هذه المسألة حدثت بالكوفة من جهة بنان بن سمعان الرافضي[1]، وكان قاصا حسن الاقاصيص لاخبار اليهود ولتخصصه بهم وقيل هو الذي اوقع الشبهة بين الناس والوقيعة في الصحابة، وقال علي بن حرملة[2] : اتفق انا اجتمعنا يوما مع حماد بن ابي

---

(1) بنان بن سمعان، وفي الخطط للمقريزي وتاريخ الطبري وفرق البغدادي، وعيون الاخبار لابن قتيبة سماه، « بيان »، زعم ان معبوده انسان من نور على صورة الانسان، في اعضائه وانه يفنى كله الا وجهه، وتأول على زعمه « كل شيء هالك الا وجهه » ، وقوله « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك » ، « وهذا بيان للناس » اشارة اليه، وادعى ان جزءاً إلاهياً حل في علي (رضي الله عنه)، وان عليا في السحاب يطير مع الريح ، وان اله السماء هو الله واله الارض هو الامام.

وقيل : ان هذه الأفكار اخذها بنان او بيان من طالوت ابن اخت لبيد بن اعصم اليهودي. قتله خالد بن عبدالله القسري.

انظر الملل والنحل 203/1 ، مقالات الاسلاميين، والفرق بين الفرق 236 ، البداية والنهاية 350/9، وخطط المقريزي 349/2-352 ، وتاريخ الطبري 1619/2 ، وعيون الاخبار لابن قتيبة ص 148 .

(2) علي بن حرملة الكوفي ولي القضاء ببغداد بعد محمد بن الحسن الشيباني وكان من اصحاب ابي حنيفة، تاريخ بغداد 415/11 .

حنيفة[1] في منزل عثمان البستي[2] فسأل بنان بن سمعان حماد بن ابي حنيفة عن القرآن أمخلوق هو أم غير مخلوق ؟ قال : ولم يكن قد سمع هذه المسألة من احد قبل ذلك ولا كان قد خاض فيه العلماء، فقال حماد هو كلام الله تعالى ولم يزد على هذا، قال علي : والتفت الى بنان متعجباً ومستفتياً، فقال، أسأله أمخلوق هو أم غير مخلوق ؟، وهو يقول كلام الله تعالى ، فقلت : دعه فقد أجابك، فأخذ يتعجب مني ويتهكم علي فلم نزل به حتى أسكتناه، فلما خرجنا، قلت لحماد : اكتم هذه المسألة، وادفنها فإني لا آمن ان يرتد كثير من امة محمد صلى الله عليه وعلى آله ـ على رأس هذه المسألة كما ارتد كثير من النصارى حيث سمى الله تعالى عيسى كلمته، فقال هو ذلك ولذلك امسكت عن الجواب، فلما دخلنا المسجد رأينا الناس لا يخوضون الا في هذه المسألة فقلت لحماد : قد جاء ما كنا نحذر، فأول من أجاب فيه ابو حنيفة، وقال : مخلوق، فألب بنان الناس وأشلاهم عليه حتى صاروا الى منزله ليهجموا عليه ويقتلوه، فأشرف عليهم ابو حنيفة، وقال : يا قوم ما تريدون ؟ قالوا كفرت، قال : أكفر منه توبة ام كفر ليس منه توبة ؟، قالوا : بل كفر منه توبة، فقال : اشهدوا اني قد تبت من كل كفر[3]، فرجعوا عنه ولم يجسر ابو حنيفة على ان يبرز من المنزل،

---

(1) حماد بن ابي حنيفة، تفقه على ابيه وافتى في زمانه، ميزان الاعتدال 590/1 ، وفيات الاعيان 590/1 .

(2) عثمان بن اسلم البستي، روى عن الحسن والشعبي وروى عنه الثوري وغيره الجرح والتعديل 145/6 .

(3) تاريخ بغداد للخطيب 378/13، الاوائل للعسكري 294، الابانة للاشعري 270 .

وكان رئيس الكوفة في العلم يومئذ ابا الصباح موسى ابي كثير[1] وكان في الحج، فلما رجع ونزل بالقادسية قصده ابو حنيفة متنكرا في جوف الليل فلما دخل خيمته قال ابو الصباح : نعمان، فقال : نعم ، قال : ما جاء بك ؟ قال : شرٌ قد كان الأمر كذا وكذا، فقال : بئس ما عملت، ولكن انصرف واعمل على ان لا تعلم بقصدك ثم لا يمكنني ان اعاونك، فرجع، فلما دخل ابو الصباح وحضر المسجد، اجتمع عليه الناس فسألوه عن ذلك فداراهم واسكنهم عن هذه المسألة [وأبى بنان الا تماديا في غيه البحث عن هذه المسألة][2]، فقال ابو الصباح لما أعياه امر بنان لأصحابه اني اريد ان ادعو بدعاء فأمنوا، فرفعوا ايديهم وقال : يا رب ان علمت ان بنانا تمادى في غيه لجاجاً وعتوا فلا تخرجه من الدنيا حتى تفضحه وتهتك ستره فأمن القوم، قال علي بن حرملة : فوالله ما خرج من الدنيا حتى رؤي مقطوع اليد والرجل مصلوبا، بالكوفة وقد اقر بالزندقة، وأخذ في بيت النار مع الزنادقة، وقيل له في ذلك : قال كنت ابغض النبي واتوصل الى ذمه بذم الصحابة[3] فكل قرين الى شكله، ثم زجر أهل العلم الناس عن الخوض في هذه المسألة وسكتوا عنها الى ان انتصب هشام بن الحكم[4] فأخذ

---

(1) موسى بن ابي كثير الانصاري ويكنى بأبي الصباح، وكان مرجئا، التاريخ الكبير 294/7

(2) ما بين المعقوفين ساقط من م ج، والمثبت من ش.

(3) لم تكن المسألة التي أوردها الراغب هنا في ذم الصحابة بل في كون القرآن قديما ام مخلوقا، ويبدو ان مسألة ذم الصحابة حشرت هنا حشرا.

(4) هشام بن الحكم ابو محمد من متكلمي الشيعة، قيل عنه : انه كان يقول : ان القرآن لا خالق ولا مخلوق ولا يقال انه غير مخلوق، لأنه صفة والصفة لا توصف =

يجددها، واول من اغتر بها عبدالله بن كلاب فأعادها جذعا فصارت فتنة الى اليوم.

وحكايتي لهذه انما هي لما ارى من الفتنة الواقعة في هذا الوقت لسهو وقع على اهل زماننا فيما يتعلق بفروع هذه المسألة، ثم نرجع الى المسألة، فنقول: ان وصف كلام الله تعالى بأنه مخلوق بين الناس كفر وبدعة وذلك انه اذا اشير الى الوصف الصادر عنه الكلامَ المسموعَ بأنه مخلوق فهو كفر وان اشير الى المسموع من كلام الله عز وجل فهو وصف بأنه مخلوق فهو بدعة ان كان ذلك مما لم يذكره النبي صلى الله عليه وسلم والسلف وقد قال النبي عليه السلام: «من احدث في ديننا ما ليس منه فهو رد»[1] أي ومن احدث بدعة فليس منا، على ان الخلق في صفة الكلام هو الكذب يقال كلام مخلوق ومختلق ومفترى، أي كذب، ويتعالى كلام الله تعالى عن ذلك[2] فقد تقدم أنا لا نصف الله تعالى ولا نصف الامور الالهية الا بما ورد به السمع، ولما لم يرد السمع بشيء من ذلك لم نصف به، ولما ورد بأنه مُنزلُه وصفنا به لقوله تعالى: «إنا أنزلناه في ليلة القدر»،[3] وكذلك انه عربي لقوله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾[4]، وانه محدث، أي أحدث وجوده عندنا بعد ان لم يكن

عنه... توفي سنة 190 هـ، وكان مستترا بعد نكبة البرامكة. مقالات الاسلاميين 148/1، الفرق بين الفرق ص 41، الفهرست لابن النديم ص 249.

(1) البخاري 301/5، ومسلم 1343/3، ومسند احمد 146/2.

(2) الابانة 26، شرح الطحاوية 201.

(3) القدر 1/97

(4) الزخرف 3/43.

لقوله تعالى : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾[1]، وانه محكم مفصل، لقوله تعالى : ﴿ كتاب احكمت آياته ثم فصلت ﴾[2]، وانه موصل لقوله تعالى : ﴿ ولقد وصلنا لهم القول ﴾[3] وأن منه منسوخا ومنسيا لقوله تعالى : ﴿ وما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها ﴾[4] ومن تأمل هذه الايات وكان ذا توفيق اطلع منها على ما يزول عنه الشك، والاولى بالمؤمنين ترك الخوض في بحر ذلك مع العامة، فلو احجم أماثل هذا الزمان عن ذلك ولم يحلوا قيد شياطين الانس لما أقدموا على وصف الله تعالى بما تنزه الاسماع عن الاصغاء اليه، كفانا الله المهم، وأعاذنا من فتنة الجهال.

ـ بيان ما ورد في كلام الله عز وجل من أنواع الكلام ـ

أنواع الكلام المركب هي : الخبر والاستخبار والأمر والنهي والطلب والشفاعة، والوارد في كلام الله تعالى من ذلك الأمر والنهي وبعض انواع الخبر، وذلك ان علام الغيوب مستغن عن الاستخبار، وما ورد من لفظه في القرآن فعلى الحكاية والانكار والتوبيخ، نحو : ﴿ أأنت قلت للناس ﴾[5] الآية، ولا يطلب المولى من العبد ولا يتشفع اليه، فإن هذه الثلاثة ليست في القرآن ولا يكون منه تعجب ولاتمن، فالتعجب يكون من الجهل بسبب الشيء،

(1) الانبياء 2/21.

(2) هود 1/11.

(3) القصص 51/28.

(4) البقرة 106/2.

(5) المائدة 116/5، وهي ساقطة من ج، والمثبت من ش.

والتمني انما يكون لحاجة الانسان الى ما ليس له، وهو يتعالى عنهما.

فأما الخبر فما ينطلق عليه الصدق والكذب، ويتعلق بأحد الأزمنة، وفائدته القاء ما ليس عند المخاطب، ليتصوره او القاء ما قد تصوره اليه ليتأكد عنده، والأمر والنهي لا يتعلقان الا بالمستقبل، وفائدتهما حث الانسان على ما يكتسب به محمدة ويجتنب به مَذَمّه، أو حثه على الوجه الذي يكتسب به المحمدة، ويجتنب منه المذمة. والأمر والنهي ضربان : عقلي : ، وهو الذي يقتضي العقل حسنه، وشرعي : وهو ما لا يقتضي العقل قبحه، بل يجوز فيه الأمران، الفعل والترك، فالعقلي لا يصح تغيره على مرور الأيام، والشرعي يصح على ذلك، فلهذا يدخله النسخ.

ـ بيان انطواء كلام الله تعالى على الحكم كلها ـ

قد وصف الله تعالى كتابه بانطوائه على كل علم، وقال تعالى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾[1]، وقال تعالى ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ﴾[2] [وقال تعالى : ﴿ وكل شيء أحصيناه في امام مبين ﴾[3]][4] ، وقال تعالى : ﴿ ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء ﴾[5] ، وقال تعالى :

(1) الانعام 38/6 .
(2) النحل 89/16 .
(3) يس 12/36 .
(4) ما بين المعقوفين ساقط من م .
(5) يوسف 111/12

﴿ يس والقـران الحكيم ﴾[1]، والحكيم هـو الـذي ينـطوي على العلوم كلها والأعمال المحكمة، ولاشتمال الكتاب على ذلك قيـل في تفسيـر قـولـه تعـالى : ﴿ ومن يؤت الحكمـة فقـد أوتي خيـرا كثيرا ﴾[2] انه تفسير القرآن، وقـال تعالى ﴿ فـإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله ﴾[3] وقال تعالى ﴿ وما اختلفتم في شيء فحكمه الى الله ﴾[4]، أي الى كتابه، لكن الوقوف على حقيقة ما قد اشار تعالى اليه باشتمال الكتاب على كل شيء صعب جدا لما نذكر من بعد، فالقرآن كحانوت الصيدلاني فيه كل دواء نافع لكن لا يتم الانتفاع به الا بعـد المعرفـة بها وبمنـافعها ومضـارها، والنـاس متفاوتـون في معرفتها، فهم على القول المجمل أضرب : ضرب لا يعرف أعيانها وأساميها فضلا عن معرفة منفعتها ومضرتها، كمن وصفهم الله تعالى بقـوله ﴿ مثـل الذين حملوا التـوراة ثم لـم يحملوها كمثـل الحمار يحمل اسفارا ﴾[5] .

وضـرب : يعرف اسـاميها واعيـانها دون خصـائص مضـارهـا ومنافعها ، [كالصيدلاني الذي يعرف الأدوية بأساميها وأعيانها دون خصائص مضارها ومنافعها][6] .

وضرب : عرف كل ذلك وهو العالم الحكيم كالطبيب الذي يعرف خصائص الأدوية، فحق من لم يعرف الخصـائص[7] ان لا

---

(1) يس 1/36، 2 .

(2) البقرة 269/2 .

(3) النساء 59/4 .

(4) الشورى 10/42 .

(5) الجمعة 5/62 .

(6) ما بين المعقوفين ساقط من م، والمثبت من ش ج .

(7) في م الحقائق .

يتعرض لتفسير القرآن كما ان من حق من لم يتخصص بالطب ان لا يتعرض لحانوت الصيدلاني فيتداوى ويداوي بما فيه فيهلك ويهلك، ولهذا قال تعالى : ﴿ ولو ردوه الى الرسول والى اولي الأمر ممهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾[1]، فالناس يتفاوتون في معرفة القرآن مثل تفاوتهم في سائر الأشياء، فإن القرآن منطو على فنون العلم، وكل طائفة [تختص بمعرفة فن منه، ثم المختصون بمعرفة كل فن منه يتفاوتون][2] ، فالبليغ يختص بمعرفة بلاغته وفصاحته والفقيه يختص بمعرفة أحكامه، واهل الأثر يختصون بمعرفة قصصه، واعلم ان الله تعالى قد أنزل القرآن بقدرته وحكمته الباهرة على وجه ليس عليه شيء من كلام الورى، وذلك أن كلام البشر ضربان، خاصي لا ينتفع به الا الخاصة، دون العامة ككلام الحكماء، وعامي يجده الخاصة لغوا ومكاء وتصدية، وكلام رب العزة جلت قدرته وهو على وجه يحصل لكل انسان منه بقدر فهمه وعقله ومنزلته من العلم شرب، فمن كثر حظه من الحقائق كثرت فائدته [ومن قل حظه من ذلك قلت فائدته ولا يخلى احدا من فائدة وعائدة وان كان في العماية والغواية كحمار بل حداء][3] ، ولهذا قال تعالى ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها ﴾[4] ، قال ابن عباس رضي الله عنه عني بالماء القرآن وبالأودية قلوب العباد، وانما يحتمل منها على قدرها.

---

(1) النساء 23/4.

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من م ش.

(3) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من م ش.

(4) الرعد 17/13.

الفرق بين المعنى والتفسير والتأويل :

المعنى هو المقصود اليه من الكلام المبهَم به من قولهم عني فلان بكذا، وقيل هو المحتوى تحت اللفظ من المقصود اليه من قولهم العاني للاسير، والاشتقاقان يتقاربان.

والتفسير : هو الكشف عن المقصود اليه بالكلام، وقيل التفسير مقلوب عن السفر، لكن الفسر مختص بكشف المعنى ولهذا قيل لقاذف[1] الماء فسر من حيث انه ينبي عن مزاج صاحبه للطبيب، والسفر يختص بكشف الاعيان، كسفر القناع عن الوجه والعمامة عن الرأس[2].

والتأويل : ما يؤول اليه حقيقة الكلام والفعل، ولا يقتضيه ظاهرهما، وهو تفعيل من آل يؤول اذا رجع وذلك رد الكلام من بين المحتملات الى المراد، ومنه الايالة اي السياسة[3] وذلك صرف المسوس الى المقر الذي يحق له، ولأجل انه موضوع لما يرجع اليه ولا يقتضيه ظاهره.

واستعمل في الرؤيا نحوْ قوله ﴿ ويعلمك من تأويل الأحاديث ﴾[4]وذلك لأجل ان اكثر الرؤيا تقتضي ظاهره أمراً وباطنه غيره كمن رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع

---

(1) في ش ج قارورة.
(2) انظر اللسان مادة « فسر » و« سفر » .
(3) اللسان مادة « أول » .
(4) يوسف 6/12 .

سنبلات خضر وأخر يابسات، وقوله في قصة العبد الصالح لما بين المقصود من فعله لموسى عليه بالسلام ﴿ ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ﴾[1] فسمى ذلك تأويلا لما كان ظاهر فعله لا ينبي عن مقصوده، وقال تعالى ﴿ هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله ﴾[2] ، وقال تعالى ﴿ ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾[3] ، اي عاقبة[4] .

والفرق بين التفسير والتأويل : ان التفسير اعم لأن كل تأويل تفسير وليس كل تفسير تأويل، وذلك من وجهين، أحدهما ان كل لفظ يشكل على المخاطب اذا بين بما هو اسهل يقال هو تفسير ولا يقال له تأويل، والثاني : أن التأويل لا يقال الا في المركبات من الألفاظ دون المفردات، والتفسير قد يقال فيهما، والتأويل يتسع نطاق مجاله نحو قوله تعالى ﴿ ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ﴾[5] فإن من نظر دنيويا، ولم يتعر من الشهوات قال في تأويله هو ان يتحمل الانسان ما يعلم انه يقصر لحمله مفردا في الحرب على مائة، ودخول البادية بلا زاد، ومن نظر نظراً اخرويا متعريا عن الشهوات قال : هو ان يقصر في امر يجوز ان يعاقب على تركه كتقصيره في الحرب وان كثر اعداؤه ابقاء على نفسه، وترك الحج

---

(1) الكهف 82/18 .

(2) الاعراف 53/7 .

(3) النساء 59/4 .

(4) كلمة « عاقبة » ساقطة من ج، والمثبت من م ش .

(5) البقرة 195/2 .

مع التمكن من أدائه وان كان بشق الأنفس، وكقوله تعالى ﴿ واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾[1] ، فقد ذكر اكثر من عشرين وجها في ذلك كلها يعرض من الاحتمال، وأمثال ذلك يكثر تعدادها.

بيان الوجوه التي منها يصعب ما يصعب من تفسير القرآن وتأويله :

تفسير مفردات الالفاظ على حسب موضوع اللغة، قريب المنال سهل الادراك على من تدرب في معرفة اللغة العربية، فإن كان قد يقع فيها الفاظ ربما يشكل على بعض أرباب اللغة نحو ما ذكر ابن عباس رضي الله عنه، انه قال : كان يشكل علي ثلاثة الفاظ من القرآن قوله تعالى ﴿ يوم تمور السماء مورا ﴾[2] ، وقوله ﴿ وكأساً دهاقا ﴾[3] وقوله ﴿ يا ليتها كانت القاضية ﴾ [4] فخرجت الى البادية فانتهيت الى خيمة فيها صبية فقلت : اين امك ؟ فقالت في المور، فلما كان بعد ساعة عادت وكانت تطحن طعاماً لها فقالت : [5] اطعمي ضيفك الكأس، فصبوا لي لبنا في قدح، فقالت الام : ادهقي الكأس وناوليه صب الله عليك القاضية، فاستعدت ثلاثتها وانصرفت، واكثر ما يصعب من تفسير القرآن يصعب من جهة تركيبات الألفاظ، وذلك من وجهين أحدهما

---

(1) لقمان 20/31 .

(2) الطور 9/52 .

(3) النبأ 34/78

(4) الحاقة 27/69 .

(5) كلمة « فقالت » ساقطة من ش.

من حيث اللفظ، والآخر من حيث المعنى فأما الذي من حيث اللفظ فثلاثة اشياء، احدهما : ما اختص به القرآن من الحذف والايجاز وذلك ان عامة القصص المذكورة فيه كثيراً ما يترك من بينها ما يعلم ان السامع يستدل بالمذكور عليه متخطيا الى ما بعده نحو قوله تعالى ﴿ ان اضرب بعصاك البحر فانفلق ﴾[1] فترك ذكر ما كان من موسى عليه السلام من ضربه ثم ترك ذكر ما كان من اصحابه ودخولهم البحر وتخطى الى ذكر ما صنع، والثاني ما تختص به لغة العرب من الحذف والايجاز واللمحات الدالة والاستعارات الغريبة التي لا تكاد توجد في غيرها من اللغات ولذلك قيل كلام العرب شبه الوحي، وذلك ظاهر في الكتب المصنفة في البلاغات، والثالث : ما يوجد في كل امة مما ينفرد به الخاصة عن العامة من العدول عن التصريح والى التعريض ومن الكلام العامي الى الخاصي كالأمثال وذلك وان كان موجودا في كل لغة، ففي لغة العرب اكثر وجوداً نحو﴿ أطري فانك ناعلة ﴾[2] ، وفي الحث على الجد وقوله ﴿ الصيف ضيعت اللبن ﴾[3] في معاتبة من اهمل امره حتى فاته، وقولهم « يداك أوكتا وفوك نفخ »[4]، فيمن جنى على نفسه، ومن سمع هذه الأمثال واعتبر ظاهرها ولم يكن قد أوكي

---

(1) الشعراء 63/26 .

(2) اللسان مادة « طرر »، وقيل معناه : اركب الأمر الشديد فانك قوي عليه، وطر : ساق الابل وغيرها وناعلة : أي منتعلة، وقيل معنى المثل : اجمعي الابل فإن عليك نعلين، انظر ايضا مجمع الأمثال للميداني 430/1 .

(3) المستقصى 329/1

(4) الامثال لابن سلام 331 ، واللسان مادة « يدي » والوكاء : ما يشد به السقاء، اللسان مادة « وكى » .

الـزق، ولا نفخ فيـه ولا كان لـه لبن في الضيف فضيعه استسخف قائله وكذب مقاله، وقد اخبر الله تعالى انه جعل القرآن مثلا في غير موضع، نحو قوله تعالى ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم ﴾[2] الى قوله ﴿ كذلك يضرب الله للنـاس امثالهم ﴾[3]، ولم يـذكر في هـذه الاية مـا ينبي ظاهـره عن مثـل وقـال تعـالى ﴿ ويضرب الله الامثال للنـاس لعلهم يتذكـرون ﴾[4] وما ذكـره الله تعـالى من القصص فـالقصـد بـه الامثـال والاعتبـار، لا الاسمـــار والاخبـار، واذا كان كـذلك فمن اعتبـر في جميع القـرآن ظـواهـر الالفاظ دون مراعاة الحقائق كان كمن حمل قـول القائـل له يـداك اوكتا وفوك نفخ على ظاهره، وقول النبي صلى الله عليه وسلم، وقد اخبـر عن الدنيـا بأنهـا عجوز هتمـاء[5]، وانه رآهـا متزينـة، على الظاهر، وقد قال عليـه السلام « ضـرب الله مثلا صـراطا مستقيمـا وعلى جنبتي الصـراط سور فيـه أبواب مفتحـة وعلى تلك الأبواب ستور مرخى، وعلى رأس الصراط داع يدعو الناس يقول : ادخلوا الصراط ولا تفرجوا »[6]، ويجب ان يذكر على سبيل المثل لا يعد كذبا متى لم يكن الأمر على ما اقتضى ظاهره، نحـو قول الملكين اللذين آتيا داود فقال احدهما :﴿ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة

---

(1) الروم 58/30 .

(2) سورة محمد (ص) 1/47 .

(3) سورة محمد (ص) 3/47 .

(4) ابراهيم 25/14 .

(5) النهاية لابن الاثير 243.0245 ، والهثماء التي انفلقت ثناياها من أصلها .

(6) مسند احمد 182/4 ، ومستدرك الحاكم 73/1 .

ولي نعجة واحدة ﴾[1] ، ولا يعد قوله تعالى ﴿ كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة ﴾[2]، وان لم يوجد حبة هكذا فان قيل فما الفائدة في العدول الى المثل؟ قيل : المثل اشرف لفظا لما فيه من الصيغة في حسن التشبيه والنظم واختصار اللفظ، واشرف معنى لدلالته على المقصود اليه وعلى غيره مما يشاركه، فدلالته دلالة كلية لا جزئية، وتعريض لا تصريح ، وفي التعريض تلطف وهو أشرف منزلة للمتخاطبين لكونه من كلام الحكماء وكذلك قيل ان الله يخاطب الناس بقدر عقولهم فلشرف هذه الأمة صار في القرآن من الاستعارات والامثال مما تعرى منه كتبه المنزلة، وايضا فإن ما ذكره الله تعالى من المعقولات ينبه عليه تنبيها ولا يبينه تبيينا نحو قوله تعالى : ﴿ ان في خلق السموات والأرض ﴾[3] ، الاية، فمن هذا الوجه يخفي حقائقه على العامة ولهذا قال : ﴿ ان في ذلك لآيات لاولي النهى ﴾[5] ، و﴿ ولآولي الالباب ﴾[4] ، و﴿ لمن كان له قلب ﴾[6] ، فخصهم بالذكر من حيث انه لا يشاركهم فيه من لم يبلغ منزلتهم.

---

(1) سورة ص 23/38 .

(2) البقرة 261/2

(3) البقرة 164/2 .

(4) سورة طه 54/20

(5) ال عمران 190/3 .

(6) سورة ق 37/50 .

انواع ما ينطوي عليه القرآن مما يسهل او يصعب :

ذكر جماعة من المحققين ان جميع ما في القرآن ثلاثة انواع : نوع ظاهره وباطنه سواء، ويتشارك في معرفة كل من اختص بالعلوم الظاهرة، وذلك هو الأحكام التي يتساوى في الحاجة اليه الكافة وحقه ان يكون مستقلا بنفسه ومبديا عن صفحته اما بذاته واما بايضاحه من بيان النبي صلى الله عليه وسلم، له بالفاظ سهلة المتناول كآية الوضوء والصلاة والصوم وساير الأحكام.

وضرب له ظاهر وباطن ويختص بالحاجة اليه الانبياء والأولياء والصديقون، والشهداء وشرف العامة من ظاهره وباطنه وتأويلاته وأفهام العامة تقصر عن باطنه وحقائقه وعلى هذا ما ذكر قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهم انه كان يكتم تأويل آيات عن العامة منها قوله تعالى ﴿ ان الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾[1] ، وقوله تعالى ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ﴾[2] ، وقوله تعالى ﴿ لقد كان لسبأ في مساكنهم ﴾[3] ، وقال لانسان سأله عن قوله تعالى ﴿ ومن الارض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ﴾[4] . فقال لولا اني أخشى ان تكفر لفسرته لك[5] .

وضرب : ظاهر للكافة عامهم وخاصهم، وباطنه للنبي صلى

---

(1) القصص 85/28 .

(2) الاسراء 85/17 .

(3) سبأ 12/34 .

(4) الطلاق 12/65 .

(5) تفسير القرطبي 323/10 ، وتفسير القرآن العظيم 61/3 .

الله عليه وسلم، وهو كالسر بين الله تعالى وبينه عليه السلام، وقد ذكر سفيان بن عيينة انه كما ان بين الرجل وخاصة اصحابه سراً في اظهاره لغير فساد فكذا بين السلطان ووزيره، كذلك يكون بين الله تعالى وبين انبيائه عليهم السلام سر في اظهاره لغيرهم فساد، والى هذا المعنى اشار بقوله تعالى ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ﴾[1] وليس طي ما طواه عنهم بخلا به عليهم لكن نظرا لهم وعلما بقصور افهامهم عن احتماله كما ان ما طواه من الدنيا عن أنبيائه واوليائه لم يطوعنهم بخلابِهِ بل نظرا لهم، ولنظره ولطفه قال تعالى لمن قال ارني انظر اليك ﴿ قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل ﴾[2]، فنبهه بتجليه تعالى للجبل ان منعه ما سأله رحمة منه له وما احسن ما قال بعض الصوفية : « يا من منعه عطاء ويا من لا يستحق بمنعه الشكر غيره » واعلم ان الله تعالى يفتح سرائر وبواطن كتابه على عباده بحسب تزكيتهم لانفسهم وتطهيرهم لها وازالتهم دونها فمثل النفس مثل مرآة صدئة لا تتجلى فيها الأشياء وانما تتجلى فيها، اذا زكيت فترى، ولذلك قال تعالى ﴿ قد افلح من تزكى ﴾[3]، و﴿ قد افلح من زكاها ﴾[4]، والانسان، ما دام محشوا بأرجاسه وانجاسه النفسية من الكبر والعجب والفخر والكذب والشره فيحول بينه وبين حقائق آياته كما قال تعالى ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير

---

(1) الجن 27، 26/72 .

(2) الاعراف 143/7 .

(3) الاعلى 14/87 .

(4) الشمس 9/91 .

الحق ﴾ [1] قال سفيان بين عيينة حرمهم فهم القرآن، وقال تعالى في أمثالهم ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ﴾ [2] .

بيان فائدة ما ورد في القرآن من المتشابه

قال المتكلمون فائدة ذلك ان الله تعالى اراد ان يعظم ثواب العلماء بجهد انفسهم في استخراج معانيها وما قالوه بعيد اذ لم يكن فيه غير ذلك فانه يجري مجرى ما يتعاطاه الصبيان في الأبيات المعماة ومسائل المعاياة والالغاز والاحجيات ولغيرهم في ذلك جوابان احدهما : ان الله تعالى خص الانسان بالفكر والتمييز الذي ثمرته استخراج المجهول بالمعلوم فأعطاه أكثر الأشياء قاصرةً عن درجة الكمال ليكملها بفكرة واعطاه المطاعم والملابس قاصرة وهداه بفكره الى اصلاحها والانتفاع بها وهذا من اشرف ما أكرم الله تعالى به بني آدم، والثاني : انه تعالى لما وصف نفسه وقد علم انه ليس كمثله شيء وذكر لهم المعاد والجنة والنار وهي أمور لا يتصورها الانسان اذ كان المتصور يصح فيما احسه أو احس مثله، وكانت الألفاظ المتداولة موضوعة لمعانٍ مقصورة ويدل على ان تلك المعاني غير مقصورة قوله عليه السلام مخبراً عن الله تعالى في وصف الجنة « اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[3]وقوله تعالى ﴿ وننشئكم فيما لا

---

(1)) الاعراف 146/7 .

(2)) هود 20/11.

(3) رواه البخاري 318/6 ، ومسلم 174/4 .

تعلمون ﴾[1] فذكر تعالى انا لا نعلم النشأة الثانية فضلا عن ان نتصورها ، فلما أراد تعالى العبارة عن تلك المعاني بألفاظ العرب وكانت ألفاظهم موضوعة لمعان محسوسة لم يمكن ذلك الا أن نذكر ما نذكر من تلك المعاني بهذه الالفاظ على سبيل المثل، فصار من هذا الوجه الفاظ القرآن ضربان : ضرب ؛ مستعمل في معنى يتعارفه عامهم وخاصهم، وهو غير المتشابه [وضرب مستعمل في معنى على غير الحد الذي تعارفوه وهو المتشابه] [2]، ومن تصور هذه الجملة سهل عليه معرفة كون المتشابه في القرآن من اي وجه وقع، والعلة التي من اجلها احيل ارباب اللغة الى مراجعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم والعلماء فيها، وقال تعالى ﴿ ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾[3]، ومن هذا الوجه امر الأئمة من الاسلاف ان يتلقى الانسان بالقبول ما ورد عليه من متشابه القرآن واخبار النبي صلى الله عليه وسلم مما في ظاهره تشبيه واقع من جهة اللفظ من الوجه الذي تقدم ذكره فان اطلعه الله تعالى على حقائق ذلك يمنع في نفسه من غير ان يذكره لمن يصير فتنة له وان لم يطلعه على حقيقته أجراه على ظاهره من غير تكشف ، ويحتفظ بقول الله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[4]، وقول امير المؤمنين عليه السلام : « التوحيد ان لا

(1) الواقعة 61/56 .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ش .

(3) النساء 83/4 .

(4) الشورى 11/42 .

تتوهمه والعدل ان لا تتهمه » فبذلك يسلم من التعطيل والتشبيه جميعا ولا يجوز للعامي ان يسأل عن مثل ذلك ويبحث عنه ولا للعالم ان يذكره لمن يقصر فهمه عن ادراك الحقائق بل يجب ان يعامل بما عامل به مالك بن انس رحمه الله من سأله عن قوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[1] ، وقد تقدم ذلك ، وما عامل به عمر رضي الله عنه ، رجلا سأله عن حروف التهجي في اوائل السور فقال [« اياك والتعرض للمتشابهات »][2]

بيان : انه هل في القرآن ما يخفى تأويله على العلماء

ذهب عامة المتكلمين الى ان ذلك لا يجوز وانه يؤدي الى ان لا يقع في انزاله فائدة ، وقالوا في قوله تعالى ﴿ وما[3] يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم ﴾[4] ، ان قوله ﴿ والراسخون في العلم ﴾ عطف على قوله ﴿ الله ﴾ ، وان قوله تعالى ﴿ ويقولون ﴾ في موضع الحال كما قال الشاعر :

الريح يبكي شجوها والبرق يلمع في غمامه[5].

اي والبرق يبكي لامعا ، وقووا ذلك بقراءة [ابن مسعود][6]

---

(1) طه 5/20 .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش م .

(3) في شرح « لا عيلم » وهو تحريف .

(4) آل عمران 7/3 .

(5) القائل ابن المفرغ الحميري ، مجمع البيان 410/1 وفيه : الريح تبكي شجوةً . . .

(6) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش م .

« ويقولون آمنا به »[1] وعامة الصحابة ذهبوا الى جواز ذلك من عدة اوجه :

احدها ان التأويل ما آل الشيء اليه، وهو تصور اوله واحواله المؤدي الى آخره، وذلك بمعرفة اربعة اشياء :

1 - معرفة وجود الشيء المطلوب علمه بقولهم « هل هو » .

2 - المعرفة بجنسه المطلوب علمه بقوله « ما هو » ان كان لذلك الشيء جنس.

3- المعرفة بصفته المميزة من غيره المطلوب علمه بقوله « اي شيء هو وكيف هو » .

4- المعرفة بعلته التي اقتضت كونه كذلك ، المطلوب علمه بقوله « لم هو » وذلك لا يعرفه الا الله، وخواص اوليائه الذين رشحهم لاطلاعه على ملكوته .

والثاني : انه لا يعلم الا الله التأويل المذكور في قوله تعالى ﴿ هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله ﴾ [2]، فان هذا التأويل مما قد تفرد الله تعالى بعلمه. والثالث : انه قد علم ان في القرآن فوائد ليس لها غاية يقف عليها وهي المشار اليها بقوله تعالى ﴿ ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفذت كلمات الله ﴾[3] وبقول النبي صلى الله عليه وسلم : « القرآن

---

(1) شواذ القراءات للكرماني ص 47 ، مخطوط وفيه « وعن ابن مسعود ان تأويله الا عند الله والراسخون » وفي معاني الفراء 191/1 .

(2) الاعراف 53/7 .

(3) لقمان 27/31 .

بحر لا ينزف » ، وقول ابن عباس رضي الله عنهما ـ القرآن ذو شجون وفنون لا تنقضي عجائبه ولا تبلغ غايته فمن اوغل فيه برفق نجا ومن أوغل فيه بعنف هوى »، ومعلوم ان قوى البشر تقصر عن بلوغ الغايات .

والرابع : ان في القرآن ذكر اشياء عرف اسمها دون ذواتها وماهياتها، نحو دابة الارض وأهوال القيامة.

الخامس : ان في القرآن آيات فسرت على عشرة اوجه فصاعدا واللفظ يحتمل الكل والعقل يدفع اشياء منها، ومراد الله تعالى وان لم يخرج من واحدة من هذه الوجوه فليس هو معلوما لنا معينا، فمن هذا الوجه ايضا يصح ان يقال فيها لا يعلمه الا الله تعالى، فان من صادف قوما وعلم ان زيدا مثلا هو فيما بينهم لكن لا يعرفه معينا فليس يخرج بذلك من كونه جاهلا بزيد.

السادس : ان الحكمة لا تتنافى ان نؤمن بالفاظ نشغل السنتنا ثم لا نعرف معناها كما نؤمن باعمال تتعلق بسائر الجوارح فلا يعرف مغزاها فيثاب على تحريمها وعلى هذا قوله تعالى ﴿ وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ [1].

---

(1) البقرة 58/2 .

الفصل السادس

في اليوم الآخر ومتعلقاته

بيان اثبات البعث والنشور

قد أثبتت جماعة اولوا الالباب والعقول الراجحة البعث والنشور والثواب والعقاب ، وان اختلفوا في كيفيتها، ولم ينف ذلك الا شرذمة قليلة، من الدهرية [1]، لا اعتداد بهم قد حكى الله تعالى عنهم في قوله تعالى ﴿ وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون ﴾ [2]، والدلالة على اثباته : ان حكمة الله تعالى التامة لا تقتضي ان يقتصر بالانسان على هذه الحياة الدنيوية الخسيسة المضمحلة مع عظم عنايته تعالى به وخلق ما في الارض لاجله كما قال تعالى ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ﴾ [3]، وان يخصه بالعقل والنطق والسياسة والتدبير وما فيه من عجائب التركيب ثم يفنيه من

---

(1) هم الذين جحدو الخالق المدبر ، وقالوا ما يلهكنا الا الدهر، الملل 193/2 .

(2) الجاثية 24/45 .

(3) البقرة 29/2 .

غير قصد آخر، وقد نبه تعالى على ذلك بقوله ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ﴾[1]، ولان ذلك يؤدي الى ان لا يكون في خلق الانسان غرض يقصد به وكمال ينتهي اليه، الا ما جعل له في الدنيا من الاكل والشرب والفساد وهذا مما تعافه العقول وما اصدق ما أشير اليه بالخبر المروي « الدنيا دار ممر والاخرة دار مقر، وقد خلقتم للابد ولكنكم تنقلون من دار الى دار حتى يستقر بكم القرار »[2]واعلم ان العقل وان اقتضى كون البعث والنشور، فوقوفه على احوالها صعب جدا، ولا مجال للعقل في ذلك وانما طريقة السمع من جهة من له الخلق والامر بلسان انبيائه ووجه صعوبته شيئان : احدهما صعوبة معرفة المبدأ، فان معرفة المعاد مبنية على معرفة المبدأ، ولهذا قال تعالى ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾[3]، وقال ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه ﴾[4]، والثاني : ان جميع ما ندركه بحواسنا هي اشياء مضمحلة معرضة للكون والفساد والاضمحلال، حتى انه لو قيل لا يبقى شيء في الدنيا على حاله ولا طرفة عين لكان ذلك صدقا، ولهذا شبهه الله تعالى «بسراب بقيعة»[5] و«بهشيم تذروه الرياح»[6] والآخرة هي دارلا القرار وهو قوله تعالى ﴿ ما عندكم ينفذ وما عند

---

(1) المؤمنون 115/23 .

(2) نهج البلاغة 183/2 .

(3) الاعراف 27/7 .

(4) الروم 27/30 .

(5) النور 39/24 « كسراب بقيعة » .

(6) الكهف 45/18 « فأصبح هشيماً تذروه الرياح » .

الله باق ﴾ [1] ، ومعلوم ان ما لا ندركه او مثله بحواسنا لا يمكننا ان نتصوره كما ان الأكمة [2] لا يمكنه تصور الانوار، فاذن تصور امر المعاد صعب الا ان يشرح الله تعالى له قلب عبد فيدركه ببصيرته كابراهيم عليه السلام، حيث أراه ملكوت السموات والارض، وكأمير المؤمنين عليه السلام حيث قال « لو كشف الغطاء ما ازددت الا يقينا »، وكحارثة حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم عزفت نفسي عن الدنيا حتى كأني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها والى اهل النار يتعاوون فيها ، واذا كان كذلك ثبت ان عامة احوال القيامة مذكورة على طريقة المثل كما قال تعالى ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن ﴾ [3]، اي مثل الجنة مثل جنة فيها انهار، وروي انه : ليس في الجنة شيء مما في الدنيا الا اسماؤها [4] .

بيان كيفية المعاد

اختلفوا في كيفيته وذلك بحسب اختلافهم في مبدأ الكون فيجب ان نذكر طرفا من الكلام في المبدأ ليعرف به المعاد ، فأما اصحاب التناسخ فقد ذهبوا الى ان الله تعالى خلق الانسان في المبدأ على احسن صورة في انعم عيش وسوى بين جميعهم ولم

---

(1) المؤمن 39/40 .

(2) قيل الاكمة الذي يولد اعمى ، وقال ابن الاعرابي الاكمة الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل ، اللسان مادة « كمة » .

(3) سورة محمد (ص) 15/47 .

(4) عن ابن عباس الفتح 321/6 .

يكن لهم حينئذ مقر، ولا عجز ولا مرض ولا شيء من البلايا ثم تحاسدوا وتباغضوا وتعادوا فنزعهم الله تعالى عن مقارهم وجعل ارواحهم في هذه الابدان المختلفة بحسب استحقاقاتها عقوبة لها فلا تزال تتردد في الاشباح المختلفة حتى تتأدب فحينئذ تعود الى حالتها، قالوا وذلك هو المعاد.

وقالت الثنوية : قد كان النور والظلمة عالمين وكان عالم النور مملوءاً من الخير والملائكة وكان مدبره همامة الخير، يعنون بها الله عز وجل، وعالم الظلمة مملوءاً من الشر والشياطين، وكان مدبره همامة الشر اي ابليس، فتشوق همامة الشر الى عالم النور لما لمع وميض النور وخاص همامة الخير منها فاستعد للقتال فابتلع همامة الشر واعوانها بعضا من النور فلما امتلأ منه وارادا ان يذهبا لم يقدر لكون رأس النور في يد همامة الخير، واحتال هو لتخليص النور من يده فبنى السماء والنيرين واحتال بذلك ان يسترجعه، قالوا : فاذا استرجع النور منه حيئذ عاد العالمان الى ماكان، ويحترز همامة الخير حينئذ من تسلط همامة الشر عليه، ويقولوْن تخريب الدنيا معاونة لهمامة الخير في انقاذ النور من الظمة وعمارته معاونة لهمامة الشر في حبس النور في مجالس الظلمة، ولذلك يؤثرون قطع الحرث والنسل ولهم في ذلك هذيانات تضحك الثكلى لا يساوي كتبها نعوذ بالله مما يوتغ الدين [1]، ويضعف اليقين.

واما المجوس فيخالفونهم في بعض ذلك ويوافقوةنهم في

(1) وتغ يوتغ ، فسد وهلك ، اللسان مادة « وتغ » .

البعض ، فعندهم ان الله تعالى يريد عمارة الدنيا والسرور والاكل والبقاء الابدي، وان الاثيم الفاجر ابليس هو الذي يكره ذلك ويسعى في هدم ما يبنيه الباري تعالى الله عن ذلك، ويقولون : ان الباري عز اسمه والاثيم تحاربا ثم وقع بينهما هدنة[1] على ان لا يتعرض الباري للاثيم فيما يفعله مدة، فاذا انقضت المدة حينئذ يتمكن الباري من الاثيم فيحبسه في جهنم ويجعل على رأسه حجراً عظيماً فتصفو الدنيا حينئذ من الشرور والبلايا ويعود الناس الى حال المسرات[2].

وأما كثير من المنجمين فقد قالوا : بالدور والكون وقالوا لا تزال الاركان الاربعة ينبسط ويتركب وتعود الارواح في الابدان بحسب دوران الفلك وتدبير النجوم .

وأما القدماء من الفلاسفة فلهم مذاهب متفاوتة :

- فمنهم من [يجعل مبدأ العالم النار[3]، ومنهم من يجعله الهواء[4]][5]، ومنهم من يقول : اول ما خلقه الله تعالى العقل ثم النفس الكلية، [وان المعاد هو ان تصفو النفوس الجزئية المنفصلة

---

(1) في ج « عهد » .
(2) نهاية لاقدام ص 65 .
(3) قال به هرقليط من فلاسفة اليونان 540 ق.م. 475 ق.م. نهاية الاقدام ص 55 ، وتاريخ الفلسفة اليونانية ص 17 .
(4) قال به انكيسمانس 588 ـ 524 ق.م. تاريخ الفلسفة 16 ونهاية الاقدام 55 .
(5) ما بين المعقوفين ساقط من م ، والمثبت من ش ج .

عن النفس الكلية][1] فيعود الى عالمها ويتصل بها [2]، والى هذا القول ذهب جماعة من الباطنية [3]، وعند بعضهم ان من صفى نفسه يصير ملكا ومن خبثت نفسه يصير شيطانا، وان الملائكة المسمون بالارواح هم نفوس الاخيار، وان الشياطين هم نفوس الاشرار [4].

وأما مذهب المعتزلة فعندهم ان ذوات الاشياء لم يصل شيء منها ذوات الله تعالى بل كانت ذوات في العدم، وان الجوهر والاعراض كانت في العدم جواهر واعراضا المتباين منها والمتماثل، وان الموجود ليس بمعنى ولا الحدوث ولا البقاء ولا البطلان، وان الموجودات بقاؤها بنفسها لا بالله تعالى وان كل موجود انما يحتاج الى الله تعالى في حال الوجود فقط واذ وجد فقد استغنى عنه ولا حاجة اليه وكذا الموجودات التي لا تبقى ولم تنشأ للايجاد والاحداث [سوى اعيانها ولم يفيدوا بقولهم ابدعها واوجدها][5] معنى سوى اظهاره اياها للحواس [6] وقال بعض المحققين : وهذا الذي قالوه في الحقيقة زبدة التعطيل والالحاد

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ج والمثبت من ش .

(2) قال به افلوطين 205-270 م . تاريخ الفلسفة ص 291 والنجاة 307/3 ، والملل والنحل 191/2 .

(3) سموا بذلك لحكمهم بأن كل ظاهر باطن . . . انظر الملل والنحل 29/2 ، الفرق بين الفرق ص 281 .

(4) النجاة 307/3، 308 .

(5) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، المثبت من ش م .

(6) انظر مقالتهم في الشامل ص 124 ، واصول الدين ص 234 ، والمغني 451/11 .

وهو كما ترى، فان قالوا : نحن وان احلنا قدرة الله تعالى على ذوات الجواهر والاعراض فانا لا نحيل قدرته على ايجادها[1] قيل : هذه مغالطة منكم ظاهرة لان وجود كل شيء ذاته وليس الذات شيئا ووجوده شيئاً آخر فمتى اثبتم الجوهر والعرض مع كونهما معلومين ذواتا فقد ناقضتم مع انكم جعلتم ذواتها غير محدثين وهل احداثها على ما ذكرتم الا اظهارها للحواس وان كانت هذه الاشياء هي ما في القديم مخالفة فيما خالفت وموافقة لما وافقت فهذا خلافهم في المبدأ، ثم عندهم ان الله تعالى لو أراد ان يفنيَ ذرة لم يقدر على ذلك حتى يخلق معنى ليس بجوهر ويحدثه لا في محل وهو لا يبقى وقتين فيبطل به جميع الجوار[2]، على ما اثبته من بعد .

وأما اهل الحق واصحاب الاثر وحكماء المسلكين فقالوا :

ان الذوات وجواهرها واعراضها لم تصر ذواتاً واعراضاً الا بالله تعالى وان ما حدث انما حدث لأن الله تعالى فعل حدوثه وما بقي انما بقي لأن الله تعالى فعل بقاءه ولم يبق ما لم يبق لان الله تعالى لم يفعل له البقاء وكل شيء عري من حفظ الله تعالى لم يبق ولا طرفة عين كما قال تعالى ﴿ ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكها من احد من بعده ﴾ [3]، وعند هل الاثر ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد على ما ورد به الخبر « ولم يكن

---

(1) راجع المغني 443/11 .

(2) راجع ما ذكره البغدادي في اصول الدين ص 321 .

(3) فاطر 41/35 .

شيئاً ثم خلق الابدان فنفخ فيها الروح »[1]، كما قال تعالى : ﴿ اني خالق بشراً من طين ﴾ ﴿ فاذا سويته فنفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾[2] وانه تعالى لما خلق آدم عليه السلام[3] اخرج نسمة منه فنثرها بين يديه كالذر ثم كلمهم فقال تعالى ﴿ الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ﴾[4]، ومن لم يعتبر بما ورد به القرآن ودل عليه الاثار اعتبارا روحانيا عقلياً بل اعتباراً حسياً عد ذلك خرافة وسخفاً وعند اهل الحق ان الإنسان هو روح وبدن وموته هو التفريق بين روحه وبدنه، وان روحه متى فارق بدنه يكون اما معذبا واما مثابا على ما نذكر بعد، ثم اذا كان يوم القيامة يرد روحه في جسده فيحاسب ويجازى المحسن باحسانه والمسيء باساءته، والمعاد عندهم هو الحقيقة لانه عود الانسان الى الله تعالى بعد ان خرج من عنده تعالى حيث قال جل ثناؤه ﴿ الست بربكم ﴾ وعلى هذا دلت الآيات نحو قوله تعالى ﴿ثم إلينا مرجعهم﴾[5]، وقوله: «واليه يرجعون» وقوله: ﴿ واليه تقلبون﴾[7] وقوله تعالى ﴿ثم يردون الى عالم

---

(1) رواه الترمذي 446/4 ، ومسند احمد 382/1 .

(2) سورة ص 72،71/38 .

(3) مستدرك الحاكم 325/2 .

(4) الاعراف 173،172/7 .

(5) يونس 70/10

(6) آل عمران 83/3

(7) العنكبوت 29/ 21

الغيب والشهادة﴾[1] وقوله تعالى ﴿الينا مرجعهم﴾[2] وهذه الألفاظ عند المعتزلة[3] مجاز فانه لا يرجع الى الله تعالى شيء جاء من عنده، فان الارواح عندهم انفاس خارجة داخله بالانقباض والانبساط، ويدفعون ما روي في الخبر في أخذ الذرية من صلب آدم ويصرفون الاية عن مقتضاها وذلك لقصور فهمهم عن تصور المعقولات واعتبارهم بالمحسوسات، نسأل الله تعالى نوراً يهدينا الى الحق ومعرفة تنطق السنتنا بالصدق، انه على ما يشاء قدير.

ماهية الموت والحياة

لفظ الموت والحياة يستعملان في الكلام على اوجه :

الاول : هو ان يقال للقوة النامية الموجودة في النبات والحيوان والانسان الحياة ، ولفقدها بالموت، وعلى هذا قوله تعالى﴿ أو لم يروا ان الله يحيي الارض بعد موتها ﴾[4].

والثاني : ان يقال للقوة التي بها الحس والحركة في الحيوانات والانسان دون النبات، وذلك هو الاشهر في كلامهم .

والثالث : القوة المختصة بالانسان ومنها الفكر والروية،

---

(1) الجمعة 8/62 .

(2) يونس 70/10 .

(3) المغني 336/11 .

(4) الحديد 17/57 .

وهي المعنية بقوله تعالى ﴿ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي بــه في النـاس كمن مثله في الــظلمــات ليس بخــارج منها ﴾[1] ، فمن كان حظه من الفكر والروية، والمعرفة بالحقائق أكثر فحظه في هذه الحياة اوفر ولما كـان القوة النـامية ابـدا في التغيير صار الحي بها في ترحال كأنه يموت منه شيء وعلى هذا قال الشاعر :

دب في البــلاء سـفــلا وعلوا واراني اموت عضوا فعضـوا[2]

وعلى هذا حمل بعض المفسرين قولـه تعالى ﴿ انـك ميت وانهم ميتون ﴾[3]وذلك فيما قيل : هو اشارة الى الموت الذي هو الاضمحلال الدائم تنبيها على ان من لا ينفك عن ذلك لا ينفك عن الموت الاكبر.

والرابع : المـوت الاخروي والحيـاة الاخرويـة ، فالمـوت الأخروي : هو الحياة في عذاب دائم وذلك المـذكور في قـوله تـعــالـى ﴿ وان الــدار الآخــرة لـهـي الــحـيــوان لــو كــانــوا يعلمون ﴾[4]، وذلك بقاء بلا فناء ، وعز بلا ذل، وغنى بلا فقـر وقـدرة بلا عجـز، واليه اشيـر في أحد التفـاسير لقـوله عـز وجل ﴿ لنحيينه حياة طيبة ﴾[5]، وقال عليه السلام : لاعيش الا عيش

---

(1) الانعام 6/ 122 .

(2) القائل أبو نؤاس ، ديوانه ص 691، والبيان والتبيين للجاحظ 182/3 .

(3) الزمر 30/39 .

(4) العنكبوت 64/29 .

(5) النحل 97/16 .

الاخرة »[1] والمشهور من هذه الأنواع الاربعة من الموت هو خلو الجسد من الروح الذي فيه، والقدرة والحياة وجود الروح فيه، وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾[2]، فالموت الاول اشارة الى حينما كان الانسان جمادا فان الجماد موات ولهذا يقال له موتان فان الارض والماء ونحوهما، ميتة [بأعيانها لا بموت حال فيها ، والذي يدل على انه يصح ان يقال لهما ميتة][3] انه لاواسطه بين الحي والميت، والحياة الاولى جعل الله فيه الروح والموت، الثاني : هو المعروف والحياة الثانية هو البعث يوم الحشر وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين ﴾[4].

بيان الروح والنفس

الروح يقال في كلامهم على اوجه : يقال للنفس كقول الشاعر في صفة النار :

فقلت له : ارفعها اليه واحيها   بروحك واجعله لها قيتة قدرا[5]

ويقال : للرحمة وعليها حمل قراءة من قرأ « فروح

(1) البخاري 117/6 ، ومسلم 1430/3 .
(2) البقرة 28/2 .
(3) ما بين المعقوفين ساقط من ج م ، ، والمثبت من ش .
(4) المؤمن 11/40 .
(5) نسبه صاحب اللسان الى ذي الرمة وجاء في مادة « روح » برواية الراغب وفي مادة « قوت » بـ : فقلت له خذها اليك واحيها بورحك واقتته لها قيتة قدرا .
والقيتة : الطعمة القليلة من النار .

وريحان »[1] بضم الراء[2]، ولعيسى عليه السلام [لقوله تعالى) « وروح منه »[3]][4] . ولبعض الملائكة لقوله تعالى : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا ﴾[5]، وللقرآن لقوله تعالى ﴿ أوحينا اليك روحا من امرنا ﴾[6] ، ولما تكون به الحياة وصار به الانسان انسانا، واياه قصد بقوله تعالى ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ﴾[7]، واما النفس ، فيقال للبدن وللدم نحو قولهم : ما له نفس سائلة، ولحقيقة الانسان [وللذات نحو قوله تعالى ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾[8] ، وللروح][9] . وإياه قصد بقوله عليه السلام حكاية عن ربه عز وجل : « المؤمن عندي بكل خير يحمدني وانا أنزع النفس من بين جنبيه »[10] ، وما روي : ان الله تعالى قال للنفس اخرجي، فقالت : لا اخرج الا كارهة »[11]، وعليه قوله تعالى ﴿ اخرجوا انفسكم ﴾[12] ، وقوله تعالى ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية

---

(1) الواقعة 89/56 .
(2) شواذ القراءات للكرماني مخطوط ص 248 عن يعقوب .
(3) النساء 171/4 .
(4) ما بين المعقوفين ساقط من م ، والمثبت من ش ج .
(5) النبأ 38/78 .
(6) الشورى 52/42 .
(7) الاسراء 85/17 .
(8) آل عمران 28/3 .
(9) ما بين المعقوفين ساقط من م ، والمثبت من ش ج .
(10) مجمع الزائد 321/2 .
(11) مجمع الزوائد 325/2 .
(12) الانعام 6/ 93 .

مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾[1] [ولا يطلق على الجسد][2] . كما قال تعالى ﴿ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ﴾[3] ولو كان النفس هي الجسم كما زعم جماعة من المعتزلة[4] لكان من المحال توفيها وارسالها طورا وامساكها طورا .

كون الانسان مركباً من روح وبدن معاً
وأن الروح مثاب ومعاقب بعد مفارقة البدن

الإنسان هو روح وبدن][5] على ما دل عليه قوله تعالى : ﴿اني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي[6]، والروح عند كافة المسلمين جوهر له ثواب وعقاب بعد مفارقة البدن الى ان يعيده الله تعالى في البدن يوم القيامة[7] ، وزعم الطبيعيون وعامة المعتزلة : ان الروح التي عظم الله تعالى امرها بقوله ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي ﴾[8] هو النفس الداخل الخارج بالانقباض والانبساط فان الانسان متى عرض له آفة الموت بادر روحه وفنى وبقى

(1) الفجر 89/27 - 30 .
(2) ما بين المعقوفين ساقط من م .
(3) الزمر 39/42 .
(4) قال به الاصم وابو الهذيل ، المغني 11/335 ، والفصل 5/76 .
(5) ما بين المعقوفين ساقط من ج والمثبت من ش م .
(6) سورة ص 38/71،72 .
(7) الفصل 5/74 ، وتفسير القرطبي 15/260 .
(8) الاسراء 17/85

القالب بعد تلاشيه على هيئة تركيب ثم يستحيل الى جوهر الارض ، الى ان يجمع الله تعالى أجزاءه في النشأة الآخرة فيخلق فيه الحياة[1] ، وأحالوا كل ما ورد في القرآن وفي الاخبار من توفي الملائكة [للارواح ومجازاة بعضها لبعض ومجازاة الملائكة][2]، وقالوا : أنفس الانبياء والمرسلين وانفس الكفار يتساوى في حال العدم الى يوم القيامة، وما قالوه مخالف لما نطق به الكتاب والسنة : أما الكتاب فقوله تعالى في صفة الشهداء ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم ﴾ الى قوله ﴿ ان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾[3]، وقوله تعالى ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ﴾[4] [وروى ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير ذلك عن النبي صلى الله عيه وسلم : « ان الله تعالى جعل ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة تحت العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ اخواننا انا احياء في الجنة نرزق، لئلا ينكلوا عن الحرب فقال تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ﴾ الآية][5] ، وقوله تعالى ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة

---

(1) المغني 336/11 ، والفصل 74/5 .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش م .

(3) آل عمران 169/3 .

(4) البقرة 154/2 ، 170 ، 171

(5) ما بين المعقوفين ساقط من ش ، والمثبت من ج م .

باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجوزن عذاب الهون ﴾[1]، وقوله تعالى اشارة الى اليوم الذي اخرجت فيه نفوسهم قبل يوم القيامة ويدل على ذلك قوله تعالى في صفة آل فرعون ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ﴾[2] وهذا قبل القيمة بدلالة قوله تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعوةن أشد العذاب ﴾[3].

وأما السنة : فنحو ما روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان المؤمن اذا قبض قبضته ملائكة الرحمة فيجعل نفسه في حريرة بيضاء حتى ينتهوا به الى السماء فيقول الخزنة ما وجدنا ريحا أطيب من هذه، حتى يأتي به ارواح المؤمنين فيقول دعوه حتى يستريح فانه كان في غم الدنيا وتقول الارواح له ما فعل فلان وما فعلت فلانة، فإنه اذا قيل لهم اما اتاكم فانه قد مات ، يقولون انا لله قد ذهب به إلى أمه الهاوية، واما الكافر اذا قبض قبضته ملائكة العذاب فاذا رفع قالت الخزنة ما وجدنا ريحا انتن من هذه حتى انتهوا به الى الارض السفلى »[4] فنبه بقوله في حريرة بيضاء انها مكرمة مرقاة عن الهموم، ونبه بقوله «دعوه يستريح» انه كان في غم الدنيا على انه لا راحة للمؤمنين في الدنيا كما قيل : « الدنيا سجن المؤمن » [5]، وقوله : « المؤمن لا يأمن من روعته ولا يسكن

---

(1) الانعام 93/6 .

(2) المؤمن 46/40 .

(3) المؤمن 46/40 .

(4) سنن النسائي 8/4 نحوه .

(5) مسند احمد 197/3 ، والزهد ص 212 .

خيفته حتى يترك الجسد وراء ظهره » ، وروى ان عبد الله بن عمر رضي الله عنه دخل المسجد بعد قتل ابن الزبير وهو مصلوب فأتى اسماء يعزيها فقال لها عليك بتقوى الله والصبر فان هذه الجثث ليست شيئا وانما الارواح عند الله تعالى فقالت : وما يمنعني من الصبر وقد اهدي رأس يحيى بن زكريا الى بغية من بغايا بني اسرائيل »[1] ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « ان المؤمن إذا توفاه الله تعالى كان على ارجاء السماء ملائكة يقولون سبحان الله قد جاء من الارض روح طيب ونسمة طيبة فلا يمر بباب الا فتح له ولا ملك الا صلى عليه حتى يؤتى به الرحمن عز اسمه فسجد الملائكة قبله، ثم يقولون ربنا هذا عبدك فلان قد توفيناه فانت اعلم به فيقول فليسجد فيسجد ثم يؤمر بجسده في قبره فيوسع له سبعين ذراعا عرضا وطولا ويستر بالحرير فان كان معه شيء من القرآن كفاه والا جعل له نورا »[2]. وقال المفسرون في قوله تعالى ﴿ كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما أدراك ما عليون ﴾[3]، وقوله تعالى ﴿ كلا ان كتاب الفجار لفي سجين ﴾[4] انه عنى به ارواح المؤمنين وارواح الكافرين، وقد روى ضمرة بن جندب ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ارواح المؤمنين فقال : « في عليين » وعن ارواح الكفار فقال : « في سجين» وعليون اعلى علو الجنة وسجين اسفل جهنم .

---

(1) الفصل 268/4 ، تاريخ ابن كثير 346/8 .

(2) مجمع الزوائد 328/2 .

(3) المطففين 19،18/83 .

(4) المطففين 7/83 .

أحوال المحتضر

المحتضر قيل الذي حضره الموت قبل ان يتوفاه ويخترمه، من قوله تعالى ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ﴾[1] فعلى هذا كل من حضره الموت يسمى محتضراً طفلا كان او رجلا عاقلا كان او مجنونا انسانا او بهيمة، وقيل بل المحتضر من حضره ملائكة الرحمة او العذاب وقت استيفائه ويكون ذلك في العقلاء والى هذا اشار تعالى بقوله ﴿ حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون ﴾[2]، وقوله تعالى ﴿ وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ﴾[3]، اي يحضرونني وقت الموت وغيره من الاوقات، وقد جعل فرعون محتضرا حيث قال تعالى ﴿ حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا إله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين، الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾[4]، وقيل : لا يقال المحتضر الا المؤمن الذي جعل له حضرة على طريق التشريف فيحضره ملائكة الرحمة، قال بعض العلماء المحتضر ثلاث احوال، قد استوفاها الله تعالى بقوله تعالى : ﴿ هل ينظرون الا ان يأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات

---

(1) النساء 18/4 .

(2) المؤمنون 99/23 .

(3) المؤمنون 98,97/23 .

(4) يونس 91,90/10 .

ربـك لا ينفع نفسـاً ايمانهـا لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانهاخيراً﴾[9] قال فنبه بقوله تعالى ﴿الا ان يأتيهم الملائكـة ﴾ على من يحضره ملائكة الرحمة، وقد نبه على ذلك قوله تعـالى ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكـة الا تخافوا ولا تحـزنوا وابشـروا بالجنـة التي كنتم توعـدون ﴾[10] ، وبقوله تعـالى : ﴿ أو يأتي ربـك ﴾ ، على حال الشهـداء الذين يقتلون في سبيل الله المشار اليه بقولـه تعالى ﴿ ولا تقـولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون ﴾[1] ، فقال ﴿ أو يأتي ربك ﴾ على طريق التشريف وبقوله ﴿ أو يـأتي بعض آيات ربك ﴾ على حال من يحضره مـلائكة العـذاب ولهذا قـال تعالى ﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً ايمانهـا ﴾ وكل محتضر يرى في وقته ذلك حاله ومآله بعد الموت، وعلى هذا دل قوله عليه السلام « لا يخرج احد من الدنيا حتى يـرى مقعده من الجنة والنار »[2] وروى البراء بن عازب رضي الله عنـه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان المؤمن اذا كان في اقبال من الاخرة وانقطاع من الدنيا بعث الله تعالى اليه ملائكة كأن وجـوهم النور ومعهم حنوطه وكفنه فيجلسون منه مد البصر، فاذا خرجت روحه صلوا عليه، وان الكافر اذا كان في اقبال من الآخرة وانقطاع من الـدنيا بعث الله اليـه ملائكـة غلاظـا شدادا معهم ثيـاب من نـار

---

(1) الانعام 158/6

(2) فصلت 41 /30 .

(3) البقرة 154/2

(4) مجمع الزوائد 399/10 .

وسرابيلهم من قطران فيستخرجون نفسه كما ينزع السفود الكبير الشعب من الصوف المبتل فاذا خرجت لعنوه »[1] ، وقال تعالى : في صفة المحتضر ﴿ ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ﴾[2]، اي من موضع كل شعرة ويصار بها الى التراقي. وقال تعالى ﴿ كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق ﴾[3]، ويريد ان يرقى بي عن البدن ويخرجني منه وذلك على طريق الانكار، والغم اذا كان العبد مسيئاً، وعلى طريق الفرح والسرور اذا كان العبد محسنا بخروجه عن ضيق الدنيا، وقيل : هو من الرقية اي يقول المحتضر : من الذي يرقيني تنبيها أن ذلك مما لا يغني ولا ينفع، وقوله تعالى ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾[4]، قيل : عني به التفاف الساقين عند خروج الروح؛ وقيل : التفافهما عندما يلفان في الكفن، وقيل : هو ان يموت فلا يحملاه بعد ان كانتا تقلانه، وقيل : اراد التفاف البلية بالبلية، وقولهم : كشفت الحرب عن ساقها فأهل السماء يجهزون روحه واهل الارض يجهزون جسمه، وعلى هذا قال تعالى ﴿ الى ربك يومئذ المساق ﴾[5]، والاحتضار اول حال من أحوال الآخرة ينتهي اليه الانسان، وعنده يغلق باب التوبة كما قال تعالى ﴿ الذين يموتون وهم كفار ﴾[6]، وانما لا يقبل التوبة من اجل ان التوبة تكون بعمل في دار الدنيا،

---

(1) الزهد لابن المبارك ص 430 ومسند احمد 287/4 .

(2) ابراهيم 17/14 .

(3) القيامة 27،26/75 .

(4) القيامة 29/75 .

(5) القيامة 30/75

(6) النساء 18/4 .

والانسان في تلك الحال يزول اوائل روحه ويكون في حكم الحيوان والنبات لزوال عقله الانساني وفهمه فتلون توبته فضلا وقوله لغوا ، ولا يكون للمحتضر رجوع الى الدنيا كما لا يكون للشيخ رجوع الى الشباب، ولا الشباب رجوع الى الصبا، ودل على ذلك قوله تعالى ﴿ فلولا اذا بلغت الحلقوم، وانتم حينئذ تنظرون ﴾ الى قوله تعالى ﴿ ترجعونها ان كنتم صادقين ﴾[1] .

كيفية توفي ملك الموت النفوس

قد أضاف الله تعالى توفي النفس مرة الى قوله تعالى ﴿ الله يتوفى الانفس ﴾[2]، وقوله تعالى ﴿ هو الذي يتوفاكم بالليل ﴾[3] ، اذ كل ما يحدث من دقيق وجليل فهو تعالى سببه، ولولا ايجاده وإيجاد أسبابه المقتضية له لما وجد، ومرة اضافة إلى ملك الموت ـ عليه السلام ـ اذ هو السبب الثاني في احداث الموت وهو الموكل اليه بذلك، [وذلك قوله تعالى ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾[4] ، ومرة اضافة الى رسله وأعوانه][5] ، وذلك قوله تعالى ﴿ حتى اذا جاء احدهم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾[6] ، فذكر انه يبعث [ليتوفى احدهم الموت][7]

(1) الواقعة 56/83-87 .
(2) الزمر 39/42 .
(3) الانعام 6/60 .
(4) السجدة 32/11 .
(5) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش ن .
(6) الانعام 6/61 .
(7) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش م .

رسلا [وقد بين ذلك][1] فيما روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت ليلة اسري بى ملكا جالسا على عرش وبين ركبتيه جميع الدنيا ويداه تبلغ المشرق والمغرب فقلت يا جبريل من هذا ؟. فقال : ملك الموت ، دائب في قبض الارواح فسلمت عليه، فرد علي، وقال ابشر يا محمد فان الخير كله في امتك، قال فرأيت بين يديه لوحا، فقلت : يا ملك الموت ما هذا اللوح بين ركبتيك ؟ قال : فيه آجال بني آدم ، قال : فقلت كيف تقبض ارواحهم وأنت قاعد على عرشك ما تبرح ؟ قال : أما ترى الدنيا بين ركبتي وجميع الخلائق بين عيني وتبلغ يداي المشرق والمغرب، وما الدنيا بما سخرها الله لي عندي الا كالدرهم في كف رجل يقلبه كيف يشاء ، وما من باب من ابواب الدنيا الا وانا اتفحصه في كل يوم مرارا، واقول لاهل الميت اذا بكوا على ميتهم، لا تبكوا فان لي دعوة ودعوة حتى لا ابقي منكم احدا، فاذا حضر اجل خلق نظرت في اللوح وعلم اعواني اني قد نظرت فيه، ثم انظر الى ذلك الخلق لينزل اعواني فيعالجوه وينزعوا روحه حتى أتوا به الحلقوم ثم امد يدي فانزع روحه لا يلي نزع روحه احد غيري »[2]، فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى المعقول على طريق الاشارة ممثلا مجسدا ليقرب فهمه، وذكر بعض العلماء انه ـ عليه السلام ـ عنى بأعوانه الامراض والاوجاع التي هي اسباب الموت السارية في الخلق، وعناه بقوله

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ج والمثبت من ش م .

(2) تنزيه الشريعة169169/1 .

تعالى ﴿ توفته رسلنا ﴾ ولذلك قيل : المشيب بريد الموت، وعني بقوله « لا يلي نزع روحهم غيري » ما قال تعالى ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾ ، ولما كان الله تعالى هو الامر بذلك نسب اليه الفعل لقوله تعالى ﴿ يحييكم ثم يميتكم ﴾ ، وقوله عز اسمه ، ﴿ الله يتوفى الانفس ﴾ ولما كان ملك الموت واعوانه هم الذين يتولون قبض روحه جاز ان ينسب الفعل اليهم .

كراهة الموت ومحبته :

الموت الذي هو مفارقة الروح البدن هو نوم ما [كما ان النوم هو][1] موت ما ،ولهذا سماه الله تعالى التوفي في قوله ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ وقوله: ﴿يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ ولهذا قيل : النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل، وانما صار الموت مكروهاً من أجل ما يقرر في العقول ان الوجود افضل من العدم كما ان كل شيء بطبعه يطلب الوجود والبقاء ويكره العدم والفناء ، [ولما كان أكثر الناس اعتقدوا في الموت انه سبب العدم والفناء][2] ، لجهلهم بما بعده صاروا يكرهونه جداً، سيما من كان عليه الغالب الشهوات الحسية والهوى، فأما من اطلع على ما اطلع عليه امير المؤمنين عليه السلام، وحارثة رضي الله عنه وأمثالهما وتحقق ما أشار [الله تعالى

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ج .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج م والمثبت من ش .

بقوله: ﴿ فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين ﴾[1] واشار][2]
اليـه النبي صلى الله عليـه وسلم، حـاكيـاً عن ربـه تعـالى بقـولـه
﴿ أعـددت لعبادي الصـالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خـطر على قلب بشر ﴾[3]، حينئـذ رأى الدينا حبساً[4]، والمـوت
خلاصاً وغنما، كما قال عليه السـلام « الدنيـا سجن المؤمن وجنة
الكافر »[5]، وقال تعالى ﴿ ولدار الآخرة خيـر للذين يتقون ﴾[6]،
وروى ان داوود الـطائي[7] رحمة الله عليـه لما مـات سمـع هـاتفـاً
يقول : قد أطلق داود من الحبس، وذلك لما روي من مناجاته انه
كان يقول : الهي همك عطل علي الهموم وحال بيني وبين الـرقاد
فأنا في سجنك ايها المحبـوب مسجون[8] ، وروي ان الشبلي[9]
رحمه الله ـ مرض ثم برىء فقيل كيف حالك ؟ فأنشد :

كـلمـا قـلت قـد دنـى حـل قـيـدي
قـدمـونـي وأوثـقـوا الـمـسـمـارا

وقال ابن مسعود : مـا عين نظرت الا والمـوت خير منـه، اما

---

(1) السجدة 17/32 .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من م .

(3) رواه البخاري 318/6 .

(4) في ج « خسيسا » .

(5) الزهد 211 ، ومسند احمد 389/2 .

(6) الاعراف 169/7 .

(7) داود الطائي ابو سليمان، اشتغل بالعلم، ودرس الفقه، ثم اختار الانفراد والخلوة، مات سنة 160 هـ وقيل 165 هـ، وفيات الاعيان 259/2 ، وتاريخ بغداد 347/8 .

(8) تفصيل النشأتين للراغب ص 107 ، وصفة الصفوة 141/3 .

(9) ابو بكر الشبلي، ناسك متصوف، مات سنة 343 هـ، ببغداد الاعلام للزركلي . 21/3

المؤمن فيستريح الى رضوان الله تعالى، واما الكافر فإنه اذا سبق به الموت كان أقل لوزره. وقال عليه السلام : « المؤمن لا يأمن روعته ولا يسكن اضطرابه حتى يخلف الجسد وراء ظهره » ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم، من أصحابه من اطلع على ما بعد الموت واستعد له، وتشوق اليه فأخذ يتمناه نهى عليه السلام عن تمنيه، فقال للعباس يا عم لا تتمنى الموت فإنك ان كنت محسناً فتؤخر تزداد احساناً الى احسانك وان كنت مسيئاً فتؤخر ستتوب من اساءتك[1] وقال عليه السلام « لا يتمنى احدكم الموت وليقل اللهم احيني ما دامت الحياة خيراً لي وأمتني اذا كانت الوفاة خيراً لي »[2] ، وقال خباب : لولا ان النبي عليه السلام قال : « لا تتمنى الموت لتمنيته »[3] ، ومتمني الموت يكون احد الرجلين : اما غير مؤمن بالقيمة يتبرم بمحنة الدنيا فيتمناه ظناً منه ان له راحة كما اشار تعالى اليه بقوله عز اسمه ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق ﴾[4] ، واما مطلع على ما اعده الله تعالى للمؤمنين متشوق اليه فحقه ان لا يتمناه، ومتى اتاه تلقاه مسروراً به كما قال عليه السلام « ما غائب ينتظره المؤمن خير من الموت »[5] ، وقال عليه السلام : « الموت تحفة لكل مؤمن »[6]

---

(1) مجمع الزوائد 202/10 .

(2) صحيح البخاري 150/11 ، ومسند احمد 101/3 .

(3) رواه البخاري 220/13 بلفظ آخر، ونص الحديث روي عن انس (رض)، البخاري 220/13 .

(4) الشورى 18/42 .

(5) كتاب الزهد ص 92 .

(6) المصدر السابق ص 212 .

وقال بعض الأولياء وقت المعاينة : « مرحبا بالغائب المنتظر وبالقادم[1] المستبطأ . وقال آخر : ما غائب احب الي من الموت . وسؤاله الله تعالى الموت لا على سبيل التمني غير مكروه على نحو ما اخبر الله تعالى به عن نبيه حيث قال ﴿ توفني مسلماً والحقني بالصالحين ﴾[2]، وقال عمر رضي الله عنه : اللهم قد كبرت سني وذهبت قوتي فاقبضني اليك »[3]، وقال علي عليه السلام : اللهم اني قد كرهتهم وكرهوني ومللتهم وملوني وابغضتهم وابغضوني فأرحني منهم وارحهم مني »[4] . وروي انه بعد ذلك مضى لسبيله بعد اسبوع .

والموت هو احد الولادات، فيه يتوصل الى الحياة الأبدية التي هي اشرف الحياتين وما أجود ما شبه الشاعر بذلك حيث قال :

تمخضت المنون له بيوم
أنَى ولكل حاملة تمام[5] .

فجعل الموت حملا وتماما وتمخضا للوضع، فللانسان بقاء بلا فناء، وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت ولا سبيل اليها الا بالموت، فحقيق إذن أن يكون الموت محموداً، فالطريق الى الخير محمود كالخير نفسه ولكون ملك الموت سبباً لايصالنا

---

(1) في ج « القانع » .

(2) يوسف 101/12 .

(3) طبقات ابن سعد 335/3 .

(4) تاريخ البداية لابن كثير 8/21

(5) اللسان مادة « مخض » ونسبه الى عمرو بن حسان احد بني الحارث بن همام، يخاطب امرأته.

الى هذه المنزلة الشريفة امرنا بالصلاة عليه كساير الملائكة المقربين الذين هم اسباب من ايصال الخيرات الينا.

الفنـــاء :

في كلامهم فساد الشيء اولا فأولاً ويقال فني الطعام والـزاد، وفنى الانسان وسمي الهم من الناس فـانيا، قـال تعالى ﴿ كـل من عليها فان، ويبقى وجـه ربك ذو الجـلال والاكرام ﴾[1] ، ولـم يعن بقوله ﴿ من عليها ﴾ ، الانسان فقط، بـل عناهم وغيـرهم لأنه اذا اجتمع العقلاء، وغير العقلاء غلب العقلاء فاستعمل لفظهم، كمـا اذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكـر، وعلى ذلك قـال تعالى ﴿ والله خلق كـل دابـة من مـاء فمنهم من يمشي على بـطنـه ﴾[2] الآية ، وقال عامة المعتزلة : الفناء هو معنى ليس بجوهر يوجده الله تعالى في محل فيضاد الجواهر ويبطلها، والجواهر لا بد في بطلانها من هـذا الفناء، قـالوا : وهـذا الفناء يفنى بـذاته في ثـاني الحـال لا قصد له ولا بافناء الله تعالى اياه قـالوا : ولـو اراد الله تعالى ان يفني ذرة من العـالم مفردة لم يكن ذلـك مقدوراً حتى يـوجد هـذا الفناء، فإذا وجد الفناء فني به العالـم كله بلا مثنويـة ولو اراد ابقـاء شيء منها لم يمكن[3]، وهذا خرافة كما ترى وتعجيـز الباري عـز وجل في اثبات حاجة لـه الى الفناء حتى يصـح من الافناء. وقـال

---

(1) الرحمن 27/55 .

(2) النور 45/24 .

(3) اصول الدين للبغدادي ص 231 .

بعض متأخريهم بعد ما ذكر هذا ان حقيقة الفناء هو العدم فنقض ما أصله ان الفناء اسم لشيء يوجده الله تعالى لا في مكان وان به يعدم جميع الجواهر، فالفناء والعدم على ما تقدم كالنقيضين فإن الفناء على ما قدره وجودها والعدم لا وجود له، فكيف يكون الفناء عدما. ومعنى قوله تعالى ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ﴾ قد صرح بتفسيره ما روي عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله ﴾ [1]، ان ممن استثنى الله تعالى ثلاثة جبرائيل وميكائيل وملك الموت، فيقول الله تعالى وهو أعلم يا ملك الموت من بقي فيقول بقي وجهك الكريم، وعبدك ميكائيل وجبرائيل وملك الموت، فيقول توف نفس ميكائيل ثم يقول توف نفس جبرائيل ثم ينادي أنا بدأت الخلق ثم أعيده، اين الجبابرة والمتكبرون، وذلك حين تمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته [2]، وفي خبر آخر أما اسرافيل فيموت ثم يحيى في طرفة عين، وأما حملة العرش فيموتون في اسرع من طرفة عين، فيأمر الله تعالى اسرافيل في النفخة الأولى فإذا اهل السماء من الملائكة صرعوا على خدودهم، ثم امر فينفخ النفخة الثانية، وقد اجتمعت الارواح كلها في الصور وخرج كل روح من كوة من كوى الصور فإذا الأرواح بين السماء والأرض لها دوي كدوي النحل فينادي اسرافيل يا أيتها الجلود المتمزقة والعظام النخرة والأعضاء المتهشمة والأجساد المتفرقة والاشعار المتمرطة قوموا إلى موقف

---

(1) الزمر 68/39.

(2) الطبري في تفسيره 29/24، والقرطبي 280/15.

الحساب والعرض الأكبر ليدخل كل نفس في جسدها، قوموا بصغر وقمأة قدام رب العرش عز اسمه[1]، وقال ويمطر الله طيباً من تحت الأرض على الموتى فيحيون كما يحيي الأرض الميتة فيبعث الله تعالى الاجساد من بطون السباع وحواصل الطير وبطون الأرض وظهورها، فيدخل كل روح في جسده، فإذا هم قيام ينظرون، فيبعث الله تعالى ناراً من المشارق لحشر الخلائق الى المحشر الى ارض تسمى الساهرة لم يعمل فيها خطيئة ولم يسفك فيها دم[2]، وذلك قوله تعالى ﴿ فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة ﴾[3]، [وقوله تعالى : ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾[4]][5]، وقوله تعالى ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا ﴾[6]وقوله تعالى ﴿ ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا. وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً ﴾[7]، ومثل هذه الأخبار اذا تأمله من ذكرهم الله تعالى بقوله ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾[8]، اطلع منه على حقائق تثلج الصدر ، واذا سمعه العامي المتقيد بقيد الشرع المستسلم للاثر رأى منه المقنع، واذا سمعها الذين يجادلون في آيات الله بغير هدى رأوا سخفا وخرافة وكذبوا رواتها واستخفوا من قبلها ﴿ وما

---

(1) الدر المنثور 336/5 , 339 .

(2) المصدر السابق .

(3) النازعات 14/79 .

(4) المطففين 6/83 .

(5) ما بين المعقوفين ساقط من م، والمثبت من ش ج .

(6) الكهف 47/18 .

(7) الكهف 99/18 , 100 .

(8) العنكبوت 69/29 .

تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ [1] .

عذاب القبر :

القبر ها هنا اسم للحفيرة والمدفون فيها، او مصدر قبرته اي دفنته، ولم يرد بعذاب القبر حالة يختص بالمدفون دون غيره من الأموات، كالغريق والحريق والمتروك بالعراء واكيل السباع والحيتان، بل اريد هو وغيره، لكن ذكر بلفظ الغالب من احوال، الموتى، وقد ورد من الاخبار الصحيحة في عذاب القبر ما لا سبيل الى انكاره، ونحو ما روي انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم، مر بقبر في حائط لبني النجار فسمع صوتا فقال من صاحب هذا القبر، قالوا : انسان مات في الجاهلية، فقال لولا ان لا تدافنوا لسألت الله تعالى ان يسمعكم عذاب القبر [2] .

وعن ابن عباس وابي بكرة [3]، وجابر [4] ، رضي الله عنهم انه عليه السلام مر بقبرين فقال انهما يعذبان وما يعذبان في كبير أما احدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يتنزه عن البول، ثم أخذ عودا فشقه ونصبه عليهما وقال انه يخفف عنهما ما لم

---

(1) يونس 101/10 .

(2) رواه مسلم في صحيحه 2200/4 ، ومسند احمد 190/5 .

(3) في ج « ابي بكر » وفي ش « ابي بكرة » وهو نفيع بن حارث الثقفي، صحابي مشهور مات بالبصرة سنة 51 هـ، او 52 هـ، اسد الغابة 38/5 .

(4) جابر بن عبدالله الانصاري صحابي مشهور، مات بالمدينة سنة 78 هـ، الاصابة . 313/1

ييبس »[1]، وقال عليه السلام : « المؤمن في قبره في روضة خضراء »[2]، الى غير ذلك من أخبار، واستبعد ذلك قوم عجزوا عن معرفة حقيقة النفس والروح وقدروا ان ليس للانسان الا الاجسام التي تبلى وتخلف وتصير جيفة وترابا ورفاتا.

فأما من عرف الأرواح وعلم ان الاعتبار بها وانها تبقى بعد مفارقة الابدان الى ان يعاد اليها في عليين او في سجين كما اخبر تعالى عنها، وان الاجسام لها كالملابس او القوالب او المساكن او المراكب لم يصعب حينئذ معرفة حقائق ما ورد به القرآن والاخبار[3].

الشهادة :

الشهادة على ضربين احدهما ما اشار تعالى اليه بقوله ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ﴾[4]، والشهيد يكون في معنى الشاهد عند الله تعالى، او في معنى الشهود، والذي شهدته رحمة الله تعالى.

والشهادة في اللغة[5] حضور مع المشاهدة، وقد يقال للحضور

(1) رواه البخاري 242/3 ، ومسلم 240/1 ، والترمذي 102/1
(2) جامع الترمذي 640/4 .
(3) انكر بعض المعتزلة عذاب القبر، مثل ضرار بن عمرو والجبائي، والمريسي. . . الابانة ص 65 ، والارشاد 257 .
(4) آل عمران 169/3 .
(5) انظر اللسان مادة « شهد » .

مفرداً، فكل شهيد محضر وليس كل محضر شهيدا وسمي الاخبار على محضر بالفهم شهادة، وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿ هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك ﴾[1] إلى قوله تعالى ﴿ أو يأتي ربك ﴾ إشارة الى المحتضر الشهيد، ووصف بأنه حضره ربما تعالى تشريفاً له، قال بعض العلماء : « موت الشهادة هو كل موت لم تجلبه جناية الانسان على نفسه من كثرة الأكل والشرب والائتمار[2] للغضب وجوانبه[3] ، فكثير من الموت يعرض من بعض ذلك ويجري مجرى من خنق نفسه او رداها في بئر كمن كظته[4] السبع وملأ أمعاه المسكر أو حنقه الغيظ حتى هلك، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الطاعون والجنون والنفاس والهدم والغرق والحرق وأكل السُّبُعَ والبطن من الشهادة فقال عليه السلام « المبطون شهيد، والمطعون شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد ومن أكله السبع فهو شهيد[5]، وقال الجنون شهادة، [وقال المحموم شهيد، والغريب شهيد][6]، وقال : « اللهم اجعل فناء امتي في سبيلك بالطعن[7]، والطاعون[8]، [فنبه بالطعن على

---

(1) الانعام 158/6 .

(2) في ج و« الايثار » ، والمثبت من ش م.

(3) في ج ، « وما اليه » ، والمثبت من م .

(4) كظه الطعام والشراب . . . اذا ملأه حتى لا يطيق على النفس، وقد اكتظ. اللسان مادة « كظظ » .

(5) البخاري في الصحيح 180/10 ، ومسند احمد 315/5 .

(6) ما بين المعقوفين ساقط من م ج، والمثبت من ش.

(7) كلمة « الطعن » ساقطة من ج، والمثبت من ش م .

(8) مسند احمد 437/3 .

الشهادة الكبرى وهي القتل في سبيل الله وبالطاعون][1]، على الشهادة الصغرى، وقال عليه السلام « الطاعون وخز أعدائكم من الجن ، وهو لكم شهادة ، [قال بعض العلماء : الطاعون الذي يكون من وخز الأعداء من الجن هو ما يتولد من كثرة الأكل الشرب، والذي هو شهادة ما لم يكن من ذلك][2]، والمبطون المذكور في الخبر ليس من اصابة البطن من كثرة الأكل والشرب فإن ذلك، مذموم، وانما هو داء يصيب الناس في بطونهم من الأمراض الوبيئة[3]، كحمى يثرب وخيبر[4]، وقد قال عليه السلام : « ان هذه الحمى من فيح جهنم »[5]، وقال عليه السلام لمريض عاده : « ابشر فإن الله تعالى قال الحمى ناري اسلطها على عبدي المؤمن ليكون حظه من النار في الآخرة »[6]، وقوله عليه السلام : « من مات غريباً كان شهيداً»[7]، فقد قيل هو الغريب المذكور في قوله عليه السلام : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء ، قيل ومن هم قال : الذين يصلحون اذا فسد الناس »[8] ، الا ترى انه قد قال عليه السلام : « لا غربة على مؤمن » ، وقيل قد دخل في عموم الخبر كل من يغرب عن داره في طلب العلم او

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش م.
(2) في ج « العربية » ، والمثبت من ش م.
(3) كلمة « خيبر » ، ساقطة من ج، والمثبت من ش م.
(4) صحيح البخاري 320/6 ، ومسلم 1731/4 ، ومسند احمد 291/1 .
(5) رواه ابن ماجة 1149/2 .
(6) الفوائد المجموعة للشوكاني ص 95 .
(7) مجمع الزوائد 277/7 .

مرمة[1] عيشة ضرورية ، فقد روي « ما مات مؤمن بأرض غربة غابت عنه بواكيه الا بكت عليه السماء والأرض، وانه اذا احتضر فرمى بصره فلم ير الا غريبا ثم مات مات شهيدا »[2] ، وكذا موت الفجاءة هو ما لم يجلبه شيء مما تقدم ، فأما اذا كان من شيء من ذلك لم يتناوله الخبر، الا ترى انه عليه السلام قال : « لا تقوم الساعة حتى يظهر الموت الأبيض [قيل يا رسول الله وما الموت الأبيض؟ قال : موت الفجاءة][3]، والموت الابيض هو الذي يكون كالكظة فيرى من بخار الرطوبات الجو ابيضا، [والموت الأسود بالعكس من ذلك فإنه يكون من الجوع والعطش فيرى الجو اسودا][4]، والموت الأحمر القتل الذي فيه اراقة الدماء.

والثاني من الشهادة :

هو ما ذكره تعالى في قوله ﴿ فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً[5]، وهي ان الله تعالى يبعث الرسل مبشرين ومنذرين بأصول متفقة وان اختلفت[6] فروعها ، فصار كل واحد كالشاهد الذي قبله على أمته بأنه قد بلغ ما أمر به، ولما كان محمد صلى الله عليه وعلى آله خاتم النبيين صار شهيداً على الانبياء كلهم.

---

(1) في ج « كسب » ، والمثبت من ش م.
(2) مجمع الزوائد 318/2 .
(3) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش م.
(4) ما بين المعقوفين ساقط من ج م، والمثبت من ش.
(5) النساء 41/4 .
(6) في ج « وان اخالفت » .

كون الانسان مبعوثا بروحه وبدنه معا :

الانسان مبعوث وينشر بروحه وبدنه جميعاً على الاطلاق، خلاف ما قالت الفلاسفة[1] والباطنية[2]، جميعا : بأنه ينشر بروحه دون بدنه، وعلى ذلك دل الكتاب في عدة آيات نحو قوله تعالى : ﴿ من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحيها الذي انشأها أول مرة ﴾[3]، وقوله تعالى ﴿ بلى قادرين على ان نسوي بنانه ﴾[4]، والعقل يقتضي ذلك، فقد جعل الله تعالى الانسان على وجه يصلح له، وبيان ذلك : انه تعالى خلق خلقا للعالم العلوي وهم الملائكة، وخلق خلقا للعالم السفلي وهم الحيوانات والبهائم، وخلق للعالمين خلقا وهم الانسان وجعل له قوتيهما قوة الملائكة وهي العقل والعلم والفكر والمعرفة بعبادة الله تعالى وخلافته، وقوة الحيوانات وهي الشهوة والحمية والغذاء والتربية، وكما انه بقوتيه يصلح لهذا العالم كذلك يصلح بقوتيه لذلك العالم، وليس لقائل ان يقول كيف يصلح البدن للبقاء الدائم وهو مركب من الاركان الأربعة المستحيلة المتعادية[5]، على الاوقات[6] ، فإن الله تعالى يعيد الابدان على وجه ينتقي عنها الاستحالات والتغيرات والذبول والاضمحلال، والى ذلك اشار بقوله تعالى ﴿ وننشئكم فيما لا

---

(1) تهافت الفلاسفة ص 282 ، وشرح العقيدة الطحاوية ص 463 .

(2) الفرق بين الفرق ص 295 , 296 .

(3) يس 78/36 , 79 .

(4) القيامة 4/75 .

(5) في ج، « المتفاينة » ، والمثبت من ش م .

(6) انظر تهافت الفلاسفة ص 301 .

تعلمـون ﴾[1] تنبيها انـه تعـالى يعـري الابـدان عن الاستحـالات المعهودة في الدنيا ونحن لا نعلم في الشاهد ابدانا متعرية عن ذلك ولكن من عرف قدرة الله تعالى علم انه لم يعيَ بالخلق الأول كما قـال تعـالى ﴿ أفعيينـا بـالخلق الأول بـل هم في لبس من خلق جديد ﴾[2]، لم ينكر انه قادر على تغير قوى الابدان وجعلها على وجه يصح عليه البقاء بلا فناء.

ذكر قيام الساعة وتحقيقها :

[الساعة جزء من اجزاء الزمان، ويعبـر به عن القيـامة، تشبيهـاً بذلك لسرعة حسابه كما قال : ﴿ وهـو أسرع الحـاسبين ﴾[3]، أو لمـا نبه عليـه بقولـه ﴿ لم يلبثوا الا سـاعـة من نهـار ﴾[4]،][5]، والسـاعـات ثـلاث، السـاعـة الكبـرى : وهي بعث النـاس كلهم للمحاسبة، والساعة الصغرى : وهي موت كـل انسان في نفسـه، والساعة الوسطى : وهي موت اهل القرن الواحـد، وذلك نحـو ما روي عن النبي صلى الله عليـه وسلم انـه رأى عبـدالله بن انيس فقال : ان يطل عمر هذا الغلام لم يمت حتى تقوم الساعة »[6]،

---

(1) الواقعة 61/56 .

(2) سورة ق 15/50 .

(3) الانعام 62/6 .

(4) يونس 45/10 .

(5) ما بين المعقوفين ساقط من ش م، والمثبت من ج.

(6) الفتح 364/11 ، وقال ابن حجر : ان ما ذكره الراغب عن عبدالله بن انيس لم أقف عليه، ولا هو آخر من مات من الصحابة جزماً .

فقيل : انه آخر من مات من الصحابة، والساعة الصغرى هي [موت الانسان في نفسه وهي][1] المشار اليها بقوله تعالى ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة [قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها﴾][2]، الآية ،[3] ، ومعلوم ان هذه الحسرة تنال الانسان عند موته كما قال تعالى ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى اجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ﴾[4]، وكذلك قوله تعالى ﴿ قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون [ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء﴾[5] ،] [6] وما روي انه عليه السلام كان اذا هبت ريح شديدة، تغير لونه، فقيل له في ذلك فقال عليه السلام : « تخوفت الساعة »[7] ، وروي عنه عليه السلام : « ما أمد طرفا ولا أغضها الا واظن الساعة قد قامت »[8] .

والساعة الكبرى : هي ما اشار اليه النبي عليه السلام، بأن الساعة لا تقوم حتى يظهر الفحش والبخل، وحتى ينزل عيسى عليه السلام[9] وحتى يكون كذا وكذا من اشراط الساعة، فذكر امورا

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ج م، والمثبت من ش.
(2) الانعام 31/6 .
(3) المنافقون 10/63 .
(4) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش م.
(5) الانعام 40/6 , 41 .
(6) مسند احمد 159/3 .
(7) مفردات الراغب 248 .
(8) رواه البخاري 113/12 ، ومسند احمد 482/2 .

كثيرة فيها ما لم يحدث في زمانه ولا بعده، ومعلوم ان تلك الساعة غير ما كان يتغير لونه لأجلها، واختلف في وقوف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على هذه الساعات الثلاث فقال بعضهم كان الله تعالى مستأثرا بعلم ذلك كله لقوله ـ عليه السلام ـ ما المسؤول عنها بأعلم بها من السائل[1]، وقوله تعالى ﴿ علمها عند ربي ﴾[2]، وقوله تعالى : ﴿ ان الله عنده علم الساعة ﴾[3]، الى آخر السورة، وقد ذكر بعض العلماء[4]، ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخفي عليه الساعة الصغرى، وهي موتة نفسه، واياها كان يتخوف خشية ان يخترم قبل اظهار دينه وابلاغ رسالته، وكان يعرف الساعة الكبرى بدلالة تقديره حيث قال : « إنما بقاؤكم فيما مضى من الامم قبلكم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس »[5]، فلو لم تكن معلومة لما قدرها، وعلم هذا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الدنيا سبعة آلاف سنة واني بعثت في آخرها الفا »[6]، وقال عليه الصلاة والسلام بعثت في نسيم الساعة[7]. [وقوله عليه السلام : « بعثت أنا والساعة كهاتين »[8]][9]، وقوله عليه الصلاة

(1) رواه البخاري 114/1 ، ومسلم 39/1 .

(2) الاعراف 187/7 .

(3) لقمان 34/31 .

(4) في ج ش « الحكماء » ، والمثبت من م .

(5) البخاري 38/2 .

(6) كنز العمال 191/14 .

(7) كنز العمال 191/14 .

(8) رواه البخاري 347/11 مسند احمد 103/5 .

(9) ما بين المعقوفين ساقط من م ، والمثبت من ش ج .

والسلام : « ما المسؤول عنه بأعلم بهـا من السائـل » ، اشارة الى الساعة الصغرى، قال : وقوله تعالى﴿ان الله عنده علم الساعة﴾غير موجب ان لا يعلم غيره بـاعلام الله تعـالى اياه كمـا ان قولـه تبارك وتعـالى : ﴿ وعنده مفـاتيح الغيب لا يعلمهـا الا هـو ﴾ [1] ، غيـر موجب ان لا يكون غيره يعلمه ممن أعلمه الله تعالى لقوله تعالى : ﴿ فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ﴾ [2] ، وانما نفى الله تعالى علمه عن غيره مدركا له بذاته وسابقا اليه لا من جهة الأخذ عنه، وقال بعض الناس ـ ولعله هو الأصح ـ : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف كل ذلك بالامارة المذكورة له، ولم يكن يعرفها تصريحا وتحقيقا.

أما الساعة الكبرى فقد ذكر من أمارتها، واما الوسـطى فبقولـه « ان يطل عمر هذا » فعلقه بشرط، وأما الصغرى فبما روي أنه لما نـزل قول الله تعـالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾[3]، قـال النبي عليه السلام « نعيت الي نفسي »[4]، وكان يخبر في تلك السنة عن نفسه بأمارات وسمى حجته حجـة الوداع وخـطبته خـطبة الـوداع. وبعض العلمـاء جمع بين قـوله عليـه الصلاة والسـلام « بعثت انـا والساعة كهاتين » وأشار بالسبابة والوسطى وبين قولـه عليه الصـلاة والسلام : الدنيا سبعة الاف سنة، فقال فضل الوسطى على السبابة بقدر السبع، فكأنه قال عليه السلام : ما بيني وبين آخر الدنيا الذي

---

(1) الانعام 59/6 .

(2) الجن 26/72 , 27 .

(3) المائدة 3/5 .

(4) الموضوعات 345/1 .

هو الساعة الا مقدار زيادة الوسطى على السبابة، وقال بعضهم: عنى أن نسبة الزمان بينه وبين القيامة التي هي اخر الدنيا وهي سبعة آلاف سنة كنسبة بعد ما بين السبابة والوسطى مفتوحة الى بعد الأصابع الخمس وهي كنسبة الثمن، وذلك ان الفضاء بين الأصابع الخمس ستة امثال ما بين السبابة والوسطى، [وقدر غلظ الأصابع الخمس مثل ما بينها من الفضاء، فيكون بعد الاصابع الخمس مفتوحة ثمانية امثال ما بين السبابة والوسطى][1] اذا اخذت دائرة، فبين ان بين الساعة وبينه قدر ثمن الدنيا، [وثمن سبعة الاف ثمان مائة وخمسة وسبعون سنة][2]، قال ولذلك قال النبي عليه السلام بعثت في اخرها الفا، فإنه بعث وبينه وبين ما دون ألف سنة، وعلى قريب من هذا دل ما ذكر اصحاب التواريخ، فإنهم قالوا: بين آدم وبينه ستة آلاف سنة وكسر[3]، وقوى ذلك ما روى « انما اجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر الى مغيب الشمس »[4]، قال وبين العصر والمغرب قدر ربع النهار وهو ثمن زمان اليوم بليلته على التقريب، وقال بعضهم: معنى قوله « بعثت أنا والساعة كهاتين » يعني وفاته عليه السلام ولذلك روى انه كان يترقبها صباحا ومساء والله اعلم بحقيقة ذلك.

وروى انه قال عليه السلام « لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتكون الساعة كاحتراق السعفة »[5] قال بعض الحكماء: معناه إن

---

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من ج م، والمثبت من ش.

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من ج، والمثبت من ش م.

(3) مروج الذهب 268/2.

(4) رواه البخاري 495/2.

(5) مسند احمد 538/2.

الساعة الكبرى لا تقوم حتى يُبَلِّغ دِيْنَهُ وملك امته من جهة القطب الشمالي الى حيث يكون اليوم الشتوي فيه بقدر الساعة، وهذا كما ذكر عليه السلام بقوله « زويت لي الارض فأُرِيْتُ مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها »[1] فبين هذا الخبر حال انتشار ملك امته في ناحية المشارق والمغارب وبذلك الخبر انتشاره في ناحيتي القطب الجنوبي والشمالي، لكن لما كان ناحية الجنوب تنقطع العمارة فيها، اقتصر على ذكر الشمال [وانه يبلغ الى حيث مقدار اليوم الشتوي خمس عشرة درجة ومقدار اليوم الصيفي ثلاثمائة وخمسا واربعين درجة][2] فنبه عليه السلام بالخبرين ان ملك امته يبلغ جميع المعمورة في الأرض، وقد قرب الله تعالى امر الساعة في عدة آيات فقال ﴿ وقد جاء اشراطها فأنّى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ﴾[3] وقال ﴿ وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ﴾[4]. وقال ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾[5].

وقال ﴿ واقترب الوعد الحق ﴾[6]، وقال ﴿ اقتربت الساعة ﴾[7] وهذه الايات تتناول الساعات الثلاث، فإن بعض

---

(1) رواه الترمذي 472/4 .

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من ج، والمثبت من ش م .

(3) سورة محمد (ص) 18/47 .

(4) النحل 77/16 .

(5)) الانبياء 1/21 .

(6) الانبياء 97/21 .

(7) القمر 1/54 .

ذلك، وان كان بعيداً بالاضافة الينا والاعتبار بنا فقريب عنده، فإن الشيء مستبعده يتجدد بالزمان أو كونه في مكان دون مكان.

وصف الدجال ونزول عيسى عليه السلام :

أصل الدجال والدجن إلباسُ الفهم والظلمة، وسمي الدجال بذلك لتلبيسه على الناس هداهم، وروي انه يدعي الربوبية[1]، وقال عليه السلام : « انه أعور هجان اشبه الناس بعبد العزى بن قطن، ولكن الهلك كل الهلك انه اعور لا يقدر ان يغير عوره فإن هلك فيه جماعة وضلت فاعلموا ان ربكم ليس بأعور »[2]، ومضى قوله الهلك كل الهلك، أي هلكه في انه لا يقدر ان يغير عوره، فيكشف عوره للناس أمره فمن رأى عوره لا يعتريه شبهة في خلاله، وسمى المسيح لأنه ممسوح احدى العينين، وانما تسمية عيسى مسيحا فقد قيل لأنه كان يمسح الأرض بالسياحة فيها، وقيل : انه كان مشيحا فعرب، فقيل : مسيحا وقيل لأنه كان ممسوحا بالجمال ولم يعن بذلك جمال الوجه فقط بل عنى ما خص به من افعاله الجميلة والمشار اليها بقوله : « ان الله جميل يحب الجمال »[3]، وقال بعض الحكماء[4]، لما كان للانسان بصيرتان احداهما الحواس التي يدرك بها الأمور الدنيوية، والأخرى العقل الذي يدرك به الأمور

---

(1) اللسان مادة « دجل ».

(2) مجمع الزوائد 338/7، بلفظ قريب، وكنز العمال 319/14.

(3) مسلم في الصحيح 93/1، ومسند احمد 233/4، وتفسير القرطبي 89/4، وتفسير القرآن العظيم 363/1، واللسان مادة « مسح ».

(4) في ش ج « العلماء »، والمثبت من م.

الاخـروية، وكـان الدجـال فاقـد البصيـرة التي يـدرك بهـا الأمـور الاخروية، وعيسى كان تاركا لاستعمال البصيرة في الأمور الدنيوية صارا جميعا مسميين بالمسيح، ولهـذا روي : ان الدجـال ممسوح احـدى العينين[1] ، [وروي انه يخـرج بين يدي السـاعة ثـلاثـون دجالا، أي جماعـة يدجلون الحق »][2]، وروى جـابر رضي الله عنه، « لا تقوم الساعــة حتى يخرج ثلاثون كذابا كلهم يزعم انـه رسول الله »[3]وما روى انه ينزل المسيح من السماء فيقتله فلا يبقى على الأرض شيء ممـا خلقه الله يتـوارى به يهـودي الا انطقـه الله فيقول يا عبد الله المسلم هذا يهودي فاقتله الا الفرقدة فانها شجرهم فلا ينطق، ويرفع الشحناء والعداوة وينزع حمة كل دابة حتى تدخل الوليدة يدها في فم الحنش، فلا يضرها [4] ، فمن الناس من يحمل ذلك على ظاهـره ومنهم من قال : كنى بعيسى عمن يخـرج فيملأ الأرض عـدلا [كما ملئت جـورا، واشار بنـزع حمة كـل دابة الى ارتفاع العداوات][5]، وقطع اسباب الشر، [والله اعلم بها][6].

---

(1) رواه البخاري 389/13 .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش م .

(3) كنز العمال 2239/4

والترمذي 498/4 ومسند احمد 450/2 .

(4) سنن ابن ماجة 1361/2 ، والترمذي 5566/4 ، وابو داود 118/4 .

(5) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش م .

(6) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش م .

حقيقة نطق الجوارح وابيضاض الوجوه، واسودادها في القيامة :

قد ذكر الله تعالى ما ينبىء عن شهادة الجوارح يوم القيامة على الانسان، فقال ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون ﴾[1]، وقال ﴿ حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾[2]، وروى عقبة بن عامر الجهني[3]، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انه قال أول شيء يتكلم عن الانسان يوم يختم على أفواههم فخذه من الرجل الشمال »[4]، وقد اختلف الناس في كلام هذه الأعضاء على وجهين، فمن قائل يصور هذا الكلام محسوسا، وقال لا بد ان يحصل من هذه الجوارح نطق من خارج يصل الى السمع محسوسا، حسب ما يتعارفه في الدنيا اعتبارا بظاهر ما ورد، وقائل اعتبر ذلك معقولا وقال انما هو على سبيل الافهام والتفهم والاعتبار والنظر وانه يظهر من هذه الأعضاء افعالها التي تعاطتها، واحوالها التي تخصصت بها، قال وهذا النوع من الكلام هو ما يكون من جهة الاعتبار وقد يكثر منه حظ بعض الناس في الدنيا وهو من خصه الله بالفراسة وجعل له نورا يهدي به من الافهام والتكليم والترويع المذكور في قوله عليه السلام : « ان في امتي لمكلمين

---

(1) يس 65/36 .

(2) حم السجدة 20/41 .

(3) عقبة بن عامر الجهني ، صحابي مشهور، توفي سنة 58 هـ، الاصابة 489/2 .

(4) مسند احمد 151/4 .

ومروعين » ، ولكن ذلك كلام يقل في الدنيا، ويكون لبعض الناس دون بعض وفي زمن دون زمن، وبالتخمين والظن ويكون في الآخرة لأكثر الناس وفي عامة الأحوال وبالعلم واليقين لا بالظن والتخمين، وكلا القولين سايغ غير بعيد في قدرة الله تعالى ان ينطق الجوارح حتى يسمع منها سماعا، وكذا غير بعيد ان يجعل لنا علماً نفهم عن الجوارح كل ما حصلت منه في الدنيا، ، وقال بعض العلماء انما يختم الله تعالى على أفواههم وينطق جوارحهم لكون الألسنة مجعولة على وجه يكون من الصدق والكذب وكون هذه الجوارح صادقة في اخبارها، فإن الحواس الخمس مسخرة على وجه لا يمكنها ان تخبر عما تدركه بخلاف ما هو عليه فمحال ان يرى البصر السواد بياضا والبياض سوادا وكذلك سائر الحواس.

فأما ابيضاض وجه المؤمن واسوداد وجه الكافر فمنهم من اخذ ذلك محسوسا وقال ذلك من العلامات التي يعلم بها المؤمن من الكافر، ومنهم من قال ابيضاض الوجه عبارة عن الفرح، واسوداده عبارة عن الحزن لقولهم ، بيضت وجهي بكذا وسودت وجهي بكذا، قال تعالى ﴿ واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ﴾[1] ، وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة، ووجوه يومئذ باسرة ﴾[2] ، ﴿ ووجوه يومئذ مسفرة، ضاحكة مستبشرة، ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة ﴾[3] .

---

(1) النحل 58/16 .

(2) القيامة 22/75 , 23 , 24 .

(3) عبس 38/80 , 39 , 40 , 41 .

ذكر الحساب، والميزان :

الميزان والمكيال اسم لكل ما يعرف به قدر الشيء معقولاً كان ذلك الشيء او محسوساً يعرف به لا يكون الا معقولا ، وقد جعل الله تعالى لكل شيء ميزان فميزانه الذي يعرف به لا يكون الا معقولا ، وقد جعل الله تعالى لكل شيء ميـزان فميزان الشعـر هو العـروض وميـزان الكلام الابنيـة والنحو، وميـزان الممسـوحـات الهنـدسـة، والوزن اعتبار العدالة في الشيء، ومعرفة قدره وسمى الله تعالى كل ما يعرف به العدالة الميزان، والى ذلـك اشار بقـوله تعـالى ﴿ لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ﴾[1]، فجعـل لكل من الرسل ميزانا كما جعل الله له كتاباً وهو ما يعرف به الحق من الباطل في الاعتقاد والصدق من الكذب في المقال، والجميل من القبيح في الفعال، والميزان المروي في الخبر له كفتين احدهما من النـور والأخرى من الـظلمة، وقـوله تعـالى ﴿ ونضع المـوازين القسط ليوم القيامة ﴾[2]، وذكر فيه من لم يتدرب بـالمعقولات ولا يتحقق بتوسع كـلام العرب واستعـاراتها ان ذلـك ميزان محسـوس كميزان الناس، فبعض قال : ان الله تعـالى يجسـم الأعمال حتى يحصل فيها ثقل فيضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، ومنهم من قال : بل تـوزن صحايف الأعمـال[3]، والأقرب ان الـوزن هو الاختبار، والابتلاء ، والله غني عن الاختبار والابتلاء كمـا هو غني

---

(1) الحديد 25/57 .

(2) الانبياء 47/21 .

(3) تفسير القرطبي 169/7 .

عن الوزن ولكن ذكر ذلـك على حسب موضـوع اللفظ والتعارف، وحقيقة اطلاع الله تعـالى ايانـا على معرفـة حسناتنـا وسيآتنـا حتى يتحققهـا فوق تحققنـا للموزونـات المحسـوسـة فمعلوم ان الـوزن المعتبر بالعقل في المعقولات اكثر تحقيقا من المعتبر بالحس[ن] فإنه يمكن ان يوزن جزءاً من الف جزء من حبة بـالعقل فيعـرف معرفـة متحققة ولا يمكن وزن ذلك بـالحس فإن قيـل : الميزان الـذي له كفتان في المتعارف ليس الا المحسوس قيل : ان ذلك يكون كما قلت متى اضيف الى محسوس، فقيل : ميـزان الدرهم والـدينار، فأما اذا اضيف الى الأعمال والمعقولات فلا يعقل ذلك منه كقـول القائل : وزنت فلانا فلم اجد له وزنا. وقول الشاعر :

[وضــعــن عــلى الــمـيــزان كــوزا وهــاجــرا
فــمــالــت بـنــو كــوز بــأبــنــاء هــاجــر](1)

وقول الآخر : ....

رجــحــوا وشــال ابــوك فـي الــمــيــزان(2)

ومـا ذكرت المعتـزلة في حـديث الميزان، فلو ورد بـه الخبـر لجوزناه وسلمناه، ولكن لفظ ورود الميزان لا يقتضيه لما تقدم.

وأما الحساب، فحقيقته معرفـة قدر الشيء، من طـريق العدد

---

(1) مـا بين المعقـوفين سـاقط من ج، والمثبت من ش م، والبيت في اللسـان، مـادة « كوز » ولم ينسبه، وهو بهذه الرواية، وفي المخطوط : وضعنا.

(2) القائل الاخطل كما في ديوانه 394 ، واللسـان ، مادة « شول » وصدر البيت :
واذا وضــعــت أبــاك فــي مــيــزانــهــم ....

والعمل به، يقال لكل واحد منهما حساب للمعرفة والمفردة وللعمل بها مفردة فالمحاسبة هي تقدير ذلك عند المحاسب واطـــلاع الله تعالى عباده على اعمالهم الحسنة والسيئـة، ولذلـك قال تعـالى : ﴿ كفى بنفسـك اليوم عليـك حسيبا ﴾[1] ، وروى : « من حـاسب نفسه لم يحاسبه الله تعالى » ، وروى في الخبر : « حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا »[2] تنبيها ان من عرف ما مضى من اعماله فشكر على حسناته واستغفر سيئاته لم يستوجب الوقوف للحسـاب، وروى في تفسير قـوله تعـالى : ﴿ والله سريـع الحساب ﴾[3] ، تنبيها على ما تقدم .

صفة الجنة والنار :

اصل الجنة البستان ذو الاشجار لاستتارها بها على ذلك قـوله ﴿ كمثل جنة بربوة ﴾[4] ، وقـوله تعـالى ﴿ ودخل جنتـه وهو ظـالم لنفسه ﴾[5] ، وتسمية دار السلام بها لما فيها من الخيرات، وان كان بينهما بون بعيد، وقيل سميت بذلك لأنه ستر العباد في الدنيا حقيقة ما لديهم فيها من آلاء تقصر الافهام عن ادراكها بدلالة قوله تعـالى ﴿ فـلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قـرة اعين ﴾[6] ، وقولـه عليـه

(1) الاسراء 14/17 .
(2) جامع الترمذي 638/4 .
(3) البقرة 202/2 .
(4) البقرة 265/2 .
(5) الكهف 35/18 .
(6) السجدة 17/32 .

السلام حاكيا عن ربه عز وجل : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[1]، وقال ابن عباس : « الجنان سبعة، جنة الفردوس وجنة عدن وجنة نعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون[2]. وسمى ذلك كله دار المقامة ودار الحيوان ، وروى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : الجنان مائة درجة واعلاها الفردوس »[3]، وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ قد افلح المؤمنون ﴾ الى قوله تعالى ﴿ اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ﴾[4] ، وقال ﴿ ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ﴾، ثم قال ﴿ وذلك جزاء من تزكى ﴾[5] ، واصحاب الجنة على القول المجمل فرقتان : السابقون وهم المقربون لقوله تعالى ﴿ والسابقون السابقون اولئك المقربون ﴾[6] ، والابرار وهم دون المقربون بدلالة قوله تعالى ﴿ ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ﴾[7] ، وقوله ﴿ ان الابرار لفي نعيم ﴾ الى قوله ﴿ ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ﴾[8]، فذكر ان مزاجه خص به المقربون [تنبيها على

---

(1) رواه البخاري 318/6 ، ومسلم 2174/4 .

(2) حادي الأرواح 65 .

(3) رواه البخاري 404/13 ، ومسند احمد 306/5

(4) المؤمنون 1/23 - 11 .

(5) طه 75/20 ، 76 .

(6) الواقعة 10/56 ، 11 .

(7) الدهر 5/76 .

(8) المطففين 22/83-28 .

ان منزلة المقربين][1]، اعلى واشرف، وكما جعلهم فرقتين ها هنا جعلهم كـذلك حيث قـال ﴿ وسارعـوا الى مغفرة من ربكم وجنـة عرضها السموات والأرض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضـراء، والكـاظمين الغيظ والعـافين عن النـاس والله يـحب المحسنين ﴾[2]، فذكر تعالى ان للمحسنين المتحرين لهذه الأفعال جنة ترقى على السموات والأرض فهذه الصفة هي صفة المقـربين الذين جعل لهم هناك تسنيما ﴿ عينا يشرب بها المقربون ﴾، ثم قال بعـد ﴿ والـذين اذا فعلوا فـاحشـة ﴾ الى قـولـه ﴿ ونعم اجـر العـاملين ﴾[3]، فوصف ان لهم جنـات هكـذا، فهـذه هي صفـة الابرار الذين جعلهم هناك كأساً مزاجها كافورا وجعل الجنات درجات والنار دركات وذكر ان للنار سبعة ابواب وللجنة ثمانية ابواب هي ابـواب على التتابـع بعضها دون بعض ، قـال تعـالى ﴿ وان جهنم لمـوعدهم اجمعين لهـا سبعة ابـواب لكل بـاب منهم جزء مقسـوم ﴾[4]، فـذكـر ان لكـل درك جـزء من النـاس وقـال ﴿ ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾[5]، وجعل الدرجة العليا من الجنة لمن تزكى لقوله ﴿ ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الـدرجـات العلى جنات عُدن﴾ ثم قـال ﴿ وذلـك جـزاء من تـزكى ﴾[6]، وقد وردت الشـريعة بـأن الجنة في السمـاء السابعـة

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش م.
(2) آل عمران /133-134 .
(3) آل عمران 3/135-136 .
(4) الحجر 15/ 43-44 .
(5) النساء 45/4 .
(6) طه 75/20 , 76 .

وروى انهـا في السماء الـرابعة، وان جهنم في اسفـل السـافلين، وروى انها في تخوم الأرضين، وورد ما نبه ان اهل الجنة واهل النار يتجاورون ويتحاورون، بعد استقرار الدار بالفـريقين، وذلك قـوله تعالى ﴿ ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعـد ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقـا، قالـوا نعم ﴾[1]، الاية، وكذلك قوله ﴿ ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله ﴾[2]، الاية ومن نظر الى ذلك ببصيرته لا ببصره واعتبره بعقله لا بحسه لم يصعب عليه معرفته، وقـد ذكر تعالى النار وخزنتها فقال ﴿ لواحـة البشر، عليهـا تسعة عشـر، وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ﴾[3]، فذكر ان الملائكة الموكلين بها تسعة عشر بعدد النجوم السبعة والبروج الاثني عشر، وذلك مما تخفى حقيقته على كافة البشر، الا من آثره الله تعالى بعلمه، وذكر تعالى الجنة والنار على وجوه مختلفة بأمثال مجسمة والفاظ مشبحة ليدركـه افهـام العباد بعض الادراك فقـال في موضـع ﴿ وبرزت الجحيم للغاوين ﴾[4]، وقال ﴿ ان جهنم كـانت مرصـادا للطاغين مآبا لابثين فيها حقابا ﴾[5]، وقال ﴿ اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لهـا تغيظا وزفيـرا ﴾[6]، وقال عليـه السـلام : « يؤتى بجهنم يـوم

---

(1) الاعراف 44/7 .

(2) الاعراف 50/7 .

(3) المدثر 29/74, 30, 31

(4) الشعراء 91/26 .

(5) النبأ 78 21, 22, 23 .

(6) الفرقان 12/25 .

القيامة ولها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك »[1]، وروى ابو سعيد الخدري[2]، عن النبي صلى الله عليه وسلم « بينا الناس ينتظرون الحساب اذ بعث الله تعالى عنقا من النار يقول امرت بثلث بمن ادعى مع الله الها اخر وبمن قتل نفسه بغير حق، وبكل جبار عنيد، فيلقطهم من بين الناس كما يلقط الطير الحب ثم يسير بهم في جهنم »[3]، وقد جسمها النبي صلى الله عليه وسلم على وجه آخر فقال : : « يضرب الله الصراط بين ظهراني جهنم فأكون انا وأمتي اول من يجيز ولا يتكلم الا الرسل ودعواهم : اللهم سلم سلم »[4]، وقال عليه السلام في خبر آخر : « صراط كحد السيف بحافتيه حسك السعدان وملائكته قيام على حافتي الصراط، فيقولون الله سلم سلم، ويقال لهم جيزوا بقدر اعمالكم فمنهم كالطرف ومنهم كالبرق ومنهم كالريح، ومنهم كالطير ومنهم كأسرع الخيل ومنهم كسعي الرجل[5]، وذكر في موضع ان اصحاب الجنة يؤخذ بهم نحو اليمين، واصحاب النار نحو الشمال، وقال تعالى ﴿ وان منكم الا واردها ﴾[6]، وهذه كلها اشارات وتمثيلات فلا تتنافى[7]، فيما قصد اليه بالمعنى كما أن القائل اذا وصف الحرب

---

(1) مسلم 2184/4 ، والترمذي 7016/4 .

(2) ابو سعيد سعد بن مالك الخدري، صحابي مشهور، توفي سنة 74 هـ، الاصابة . 701/4

(3) الترمذي 701/4 .

(4) البخاري 445/11 ، ومسلم 169/1 .

(5) البخاري 445/11 ، ومسلم 167/1 ، واحمد فس مسنده 110/6 .

(6) مريم 71/19 .

(7) في ج «يتأتى» ، والمثبت من ش م .

فقال هي رحى تطحن ونار تتأجج وقد تفور وعروس تتزين وعجوز تتكلم وحامل تضع وحائل تعقم ونحو ذلك من الأوصاف المتنافية في الظاهر لم يكن بين هذه الألفاظ تناف في الحقيقة لكونها امثال واشارات، وهذا ظاهر لمن تدرب منه في باب البلاغات والاستعارات.

ذكر الجنة والنار وهل هما مخلوقتان أم لا

ذهب جماعة من المتكلمين[1] الى انهما ليستا بمخلوقتين لكنهما تخلقان للتأبيد قالوا: قد ثبت ان الله يفني الاشياء كلها حتى لا يبقى الا وجه الله تعالى فلو كانت مخلوقة الان لفنيت فلم يكن لخلقها الان فائدة، قالوا، والجنة التي اسكنها آدم كانت بستاناً بأرض الهند، وكانت دار تكليف، وليس في الجنة تكليف بوجه[2]، وذهب غيرهم من اهل الملة الى انهما مخلوقتان، وان جنة الخلد هي التي كان فيها آدم وزوجته وتسميتها بالخلد اعتبارا بالمآل الا ترى انا خلقنا للابد وان كنا ننتقل من دار الى دار ومع ذلك لا يمتنع ان يكون في حال مكلفين، وفي حال غير مكلفين، قال بعض الحكماء: ان الله تعالى لما خلق الانسان لاستخلافه في الارض واستعماره فيها وأراد ان يوصله الى جنة المأوى وعلم انه منه بسوء تدبيره قد يختار العاجل الخسيس، على الاجل النفيس كما

---

(1) جماعة من المعتزلة والخوارج، الفصل 81/4، اصول الدين 237، شرح الطحاوية 476.

(2) تفسير القرطبي 302/1، والارشاد ص 378.

وصفه الله تعالى بقوله ﴿ وكان الانسان عجولا ﴾[1] ، وقوله ﴿ أرضيتم بالحياة الدنيا في الأخرة ﴾[2] ، وعلم انه يتبع هواه كما قال ﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾[3] ، عرض جنته التي خلقها على آدم ليعرف النعيم الحقيقي فلا يغره الغرور فيكون اليه اشوق، ويذوق مغبة المخالفة فيكون منها أفرق فالمحنة بعد النعمة ابلغ في التأديب، والبلاء بعد الرخاء انجع في التهذيب، والانسان فيما عاينه أرغب منه فيما حدث به فصار ما ابتلى به آدم تمام نعمة الله عليه، فإن قيل: هل يغني الله تعالى الجنة إذا فنى الأشياء كلها؟ قيل : [إن الفناء الذي ابدعته المعتزلة[4]، هو شيء توهموه فاخترعوه][5]، من غير ان له في الشريعة اصلا يعتمد عليه او يفزع اليه، والعجب انهم ادعوا في ذلك الاجماع واعتمدوا فيه على قوله تعالى ﴿ كل شيء هالك الا وجهه ﴾[6] ، والمفسرون كلهم قالوا عنى بذلك أهل السماء والارض [وقد تقدم ما بين ذلك][7]، ثم الهلاك في كلامهم على وجهين، احدهما : افتقاد الشيء عندك وهو موجود عند غيرك كقولك هلك مالي، والثاني : انتفاض بنية الشيء حيا كان او ميتاً كقولك هلك فلان اذا مات، وهلك المنزل اذا تهدم، والثياب

---

(1) الاسراء 11/17 .

(2) التوبة 35/9 .

(3) سورة محمد (ص) 14/47 .

(4) قال به ابو الهذيل العلاف من المعتزلة، والجهم بن صفوان من الجهمية، الفِصَل 83/4 ، اصول الدين ص 237 .

(5) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش م .

(6) القصص 88/28 .

(7) ما بين المقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش م .

اذا تمزقت، وكذلك الفناء في كلامهم، فأما ما ادعوه، من اعدام الاشياء بالفناء الذي قالوا فشيء هم ولدوه، وقوله تعالى ﴿ يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب ﴾[1] ، فليس يقتضي ما قالوه، وقال ابن عمر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر وهو يقول : ان الله تعالى اذا كان يوم القيامة جمع السموات السبع والارضين السبع في قبضته ثم يقول انا الله انا الرحمن انا الملك القدوس انا الذي بدأت الدنيا ولم يكن شيئا وانا الذي اعيدها، اين الملوك الجبابرة » [2] ، فقال جمعها في قبضته تنبيها انه لم يتركها بحالتها وكذا قوله تعالى ﴿ يوم تمور السماء مورا ﴾[3] ، وقوله ﴿ يوم تبدل الارض غير الارض ﴾[4] ، لا يقتضي ما قالوه، وجملة الامر انه ان اعدمها ثم أعادها لحكمة استأثرها فسايغ، فان هو ابقاها ولم يفنها فليس ذلك لزوم محال ولا ادعاء كذب على مقال ولا نسبة الباري عزَّ اسمه الى عجز وجهل وقد قلنا بدءاً وعودا ان الِامور الاخروية انما يمكن ان يقال فيها ما اطلعنا الله عليه ـ والله الموفق .

ذكر الأكل والشرب في الجنة

استبعد الطبيعيون والفلاسفة[5] الاكل والشرب في الجنة، وتبعهم على ذلك قوم من النصارى، وشبهتهم في ذلك ان الاكل

---

(1) الانبياء 104/21 .

(2) رواه مسلم بلفظ قريب منه 2148/4 ، ومسند احمد 72/2 .

(3) الطور 9/52 .

(4) ابراهيم 48/14 .

(5) تهافت الفلاسفة ص 282 .

والشرب يطيبان عن جوع وظمأ والجوع والظمأ يعترضان عن تحلل يحصل في البدن، والجماع يطيب عند اجتماع فضلات من البدن يستدعي الطيبة الى اخراجها ونفضها، ثم الطعام المتناول معلوم ان بعضه يصير نمواً للبدن وغذاء له عوضا عما يتحلل منه، وجبرانا لما ينقص منه، وبعضه يصير ثقلا، ثم طبخ المعدة له فيخرج من البدن اما ثقلا وأما مخاطا وبزاقا وعرقا وقيحا، وغير ذلك من الفضولات الخارجة من البدن وكل ذلك يكون في دار الكون والفساد دون دار الخلد والبقاء ، وهذا كلام من نظر الى الاجساد والى الاطعمة نظرة اليها في الدنيا وهي مركبة من الأركان الأربعة تركيبا معرضا للاستحالات ولا يعلم ان الله تعالى قادر على اعادة الاجساد اعادة لا تعتروها الافات حسب ما تقدم القول فيه، وقادر على خلق الاطعمة متعرية عن القشورات؛ والتركيبات المعرضة للافات والوقوف على ذلك يصعب الا بمعرفة مقدمة وهي : ان كل ما أوجده الله تعالى فانه اوجده لمعنى به يصير ذلك الشيء هو ما هو، ويستحق الاسم المختص به كالسيف سمي بذلك لصورته ولمعنى فيه وكذلك السكين والخنجر لا للحديد الذي فيها، فاذا كان كذلك علم ان هذه الاطعمة التي هي الماء والخمر واللبن والعسل منافعها المختصة بها هي المقصودة منها كما ان المقصود من السراج هو الضوء لا مادته وتوابعه التي هي البزر والفتيلة والدخان، فالمقصود من الماء حفظ الحياة المدلول عليها بقوله « وجلعنا من الماء كل شيء حي »[1] ، ومن اللبن حفظ البدن، ومن الخمر حصول

(1) الانبياء 30/21 .

السرور وزوال الهموم ومن العسل تحصيل الحلاوة المتلذذ بها فمتى حصلت لـه هذه المعـاني فقـد حصـل المقصـود، وان تجـرد عن شوائبها، والى هذا اشار تعالى بقوله ﴿ فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين، وانهار من عسل مصفى ﴾[1] ، فنفى عنها تنبيها انه ليس هناك مادة حصلت بهـا اللذاذة بـل هي اللذة المجـردة عن الشـوائب وقـال ﴿ لا بصدعون عنها ينزفون ﴾[2] ، فأثبت لها ما هو المقصود من طيبه، ونفى عنها ما يكون من خبثها ، وقال في صفة الازواج ﴿ ولهم فيها ازواج مطهرة ﴾[3] ، فنبـه على انتقاء الخبـائث التي لا ينفك منهـا ازواج الدنيا وعلى هذا نبه تعـالى بقولـه في ذكر الشهـوات ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ﴾ الى قولـه ﴿ ذلك متـاع الحيـاة الدنيـا والله عنده حسن المـآب ﴾[4] ، فجمع المـأكـولات والمشروبات والمنكوحات وسائر الملاذ الدنيوية، واشـار الى دناءة منزلتها ثم نبه على فضيلة ما عنده بقوله ﴿ قل أأنبئكم بخيـر من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتهـا الأنهـار ﴾[5] الآية ، فنبه ان ما في الاخرة ليس من جنس ما في الدنيا ونبه على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في صفة اهل الجنة : انهم لا يبولون ولا يتغوطون، وانما هو عرق تجري من اعراضهم مثل ريح

---

(1) سورة محمد (ص) 15/47 .

(2) الواقعة 19/56 .

(3) البقرة 25/2 .

(4) آل عمران 14/3 .

(5) آل عمران 15/3 .

المسك »[1]، وقال ابن عباس : « ليس في الجنة مما في الدنيا الا اسماؤها »[2]، ومن استبعد ذلك فلأنه تصور ابدانا متحللة واطعمة مستحيلة، فانكر ذلك ان لا يكون من بينها فضلات ولو نظر ببصيرته، وتأمل ما للانسان في الدنيا من الاغذية التي لا ثقل لها ولها طيب كطيب المسك لا بل فوقه ليشهد بذلك وهو الاداب والعلوم الحقيقية، فان ذلك غذاء الارواح كما ان الطعام غذاء الاشباح ولهذا جمع بينهما في الاسم فقيل : الغذاء الروحاني ادب والبدني مادته واستعمل في تناول الادب لفظ الطعام والشراب، والخمر ونحو ذلك كما ينبيء عنه كتب البلاغات، ومعلوم ان تلك الاطعمة يتناولها الانسان فلا يستحيل الى قاذورات ولا يرجع الى فضولات، بل يفيد الانسان فلا يستحيل ريحا اطيب من المسك فليس بعجب اذا ان يجعل الانسان في دار البقاء بلا فضول ولا خبث، وروى ان يهوديا قال للنبي صلى الله عليه وسلم :«أتزعم ان في الجنة نكاحاً واكلا وشربا، ومن اكل وشرب كانت له عذرة، فقال النبي صلى عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فيها اكلا وشربا ونكاحا ويخرج منهم عرق اطيب من ريح المسك، فقال رجل صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله دودا يأكل مما تأكلون وتشرب مما تشربون ثم يخلف عسلا سائغا فقال عليه السلام، هذا مثل طعام اهل الجنة »[3]، وفي هذا اشارة عجيبة فانه اذا جاز ان يتناول دود متحللة الابدان طعاما مستحيلا فيخلف شيئاً طيباً يبقى اطول مدة فلا

---

(1) رواه البخاري 362/6 ، ومسلم 3179/4 . والترمذي 678/4 .

(2) مضى تحريجه .

(3) سنن النسائي 191/3 ، والفتح 324/6 .

يلحقه فساد لم ننكر ان يتناول اهل الجنة طعاما متعرياً من العفونات والاستحالات فيخلف مسكا، ومن تدرب في المعقولات يسهل عليه حل هذه الشبهات التي تعتري المعتمدين على الحواس والمشاعر دون الالباب المجردة، وقد نبه الله تعالى اولياءه، من وصف الجنة ما هو اعلى من ان تحيط به نفوس البشر وتهتدي اليه افهامهم بل اوهامهم حيث قال : ﴿ ورضوان لهم من الله اكبر ﴾[1] ، وقال ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ﴾[2] ، وقال ﴿ ولكم فيها ما تدعون ﴾[3]، وقال عليه السلام عن الله « فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت / ولا خطر على قلب بشر » ، [نسأل الله تعالى ان يوفقنا لارتيادها وادراكها ورزقنا برحمته لحوقها ودخولها انه على ما يشاء قدير][4] .

(1) التوبة 72/9 .
(2) الشورى 22/42 .
(3) السجدة 31/32 .
(4) ما بين بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش م .

الفصل السابع

في ذكر القدر وصعوبة الوقوف على سر القدر

اعلم ان مسألة القدر عظيمة الخطر طويلة الذيل بعيدة النيل، قد ضل بها الناس ضلالا، بعيدا حتى صار بعض الامم بسببها منسلخا عن الاديان كلها وخارجا عن طريق الحق بتفاصيلها وجملها، كالمجوس والثنوية، فانهم جعلوا الباري تعالى بالشيطان مأسورا، وفي سلطانه مقعهورا، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا، ثم اكثر الخلافات في الاديان كان في زمان دون زمان الا مسألة القدر فانها لم تخل منها امة من الامم بل كما وقع بين امم الرسل وقع بين الرسل، فقد روى : « ان موسى لقي ادم عليه السلام فقال انت الذي اغويت الناس واخرجتهم من الجنة، فقال وانت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك بنفسه [اتلومني على امر قد قدره الله علي قبل ان يخلق السموات والارض، قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثا »[1]][2] ، بل روى : ان جبريل

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش م .

(2) رواه البخاري 505/11 ، ومسلم 242/4 والترمذي 444/4 ، ومسند احمد 248/2 .

وميكائيل اختلفا في القدر[1] ، ولوقوع الخلاف فيه في كل امة وكونها سببا يؤدي الى المضلة قال النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى ابو هريرة وابن عباس وابن عمرو ومعاذ[2] رضي الله عنهم : « ما بعث الله نبيا فاجتمعت له امة الا وكان فيها مرجئة وقدرية يشوشون أمر امته الا وان الله تعالى لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيا »[3] ، وقال عليه السلام : « القدرية مجوس هذه الامة لا تفاتحوهم ولا تجالسوهم ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم »[4] ، فحق الانسان ان يحترز عن الجبر والقدر احتراز من يمشي على حافة بئرين متلاصقين عن يمينه وشماله، فيخاف الضرر اينما جنح ، نسأل الله تعالى توفيقا يهدينا ويقينا صادقاً يقينا .

مذاهب الناس في الشرور الموجودة في العالم

للناس في ذلك مذاهب :

الاول مذهب البكرية[5] : ـ وهم الذين يقولون لا ألم في الدنيا والذي يعد منه الما فتوهم كاذب وتخيل باطل بسوء الظن بالله

---

(1) الموضوعات لابن الجوزي 273/1 ، واللآلي 254/1 .

(2) معاذ بن جبل الانصاري الخزرجي، صحابي مشهور، مات بالطاعون بالشام سنة 17 هـ . الاصابة 426/3 .

(3) رواه ابن الجوزي في الصنوعة 276/1 ، اللآلي للسيوطي 262/1 .

(4) مسند احمد 86/2 ، واللآلي السيوطي 259/1 .

(5) هم اتباع بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد، انظر مذهبهم في مقالات الاسلاميين 317/1 ، والفرق بين الفرق ص 212 .

كتخيل الممرور مرارة الماء، وما قالوه ظاهر البطلان ودواء مدعيه ان يضرب حتى يقر أنه يجد ألما.

الثاني : مذهب المجوس : وعندهم ان للخير فاعلا لا يفعل الشر وهو الله وللشر فاعلا لا يفعل الخير وهو الشيطان، وان معبودهم مغلوب بالشيطان وقد هادنه مدة فاذا انقضت المدة تمكن منه، وهذا تصريح بعجز الباري تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، والعاجز لا يكون الها.

الثالث مذهب الثنوية : هو ان الاصل في كل شيء النور والظلمة، وهما قديمان وكانا متباينين ثم مازج الظلمة والنور قهرا، فتولد من امتزاجهما هذا العالم فما فيه من الخير فهو من النور، وما فيه من الشر فهو من الظلمة، ولا ينقضي، ما المخلوق من الشرور حتى يتخلص النور من الظلمة، قالوا وسيكون ذلك من بعد[1]، وهذا المذهب ظاهر الاستحالة فالنور والظلمة مصنوعان واثر الصانع ظاهر فيهما والمصنوع لا يكون الها.

الرابع مذهب التناسخية[2] : وهو ان هذه النفوس كانت صافية صالحة فتنازعت وعصت فعاقبها الله بان حبسها في الجسوم وابلاها بشرور الدنيا بحسب استحقاقها فلا تزال تتردد في اشباح رفيعة ووضيعة بحسب استحقاقاتها، حتى تتهذب واستحالة ذلك اظهر من ان يطول به الكتاب.

---

(1) التمهيد ص 60، ونهاية الاقدام ص 99.

(2) في ج « المتناسخة »، والمثبت من ش م.

الخامس مذهب المعتزلة : ان ما يصيب الانسان من الجنون والامراض والمصائب والفقر جعلها الله عبرة لغيرهم ثم يعوضهم منها في الاخرة وتكليفه اياهم العبادات انما هو ليدخلهم الجنة مع علمه ان لا يتحملون وان لا يدخل الجنة الا المعتزلة ولا من المعتزلة الا من هو على مذهب ابي هاشم[1] [ولا ممن هو على مذهبه الا من لم يقدر على كبيرة ولا خيانة عشرة دراهم][2] ، قالوا ولو ادخل الناس ابتداء لكان ذلك تفضلا منه عليهم، قالوا والعقل يستقبح التفضل بذلك وانما يحسن اذا فعل ذلك بمن يستحقه بفعله، ويصير ذلك حقا له على الله واجبا، قالوا ومع علمه بانهم يكفرون ولا يستحقون الجنة، خلقهم للجنة، هذا مذهب كما تراه[3] .

والسادس مذهب الاشعرية : ان الله تعالى يفعل بعباده ما يشاء [لا لحكمة تقتضي ذلك سوى انه حسن منه كل ما يفعله لانه خالقهم ومالكهم وللخالق المالك ان يفعل بخلقه وملكه ما يشاء][4] ، ولا اعتراض عليه[5] .

السابع مذهب اهل الاثر ومحصلي الصوفية والحكماء : ان الله تعالى في فعله حكمة ولكن بعضها يخفى على جل الناس اوكلهم

---

(1) ابو هاشم الجبائي عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب من رؤساء المعتزلة ومتكلميهم طبقات المعتزلة ، ص 304 ، والانساب 186/3 .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش م .

(3) شرح الاصول الخمسة ص 494/485 ، والارشاد ص 285 .

(4) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش م .

(5) التمهيد ص 341 .

لقصور افهامهم وليس جهل الجاهل بحكمته قدحا فيها، وما عجزوا عنه فحكمهم الاستسلام، وذلك يذكر من بعد فان هذا من القدر الذي امرنا ان لا نبحث عنه ولا يظهره من اطلع عليه، حيث قال عليه السلام : « القدر سر من اسرار الله فلا تفشوا سره »[1] .

بيان منفعة[2] شرور الدنيا[3]

[الشرور ضربان شر مطلق وهو الذي هو شر في كل مكان وبكل زمان وكل حال][4] ، ولكل انسان ظاهر وباطن ولا يؤدي بوجه الى خير، بل الشر نوعان : شر مطلق كالجحيم؛ وشر مقيد وهو الذي لا يكون شرا في مكان او زمان، او حال او لانسان دون انسان كالفقر والمرض.

وكذلك الخير ضربان : مطلق كالجنة، ومقيد كاليسار الدنيوي، ولهذا روي : « لا شر بشر بعده الجنة، ولا خير بخير بعده النار »[5] .

اذا ثبت هذا فيجب ان ينظر هل في العالم شر مطلق ؟

فقد ذكر الحكماء انا نظرنا وسبرنا فلم نجد فيها شرا مطلقا بوجه بل كل ما يعد شرا من وجه فهو يعد خيرا من وجه او من وجوه

---

(1) تنزيه الشريعة 109/1 .
(2) في م « معرفة » ، والمثبت من ش ج .
(3) في ج تكملة للعنوان « في كل زمان ومكان »، والمثبت بدونه من ش م .
(4) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش م .
(5) نهج البلاغة 92/4 ، والذريعة للراغب ص 51 .

ومن يريد ان يبحث عن هذا فحقه ان لا ينظر الى مباديء الاشياء دون عواقبها والى ظواهرها دون بواطنها فان ما يعد شرا من وجه وخيرا من وجوه لم يحكم بكونه شرا ولا يجب ان يعتبر ذلك بآحاد الناس بل يعتبر بالعالم، فان مثل العالم كمثل ذات واحد، والناس أجزاؤه، والعناية الالهية ليست تختص بآحادها بل تعم جميع المخلوقات حتى النملة والقملة والذرة والبعوضة، ومادون ذلك، ولا خلاف بين العقلاء ان كل خير عظيم لا ينال الا بأدنى شر صغير، وكل نفع كثير لا يوصل اليه الا بضرر قليل، لم يعد شرا بل يعد خيرا فانه كما ان الخير خير فان اسباب الخير وما يتوصل به اليه خيرا، ولهذا ركز في العقول السليمة حسن احتمال المشاق في السفر لطلب الربح واحتمال تعب الصناعة لتحصيل الكفاية واحتمال الشق والكي لنيل العافية مع ان العقول لا تستحسن الشرور بل تستقبحها، فاذا كان كذلك والانسان بما هو انسان يحتاج الى طعام من ثمار وحبوب ولحوم لا يتم صلاحها الا بصيف وشتاء فيهما الحر والبرد، لا شك في ان يلحق البدن منهما اذى، صارت الحكمة تقتضي وجود ذلك حتى يعد عدمه شرا، لانه لو لم يكن الحر والبرد لم يكن الطعام ولا التربية، وقد بين الحكماء كثيرا من فوائد ما عده الناس شرورا كنفع الحيات والعقارب وبينوا أن منافعها لا تحصل الا ان يكون على هذه الامزجة، والتراكيب التي بعضها يأكل اللحم وبعضها لجمع السموم، وذكروا في الحشرات كالديدان والنمل والحية والعقرب والبق والبراغيث، والذبان والضفادع والسراطين انما خلقت من عفونات لو بقيت في الماء والارض والهواء لكانت اسبابا للوباء فخلقها الله تعالى منها وجعل غذاءها تلك العفونات التي منها خلقت ليقل بذلك اسباب الوباء مع ما فيها من المنافع في

جملة الادوية[1] ، وذكروا في السباع انها مع ما فيها من منافع اعضاءها قد جعلها الله للانسان عدوا بالطبع يدركه بحاسته وهو الشيطان المذكور في قوله عز وجل : ﴿ انه لكم عدو مبين ﴾[2] ، وتقرير ذلك يخرجنا عما نحن بصدده، ثم ما لا يعرف الانسان نفعه لضعفه وجهله فانه لا يقدح في حكمة الله ، وما احسن ما قال بعض الصوفية : الفقر عصمة والمرض تذكر وتفكير والنتن تجربة وتخريج وسلطان السفهاء يصغر قدر الدنيا في نفوس العقلاء وعقوبة الظالم عبرة للعاقل.

وقال علي ـ رضي الله عنه ـ « تجنبوا الفتن فانها حصاد الاشرار » وقال بعض الحكماء من منافع آفات الدنيا انها تخرج الانسان وتحنكه وتخرجه من هذه الانوثية الى حد الرجولية، ومن حيز الغرة الى حد البصيرة، وتبغض اليه الدنيا وتسوقه الى جنة المأوى والى ذلك اشار تعالى بقوله ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾[3] .

تباين الناس[4] في العلم والعمل ، وبيان حكمة الله في ذلك

ان الله تعالى اوجد كل ما اوجده لفعل مختص به لا يسد غيره

---

(1) النجاة لابن سينا 285/3 ، والحيوان للجاحظ 75,68/4 .

(2) البقرة 168/2 .

(3) البقرة 155/2 .

(4) في ج « تفاوت » ، وفي ش م تباين .

في عمله المختص بـه مسده على التمـام سواء كـان ذلـك الشيء صنـاعيا نحـو المنحت والمتجر، او طبيعيـا نحو الفـرس والبعيـر، والذي لاجله اوجد الانسان هو القيام بعبادة الله تعالى لقولـه ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبـدون ﴾[1] ، وليس استبعـاده ايـاهم لحاجة به اليهم، فان الله غني عن العالمين بل لمـا يعود اليهم من مصـالـح دارهم وتعلق[2] حـاجات بعضهم ببعض حتى لا يستقـل الـواحد منهم بنفسـه، ولا يستغني عن غيره ولـذلك قيـل النـاس كجسـد واحد متى عـاون بعضه بعضـاً استقل، ومتى خـذل بعضه بعضاً اختل بل قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الناس كـالبنيان يشد بعضه بعضاً »[3]وسخر كل فرقة لصناعـة ليحصل بـذلك لهم التعاون، والى ذلك اشار تعالى بقوله ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾[4]،وقوله تعالى ﴿ ولا يزالون مختلفين الا من رحم بك ولذلك خلقهم ﴾[5] ، يعني اختـلافهم في مكاسبهم ومتجـراتهم وجعل تعـالى الفقـر والجهـل والغفلة في الناس رحمة ، والى ذلك أشار تعالى بقوله ﴿ ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضـة ﴾[6] ، وقولـه تعالى ﴿ ولـو بسط الله الرزق لعبـاده لبغوا في

---

(1) الذاريات 56/51 .

(2) في ج م « دارت بهم على » ، والمثبت « دارهم وتعلق » من ش .

(3) البخاري 438/10 ، ومسلم 1999/4 .

(4) الزخرف 32/43 .

(5) هود 119،118/11 .

(6) الزخرف 33/43 .

الارض ﴾[1] وجعل تعالى لمن قيضه لمراعاة العلم قلوبا صافية وعقولا جافية وامزجة غليظة ولا يكاد يصلح كل واحد من الفريقين لصناعة الاخرى كما لا يصلح السمع للرؤية ولا البصر للاستماع، ومن وزن افهام الناس وسبر البابهم استسخف عقل من ادعى من القدرية ان الله سوى بين الخلائق في قوة العلم والتوفيق والتأييد ولم يفضل احدا على الاخر في ذلك، وان هدايته التي خص بها اولياءه، واضلاله الذي خص له اعداءه هما على سبيل الحكم، وكذا شرح صدر المؤمن وتوفيقه وتضييق صدر الكافر وخذلاته[2] وقال الكعبي[3] : لا يفضل الله احدا على احد الا لمصالح عمله، وكأنهم لم يتفكروا قط في احوال الناس ولم ينظروا الى افهامهم وفطنهم فما جعل الله من التفاوت بين الشيئين من نوع واحد مثل ما جعل بين انسان وانسان، فان بين سكان اطراف المعمورة وبين سكان اوساطها من التفاوت ما لا يخفى على غمر[4]، فضلاً على ذي لب، ثم ان بين الواحد والواحد من اي فرقة اعتبرتها ما لا تقدر قدرة كما قيل :

ولم أر امثال الرجال تفاوتت الى المجد حتى عد الف بواحد

وقد بين الله تعالى ذلك بقوله ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على

---

(1) الشورى 42/ 27 .

(2) انظر فيما تقدم تفسير القرطبي 84/16 و 114/9 . وتفسير ابن كثير 465/2 .

(3) الكعبي عبد الله بن احمد البلخي ، احد ائمة المعتزلة. . . توفي سنة 319 هـ . ببلخ، وفيات الاعيان 45/3 .

(4) الغمر : الخامل والغمرة العماية على القلب، اللسان مادة « غمر » .

رجـل ﴾ الآيـة ، الى قـولـه ﴿ نحن قسمنـا بينهم معيشتهم ﴾[1] ، وكذلك قوله ﴿ أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم ان انذر النـاس ﴾[2] وقولـه ﴿ والله يختص بـرحمتـه من يشـاء ﴾[3] وقـولـه ﴿ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم ﴾[4] الآية ، والعجب انهم يبنون امر الغائب على الشاهد وقالوا لو فضل الله بعضهم على بعض لكان في ذلك محاباة ومعلوم في الشاهد ان من كان له عبيد ويريد ان يوليهم امورا فله ان يفضل بعضهم على بعض [ويختص منهم من شاء بما شاء ، فان قيل : ان العدالة لا تقتضي ان يفضل بعضهم على بعض في ذلـك وهـو يكلفهم ويحاسبهم على حـد واحـد، قيـل : امـا المشاهدة فتقتضي انه قد فضل بعضهم على بعض][5] ، وقد اخبر الله تعالى عن ذلك بما لا يمكن انكاره نحو ما تلوناه من الآيات ، ومعلوم انه قد فضل بعضهم على بعض في الغنى والفقر والصحة، والمـرض والحسن والقبح وغيـر ذلك، فكـذلك لا ينكـر مثله فيما ذكرنا، وما وجه الحكمة في ذلك فظاهر فيما ذكر بعض الحكماء، وهو ان العالم من وجه بمنزلـة دار جعلها بانيـهـا علـى حسب ما اقتضى التـدبير الصـائب، فجعل مـوضعا منـه خزانـة وموضعـا منه مستراحا، ثم ليس لمـوضع المستـراح لو تكلم ان يقـول : ظلمت حيث لم اجعل خزانة، وبمنزله جسد له رأس ورجل وليس للرجل

---

(1) الزخرف 32،31/43 .

(2) يونس 2/10 .

(3) البقرة 105/2 ,

(4) الانعام 83/6 .

(5) ساقط من م ، والمثبت من ج .

ان يقول ظلمت حيث لم اجعل رأساً، فالحكيم حيث بناه بناه بتقديره المتقن وتدبيره الصائب على مقتضى الحكمة كما قال تعالى ﴿ انا كل شيء خلقناه بقدر ﴾[1]، وقوله ﴿ خلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾[2] واما تكليفه اياهم فهم وان سوى بينهم في تكليف اعمال الجوارح فقد فرق بينهم في المطالبة بالاخلاص وتكليف المعارف فانه لا يرضى من الحكماء والانبياء بما يرضى من الجهال والأغنياء، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله « ان الله عز وجل يحاسب الناس على قدر عقولهم »[3].

بيان صعوبة معرفة حكمة الله في القدر

الوقوف على علة[4] القدر صعب جدا يقصر عنه افهام البشر ولا يكاد يقف عليه الا نبي او ولي اطلعه الله عز وجل على ملكوت السموات والارض ورشحه لافضاء سره اليه وكفى من امارات صعوبتها ان موسى قد خفي عليه ذلك، حتى كان يتعجب من فعل من صحبه واتبعه على ان يعلمه منه رشداً، ولصعوبته نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخوض وقال : « اذا ذكر القدر فامسكو»، وقال «لا تتكلموا في القدر فانه سر الله»، وروى أبو الدرداء عنه عليه السلام «ان موسى لما خرج من عند فرعون خطر له شيء من القدر فاستقبله ملك من خزان السماء وهو يقلب كفيه

(1) القمر 49/54 .
(2) الفرقان 2/25 .
(3) تنزيه الشريعة 218/1 .
(4) في ج « ماهية » ، والمثبت من ش م .

عجبا فقال يا موسى نحن اثنا عشر ملكا جهدنا ان ندخل في هذا الامر فأوحي الينا ان القدر سر الله فلا تدخلوا فيه وروى « من تكلم في القدر سأله الله تعالى عنه [فان اخطأ كان في النار، ومن لم يتكلم لم يسأله الله عنه »[1]][2] ، وروى عن ابن عباس : ان عزيرا راجع الله في ذلك فاوحى الله عز وجل اليه اعزير اعرض عن هذا ثم راجع فنهاه ، ثم راجع فاوحى الله عز وجل اعرض عن هذا والا حذفت اسمك من النبوة »[3]. ، والعقل لا ينكر ان يخفى وجه ذلك، وذلك انه كما ان للإنسان في منزله وللملك في مملكته تدبيرات ثلاثة، تدبير يظهره لكافة رعيته وتدبير يظهره لخواصهم دون عوامهم وتدبير يستره ولا يفشيه، وان افشاه فالى خاص من خواصه، فليس بعجب ان يكون لله مع كونه خالق السموات والارض وما فيهم ومدبرهن سرا لا يطلع عليه كافة خلقه وكيف لا وهو يقول « عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه احد الا من ارتضى من رسول »[4] ويقول « ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء »[5] .

والقدرية لما قصدوا البحث عن ذلك والوقوف عليه صاروا كما قيل : « لاماءك ابقيت ولا درنك أنقيت »[6] ، فانهم ما ازدادوا فيه الا عمى، فقد طابقوا الثنوية والمجوس في ان الله تعالى تنزه عن كل فعل لا تستحسنه الحكمة البشرية والعقول الجزئية وقاسوا

---

(1) مجمع الزوائد 33/1 .

(2) ساقط من ج ، والمثبت من ش م .

(3) الاسماء والصفات ص 171 .

(4) الجن 27/72 .

(5) البقرة 255/2 .

(6) مجمع الامثال 217/2 .

الصانع على المصنوع وبنوا حكم الغائب على الشاهد على الجملة، ثم جاؤوا في التفصيل واستحسنوا ما صاروا به ضحكة وهزوا، وذلك أنهم قالوا : الباري سبحانه منزه عما يعده الورى في الشاهد شرا ويراد ضررا، وتنزه عن ارادة الكفر والظلم ثم جوزوا ان يفعل تعالى فاعل الشرور ويقدر فاعل الظلم مع علمه بانه لا يفعل الا الشر ولا يأتي الا بالظلم وجوزوا ان لا يحول بينه وبين الظلم مع قدرته عليه وعلمه به وقد علم في الشاهد ان لا فرق بين متعاطي الشر وبين من يبقى متعاطيه [مع تمكنه أن لا يبقيه، ولا بين من يشتم الباري تعالى وبين من [ ][1] شاتمة[2] مع تمكنه من الإنكار عليه، وقالوا مع قولهم ان الله لا يفعل ما نستقبحه بعقولنا، انه تعالى يخلق من يعلم انه لا يطيعه طرفه عين، وانه يجعله في النار خالدا مخلدا قالوا : وذلك اصلح له من ان يخترمه في حال الطفولية وقالوا : ان امهاله تعالى ابليس مع علمه ان يغوي بني آدم أصلح له وقد علم ان من اقتنى في الشاهد عبيدا خولهم المال والجاه يعلم انهم يعصونه ويشتمونه فهو سخيف وقد اجمعوا ان الباري سبحانه وتعالى يفعل ذلك ولا يستحق اسم السفه تعالى الله عن القبح علوا كبيرا، وايضا فمن له عبيد اتقياء بررة يجوعون ويعطشون فلم يسقهم مع علمه بحالهم وتمكنه من اعطائهم ما يكفيهم او عابر سبيل يقع في دارهم وأمكنهُ دفع ذلك عنهم من غير مشقة فلم يفعل فهو سفيه وقاس ولئيم وهو تعالى يفعل ذلك مع كونه رحيما كريما حليما، ومن آلم طفلا ويقول انا افعل ذلك به لأعطيه في ثاني الحال مع

(1) بياض في م غير واضحة في ش ، ساقطة من ج .

(2) ساقطة من ج ، والمثبت من ش م .

امكانه ان يعطيه ذلك من غير ايلامه، كان سفيها، وقياسهم ذلك على من يحجم صبيا تحريا لصحته او يختنه تحريا لكماله او يضربه قصدا الى تأديبه مما يزيدهم شناعة، فان من امكنه ان يجلب الى إبنه الصحة من غير حجامة والتأديب من غير ضرب، ثم يحجمه ويضربه فهو ذو بله، وأيضاً فمن أعطى غيره شيئاً ثم استرجعه منه من غير حاجة الى المعطى اليه استقبح فعله حتى صار يضرب به المثل في القباحة، فيقال « الراجع في هبته كالعائد يعود في قيئِهِ »[1]، ولا يقبح ذلك من الله تعالى، ومما يصعب جدا الوقوف على حكمة الله عز وجل في معاقبته للمذنبين في القيامة، وذلك ان المعاقب في الشاهد ليس يعاقب الا لاحد وجوه ثلاثة :

أما قصدا الى ردع المعاقب عن معاودة ما ارتكبه من الذنب، واما نكالا لغيره لئلا يتعاطى ما تعاطاه، وأما تشفيا من غيظ يداخله على من ارتكب الذنب، وقد علم ان الاخرة ليست بدار تكليف فيظن ان هذا المرتكب للذنب يعاوده او يقتدي به غيره، والباري تعالى منزه عن دخول الغيظ عليه وعمن طلب التشفي، وما زعمت المعتزلة ان الله تعالى لو اطاعه عبد مائة سنة ثم شرب خمرا او خان في دنيا او دونه، خلده الله في النار دائما[2]، وذلك يحسن منه مع كونه رحيماً غفوراً حليما كريما، وقد ذكر بعض المنسوبين الى الحكمة في حقيقة عقاب الله تعالى العبد نكتة وقال : « القصد من خلق الله هكذا لو جدت. . . . . »[3].

(1) رواه البخاري 234/5، والنسائي 267/2 .

(2) اصول الدين ص 242 .

(3) ساقطة من ج، بياض في ش، ناقصة من م .

الحكمة في خلق الله تعالى
من يعلم انه يكفر وتكليفه اياه ذلك

الناس وقعوا في هذه المسألـة في تخليط وصارت شبهـة لهم عظيمة ، وقال بعض المتكلمين هذا سؤال فـاسد لانـه لا فرق بين النفع والصلاح، ومحال ان يوصف المعدوم بالنفع، وما قالوه فكلام لدفع الخصم بالجدال وليس فيه مقنع لمن طلب لذاته الدواء، وقال قوم خلق الله تعالى اياه تعريض لـه للخير الابـدي[1] ، قالـوا وهذا قصد صحيح ، وان افضى ببعض الناس الى مكروه لسوء اختياره، وليس هذا ايضا بمقنع فالعالم بالعواقب يصح ان يفعل فعلا قاصدا به خيرا مع تحققه ان لا يحصـل به مقصـوده، فمن زرع في ارض سبخة مع علمه انه لا ينبت ففعله قبيح ، وان قصد خيرا حتى علم ان السبخة لا تنبت، وقال قوم[2] لما كان تعالى هو الملك الحق فله ان يفعل في ملكه ما يشاء، قالوا ولا يصح اعتباره بالشاهد فان مالك العبد في الشاهد هو مالك لمنافعه في الحقيقة دون عينه، ولهذا لا يجوز ان يعرضه للقتل والهلاك، ولهذا قـال تعالى ﴿ لا يسـأل عما يفعل وهم يسألون ﴾[3]، وقال بعض الحكماء في ذلك: ان الصلاح والفساد والخير والشر في العالم ليست تعتبر في الجزئيات بل تعتبر في الكليات، وقد تقدم ان ليس في العالم شر مطلق بوجه، بل كل شر فيه فهو بالاضافة وكل فساد لشيء فهو صلاح لغيره، قال: وقد ثبت

---

(1) الفصل 115/3 .

(2) التمهيد ص 341 ، هم الاشاعرة .

(3) الانبياء 23/21 .

في الجملة انه تعالى حكيم ولا يفعل بعباده الا ما هو اصلح لهم وثبت انا نجهل اكثر حكمته ولجهلنا قال تعالى ﴿ انه كان ظلوما جهولا ﴾[1]، وقال ﴿ خلق الانسان ضعيفا ﴾[2] ، وقال تعالى ﴿ والله يعلم وانتم لا تعلمون ﴾[3] ، وقال ﴿ وما أوتيتم من العلم الا قليلا ﴾[4] ، وقال تعالى ﴿ يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما ﴾[5] ، وثبت ان الحكيم التام الحكمة لا يخرجه عن الحكمة جهل الجاهل بها، واذ قد عرفت هذه الاصول فحق العاقل ان يذعن فيما يجهله، الاعتراف بحكمة الله تعالى ويتهم نفسه في قصوره عن ادراك حقيقتها وان لا يحكم على الحكيم بالحزر والتخمين والظن فقد قال تعالى في ذم من حاله ذلك ﴿ ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ﴾[6] ، وكتب الحسن[7] الى عمر بن عبد العزيز وكان قد سأله عن مسألة من هذا الجنس : « اعلم ان الله تعالى لا يطالب خلقه بما قضى وقدر ولكنه يطالبهم بما نهى وامر فطالب نفسك من حيث يطالبك ربك ودع ما لا يعنيك والسلام »[8] .

---

(1) الاحزاب 72/33 .
(2) النساء 28/4 .
(3) البقرة 216/2 .
(4) الاسراء 85/17 .
(5) طه 110/20 .
(6) يونس 66/10 .
(7) الحسن البصري ابو سعيد بن ابي الحسن ، تابعي توفي سنة 110 هـ . طبقات ابن سعد 156/7 .
(8) محاضرات الراغب 426/4 .

بيان [1] قول المسلمين ـ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

اعلم انه من المحال ان يقع في ملك الله شيء لا يريده فان وقع في ملكه ما لا يريده فذلك اما لجهله به او لغفلته عنه او لعجز عن دفعه، ومن نسب اشياء من ذلك الى الله عز وجل فقد الحد وقد علم انه تعالى حكيم قادر مدبر قاهر يمكنه ان لا يقع في العالم الا ما يريده وان لا يريد الا ما تقتضيه حكمته وقد يفعل السايس الحكيم ما يستقبحه بعض حشمه ورعيته في داره لجهلهم بغرضه وربما وقفوا في العاقبة على حكمة ما استقبحوه فحق الرعية ان يتهموا انفسهم في تدبير سايسهم واذا كان هذا واجبا في تدبير البشر مع النقص الموجود فيهم فواجب على الناس ان لا يتهموا عالم الغيب والشهادة فيما يخفى عليهم من تدبيراته وألا يجوره في حكمه ولا يكذبوه في قوله لخفاء وجه حكمته عليهم، وقد نبه الله تعالى بما قص في ذكر موسى وصاحبه ان لا نعتبر الامور بظواهرها، فما في العالم أقبح من قتل النفس وغصب المال والاحسان الى من يستحق الإساءة وقد نبهنا تعالى انها مع قبح ظواهرها واستقباح نبي الله موسى عليه السلام لها كانت خيرات.

ذكر القضاء والقدر

القدرة والتقدير تبيين كمية الشيء يقال قدره وقدره ـ بالتشديد ـ اعطاه القدرة، يقال قدرني الله على كذا وقواني عليه ، فتقدير الله للاشياء على وجهين :

---

(1) ساقطة من ج ، والمثبت من ش م .

أحدهما : أن يعطيه القدرة .

والثاني : ان يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص نحو تقديره للنواة، ان ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون وتقدير مني الانسان ان يكون منه الانسان دون الكلب والحمار، والقدر بالفتح هو المقدور نحو النقض واللفظ بمعنى المنقوض والملفوظ.

واما القضاء فصنع الشيء والفراغ منه، واصل القطع الذي معه الفصل ويقال ذلك تارة للصناعة البشرية نحو

وعليها مسرودتان قضاهما داود أو صَنَعُ السوابغ تُبَّعُ[1]

وقوله : ﴿ فاقض ما انت قاض ﴾[2] ، اي افعل[3] ما تريد فعله وتارة للحكم على الشيء بانه كذا او بانه ليس كذا، ومنه قضاء القاضي، وتارة بالامر به نحو « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه »[4] ، وقوله « وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب »[5] الآية، فذلك بمعنى الحكم وذكر « الى » معه يقتضي معنى الوحي وعلى ذلك قوله ﴿ وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾[6]

---

(1) القائل ابو ذؤيب ديوانه ص 19 ، وغريب القرآن لابن قتيبة ص 388 ، واللسان مادة « قضى » ، وتفسير القرطبي 87/2 ، ومسرودتان : الدرعان المثقوبان، اللسان مادة « سرد » .

(2) طه 72/20 .

(3) ساقط من م ، والمثبت من ش ج .

(4) الاسراء 23/17 .

(5) الاسراء 4/17 .

(6) الحجر 66/15 .

وقوله ﴿ اقضوا الي ولا تنظرون ﴾[1] ، وقال بعض الحكماء : مثل القدر مثل المقدور من الحب انه اذا كيل لم يشبه ان يكون، ومثل التقدير مثل الاكتيال، ومثل الفلك مثل المكيال ومثل ملائكة الله المدبرات والمقسمات مثل الكيالين الموكلين بالاكتيال، ومثل القضاء مثل الامر بالاكتيال المقدر شيئا بعد شيء، واليه اشار تعالى بقوله ﴿ واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ﴾[2] ، فالقدر اعم من القضاء، فانه كالمعد للكيل الذي يصح ان يكال لانه شيء في الامكان يصح ان يخرج الى الوجود وان لا يخرج، والقضاء هو الامر بالكيل والحكم به فاذا ما قدر صح ان يقضي به وان لا يقضي ، وما قضاه فلا مرد له ولذلك أجمع المسلمون ان لا مرد لقضاء الله[3] ، وما ذكر هذا القائل فمثل قريب وباعتباره يسهل الوقوف على ما روي عن عمر رضي الله عنه لما خرج من الشام تفاديا من الطاعون فقال ابو عبيدة[4] « اتفر من القدر ؟ فقال : لا لست، ثم ان الله لا يأمر بما لا ينفع امر من قضاء الله الى قدره »[5] ، تنبيهاً ان القدر ما لم يكن قضاء يمكن الفرار منه، وعلم هذا ما روى انه عليه السلام «كان اذا مر بهدف مائل اسرع المشي »[6]، قال هنا قول الناس اللهم احرسني من قضاء

---

(1) يونس 71/10 .

(2) البقرة 117/2 .

(3) الاربعين للغزالي ص 13 .

(4) ابو عبيدة عامر بن الجراح ، صحابي مشهور، مات في طاعون الشام سنة 18 هـ ، الاصابة 252/2 .

(5) رواه البخاري 179/10 ، ومسلم 1740/4 .

(6) مسند احمد 356/2 ، ولفظه « بجدار مائل » .

السوء فان القدر هو ما في الامكان والقضاء خروج الشيء من الامكان الى الوجود؛ ، ومعلوم ان ما جعله الله تعالى بالامكان قد يخرجه الى الوجود وقد لا يخرجه كالنواة التي هي بالقوة نخل فربما يصير بأمر الله نخلا بأن يقيض له من يزرعه ويسقيه ويتفقده ، [وقد لا يخرجه من الامكان بأن لا يقيض له من يزرعه ويسقيه[1] ، او يزرع فيعرض له آفة يمنعه عن ان يصير نخلا، فدعاء الانسان بانزال الخير هو سؤال الاخراج ما في الامكان منه الى الوجود ، والدعاء بصرف الشيء هو سؤال لمنع ما في الامكان منه الى الوجود، وروي عن علي رضي الله عنه، لما قفل من صفين قام اليه شيخ فقال يا امير المؤمنين اخبرنا عن مسيرنا هذا بقضاء وقدر كان، فقال رضي الله عنه والذي خلق الحبة وبسرأ النسمة ما هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضاء من الله وقدره، فقال الشيخ عند الله احتسب مسيري وعنائي ، فوالله ما أرى لي من الاجر شيئا، فقال ـ رضي الله عنه ـ :

قهْ ايها الشيخ ، لقد عظم الله لكم الأجر في مسيركم وانتم سائرون، وفي منصرفكم وانتم منصرفون، ولم تكونوا مكرهين، ولا اليه مضطرين، فقال الشيخ : كيف لا نكون مضطرين والقدر سابق ؟ فقال ايها الشيخ لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد، وما كان لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن، ولا كان المحسن أولى بالثواب من المذنب، تلك مقالة عبدة الاصنام وخصماء الرحمن وشهود الزور والعمى عن الصواب في الامور، وان الله امر تخييراً ونهى

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من م ج ، والمثبت من ش .

تحـذيرا وكلف يسيـرا وجازى كثيـرا، ولـم يعص مغلوبـا ولـم يـطع مكرها [ولم يـرسل الـرسل هـزلا ولم ينزل القـرآن عبثا، ولا ارى الايات باطلا][1] ، ﴿ ذلك ظن الـذين كفروا ﴾: [2] الآيـة، قال الشيخ فما القضاء والقدر الـذي مـا وطئنا واديا الا به ؟ قال : امر الله وعلمه، ثم تلا « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه »[3] ، فانصرف الشيخ مسرورا [وأنشد[4] :

انت الإمام الذي نـرجو بـطاعته   يوم النشور من الرحمن رضوانـا
اوضحت من ديننا ما كان ملتبسا   جزاك ربك عنا فيه احسـانا][5]

الارادة والمشيئة والاذن من الله

الارادة اصلهـا من راد يرود اذا تـردد في طلب الشيء بـرفق، ولاجل ما فيه من مضى التردد قيل : رادت الابل في مرادها وقيل : راودت فلانا على كذا اردته عليه وراودته عنه طلبت معرفة عنه، ولما فيه من معنى الطلب، قيل لطالب الكلأ : الرائد، ولما فيه من معنى الـرفق قيـل : رويداً للحث على الـرفق [وادخـال الالف في اراد لجعل الانسان نفسه رائده، كقولهم : اضربه، او لوجودها كذلك، كقـولهم احمـد واذم][6] فـالإرادة اذا استعملت في غيـر الله فهي

(1) ما بين المقوفين ساقط من ج ش . والمثبت من م .
(2) سورة ص 27/38 .
(3) الاسراء 23/17 .
(4) نهج البلاغة 605/2 ، وشرح النهج لابن ابي الحديد 375/4 ، وشرح المقـاصد للتفتازاني 105/2 .
(5) ما بين المعقوفين ساقط من ج ش ، والمثبت من م .
(6) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش م .

النزوع الى الشيء، اما بالتسخير نحو « جدارا يريد ان ينقض »[1]، واما بالشهوة نحو يريد الحمار العلف والانسان الطعام، واما بالفكر والروية، نحو يريد فلان الصلاة وقوله تعالى ﴿ ولو ارادوا الخروج لأعدوا له عدة ﴾[2] اي لو قصدوه، ولمعنى النزوع الذي يقتضيه لفظ الارادة تحاشى بعض المتكلمين ان يصف الله سبحانه وتعالى بها، ووجه استعمالها فيه هو انها لما كانت موضوعة لنزوع النفس الى الشيء ولقصده له وكان مرة يستعمل فيمن اجتمع له الامران ومرة لمن حصل له احد الأمرين، اما النزوع واما القصد ، صار اذا استعمل منه تعالى لم يرد به الا القصد وذلك كلفظ الرحمة التي هي الرقة والعطف ومتى وصف تعالى بها لم يرد به الا العطف دون الرقة، والكلام في ان الله تعالى، هو مريد لنفسه او بارادة قديمة او محدثة[3] ، وانه وان كان مريدا بارادة محدثة فهل هي في محل او لا في محل فما كفانا الله امرها[4]، فقد تقدم انا لو تركنا ومجرد العقل لنزهناه تعالى عن الوصف بلفظ مشترك وان الذي اطلقنا عليه من ذلك هو ما ورد به السمع .

وأما المشيئة فايجاد الشيء واصابته والشيء عبارة عن الموجود، وأصله مصدر شاء ، فاذا وصف الله تعالى به فمعناه الشائي ، واذا وصف به غيره فمعناه المشاء ، وعلى الثاني قال الله تعالى ﴿ خالق كل شيء ﴾[5]، فالمشيئة اخص من الارادة، وان

---

(1) الكهف 77/18 .

(2) التوبة 46/9 .

(3) اصول الدين ص 102 ، ونهاية الاقدام ص 238 ، قالت به الاشاعرة .

(4) اصول الدين ص 103 ، قالت به الكرامية . ونهاية الاقدام ص 245 .

(5) الرعد 16/13 .

كـان المتكلمون لم يفـرقوا بينهمـا، واشتقاقهمـا يدل على الفـرق بينهما، ولان الارادة لا تقتضي وجود المـراد بها لا محـالة، وعلى هذا فقوله تعالى فيما ذكر بعض العلماء ﴿ يريـد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾[1] ، وقوله ﴿ وما الله يـريد ظلمـا للعباد ﴾[2] ، ومعلوم انه قد يحصل العسر والمظالم الكثيرة والمشيئة تقتضي وجود ما شاءه، قال : ولذلك يقال « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » ، ولان المشيئـة لا تكون من النـاس الا بعد ان يكـون منه تعـالى ، والارادة قـد تكون منهم من غيـر ان يتقدمـه ارادة الله، ولهذا قـال تعالى : ﴿ وما تشاؤون الا ان يشاء الله ﴾[3] ، ولان المشيئة من الله تعالى ايجاد الشيء ومن الانسان اصابـة الشيء [نحو رأستـه اي اصبت رأسه][4] .

وللفرق بينهما يقال : المشيئة لله ولم يقل الارادة لله، وروى ان رجلاً قال للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما شـاء الله وشئت، فقال أمثلان هما ؟ قل ما شـاء الله وحده[5] ، وروي انـه لما نـزل قولـه ﴿ لمن شـاء منكم ان يستقيم ﴾[6] قال الكفـار الأمر الينـا ان شئنـا استقمنا وان شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى ﴿ وما تشاؤون الا ان يشاء الله ﴾[7] ، فقيل معناه ما تصيبـون الشيء الا بعد ايجـاد الله

---

(1) البقرة 158/2 .

(2) المؤمن 31/40 .

(3) التكوير 29/81 .

(4) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من ش م ، وانظر اللسان مادة « رأس » .

(5) مسند احمد 214/1 ، بالفاظ متقاربة .

(6) التكوير 28/81 .

(7) التكوير 29/81 .

اياه ، فالمشيئة على هذا من الله على الحقيقة غير المشيئة من العبد، قال بعض العلماء، لولا ان الأمور كلها موقوفة على مشيئة الله تعالى وان افعالنا متعلقة بها وموقوفة عليها لما اجمع الناس قاطبة على تعليق الاستثناء به في جميع افعالنا نحو قوله ﴿ستجدني ان شاء الله صابرا ﴾[1]، وقال ﴿ ستجدني ان شاء الله من الصابرين ﴾[2] ، وقال ﴿ انما يأتيكم به الله ان شاء ﴾[3]، وقال ﴿ ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ﴾[4] ، وقال : ﴿ قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضرا الا ما شاء الله ﴾[5] ، وقال ﴿ وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ﴾[6] ، وقال : ﴿ ولا تقولنَّ لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ﴾[7] .

وأما الاذن، فأصله من الاذن، يقال : أذنته اي اصبت اذنه واذنت بكذا او الى كذا اي استمعنا اليه، فالأذن علم من جهة الاستماع، وآذنته بكذا اي اعلمته نحو اسمعته واستأذنته في كذا فأذن لي اي سألته ان يأذن لي فأذن لي، أي يسمع مني فسمع مني[8] ، ولما كان الاذن علما ما والعلم اصل الارادة وللأمر

---

(1) الكهف 69/18 .

(2) الصافات 102/37 .

(3) هود 33/11 .

(4) يوسف 99/12 .

(5) الاعراف 188/7 .

(6) الاعراف 188/7 .

(7) الكهف 24/18 .

(8) اللسان مادة « أذن » .

بالمراد صار الأذن مستعملاً مرة في موضوعه وهو الاستماع ومرة في الارادة ومرة في الأمر وذلك بحسب تسمية الغاية باسم المبدأ كقولهم للكلأ ندى[1]، وقوله في وصف السحرة ﴿ وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ﴾[2] ، وقد قيل معناه بعلمه، وفائدته فائدة قوله ﴿ وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ﴾[3] ، وكذلك قوله ﴿ انما النجوى من الشيطان ليجزي الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله ﴾[4] ، واما قوله ﴿ وداعيا الى الله باذنه ﴾[5] ، فيصح ان يكون معناه بارادته وامره وكذلك قوله ﴿ والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ﴾[6] ، وقوله ﴿ وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ﴾[7] ، وجملة الأمر انه لا يكون شيء من الاشياء الا بعد اذن من الله تعالى، لكن اذنه قد يكون تارة في ذات ذلك الشيء وتارة في بعض اسبابه التي لا يصح ذلك الفعل الا بها، فإن السحر وان لم يأذن الله تعالى للساحر في تعاطيه فإنه لا يقع الا بتسخير من الله تعالى لذلك الشيء، ان يأتي ويقع عند فعل الساحر، وذلك اذن منه تعالى، ومتى قيل فلان لا يكلمك الا بعد اذن مني له، فإنه يصح ان يكون الأذن متعلقاً بنفس المكالمة وان يكون متعلقاً بأحد اسبابه نحو ان يأذن له في قصده

---

(1) اللسان مادة « ندى » .
(2) البقرة 102/2 .
(3) يونس 61/10 .
(4) المجادلة 10/58 .
(5) الاحزاب 46/33 .
(6) البقرة 221/2 .
(7) النساء 64/4 .

ولقائه ونحو ذلك من الأسباب التي لا يصح وقوع الفعل من دونه، وكذلك لا يصح فعل ان لا يكون فيه ارادة من الله تعالى ، ومشيئة اما في ذات الفعل او في بعض اسبابه.

بيان اثبات الاشياء في الكتاب واللوح المحفوظ والامام :

اصل الكتب تحصيل الشيء وضم بعضه الى بعض ومنه كتب القربة والبغلة والحروف المنظومة لفظا وخطا، فإن المنظوم باللفظ يقال له كتاب كما ان المنظوم بالخط يقال له ذلك، وعلى ذلك قوله ﴿ الم ذلك الكتاب ﴾[1] ، وقوله ﴿ كتاب فصلت آياته ﴾[2] ، وقوله ﴿ اولئك كتب في قلوبهم الايمان ﴾[3] ، أي اثبت، وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾[4] وقوله ﴿ كتب الله لاغلبن انا ورسلي ﴾[5] ووجه العبارة عن الاثبات بالكتابة هو ان الأشياء لها اربع وجودات، وجود في ذاته وهو الاعيان ووجود في فكر الانسان وهو المعاني، ووجود في لفظه وهو العبارة ووجود في الكتابة وهو وجود كتابي والوجود الكتابي آخر الوجودات، اذ لا يوجد الشيء كتابة الا بعد ان يوجد حفظا او لفظا فالشيء اذا عبر عن ثباته بالكتابة فذلك على التأكيد، وقوله عز وجل ﴿ وما من غائبة في السماء

---

(1) البقرة 2.1/2.

(2) فصلت 3/41 .

(3) المجادلة 22/58 .

(4) آل عمران 53/3 .

(5) النجادلة 21/58 .

والأرض الا في كتاب مبين ﴾[1]. وقوله ﴿ وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين﴾[2] وقوله ﴿ وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾[3]، وقوله ﴿ وعندنا كتاب حفيظ ﴾[4]، وقوله ﴿ وكل شيء احصيناه في امام مبين ﴾[5] كل ذلك فيه اقوال :

الأول : ان ذلك عبارة عما حصل في علم الله فصار كقوله ﴿ احاط بكل شيء علما ﴾[6]، وقوله ﴿ وربك على كل شيء حفيظ ﴾[7].

الثاني : ان ذلك عبارة عن الكتابة الحقيقية لكن الكتابة ضربان : احدهما جسمانية مثبتة بالسواد على البياض بكتابة بشرية، ويكتب به الحق والباطل والصدق والكذب والخير والشر واليه اشار بقوله : ﴿ وقل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً ﴾[8]. فنبه انه انما يمكن الكذب فيه اذا جعلت قراطيس مكتوبة بأيدي البشر، وقال تعالى ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند

---

(1) النمل 75/27 .
(2) الانعام 59/6 .
(3) الزخرف 4/43 .
(4) سورة ق 4/50 .
(5) يس 12/36 .
(6) الطلاق 62/65 .
(7) سبأ 21/34 .
(8) الأنعام 6/ 91 .

الله ﴾[1] ، فذكر اليد بينهما تنبيها على المكتوب بها مما قد يكذب فيه بخلاف الكتابة الروحانية، ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾[2] ، وكقوله : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه ﴾[3] .

قالوا : ولله تعالى اربع كتابات :

الأول : وهي التي تكون في امام مبين وهو ام الكتاب، وذلك اشارة الى علم الله تعالى الذي هو علام الغيوب.

الثاني : في اللوح المحفوظ ويثبت فيه ليستدل به الملائكة المدبرات والمقسمات امرا فيتحرون به ما يجب تحريه واليه اشار بقوله تعالى ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ﴾[4] ، فالمحو اشارة الى ما قد فرغ منه، والاثبات اشارة الى ما يجب فعله بد.

الثالث : ايجاده عز وجل للاشياء، فإن ذلك احدى الكتابات، وهو المعبر عنه بالتصوير في قوله تعالى ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ﴾[5] .

والرابع : الكتابة التي يتولاها الكرام الكاتبون المذكورون في

---

(1) البقرة 79/2 .
(2) فصلت 42/41 .
(3) الرعد 1/13 .
(4) الرعد 29/13 .
(5) الاعراف 11/7 .

قوله ﴿ وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ﴾[1]، وذكر بعض الناس ان ما روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ان اول ما خلق الله القلم فقال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة »[2]، [اشارة الى القدر، وشبه ما يظهر به حالا بعد حال بما يظهر من المكتوب وقيل :][3] القلم اشارة الى الفلك تشبيها بالقلم الذي هو القرعة المذكورة في قوله تعالى ﴿ اذ يلقون اقلامهم ﴾[4]، وجريانه دورانه، واما قوله عليه السلام « فرغ ربكم من الخلق والرزق والأجل »[5]، فقد قيل هو اشارة الى ايجاد الله تعالى للاشياء بالقوة كأولاد آدم في ظهره، والحنطة الموجودة حالاً فحالا في البذر، وقوله تعالى ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾[6]. اشارة الى ايجاد الأشياء مظهرة للحواس.

كيفية خلق الأفعال :

اختلف الناس في افعال البشر[7]، فقالت المعتزلة : هو خلقهم دون خلق الله[8]، وذهب اهل الأثر الى ان الله تعالى

---

(1) الانفطار 10/82 .
(2) جامع الترمذي 424/5 .
(3) ما بين المعقوفين ساقط من م .
(4) آل عمران 44/3 .
(5) مسند احمد 197/5 .
(6) الرحمن 29/55 .
(7) في ج « أفعالهم البشر » ، والمثبت من م ش.
(8) المغني 3/8 ، شرح الأصول الخمسة ص 323 .

خالقها، اعتمادا على الظواهر كقوله تعالى ﴿ خالق كل شيء فاعبدوه ﴾[1]، وقوله ﴿ خالق كل شيء وهو الواحد القهار ﴾[2]، وامتدح بذلك كما امتدح بقوله ﴿ رب كل شيء ﴾[3]، وبقوله : ﴿ أحاط بكل شيء علما ﴾[4]، وبقوله : ﴿ وربك على كل شيء حفيظ ﴾[5]، وقوله : ﴿ ان الله على كل شيء قدير ﴾[6]، وقال عليه السلام « ان الله تعالى خالق كل صانع وصنعته »[7]، ويجب ان تعلم ان « الخلق » يقال على ثلاثة اوجه :

الأول : للتقدير المحقق، كقول الشاعر :

. . . .
وبعض القوم يخلق ثم لا يفري[8]

وللابداع، نحو ﴿ خلق السموات والأرض ﴾[9]، كقوله :

---

(1) الانعام 102/6 .
(2) الرعد 16/13 .
(3) الانعام 164/6 .
(4) الطلاق 12/65 .
(5) سبأ 21/34 .
(6) البقرة 20/2 .
(7) اخرجه البخاري في خلق الأفعال 17/1 ، ومجمع الزوائد 197/7 .
(8) القائل زهير كما نسبه معجم مقاييس اللغة، مادة « خلق » ج 2 ، واللسان مادة « خلق » ، وفي ديوانه ص 94 ، وهو عجز من بيت صدره :
ولأنت تفري ما خلقت وبعض . . . .
حرف الضاد في العجز، ومعنى البيت : انت اذا قدرت امرا قطعته وامضيته وغيرك يقدر ما لا يقطعه.
(9) الانعام 1/6 .

﴿ بديع السموات والأرض ﴾[1] .

وللتكوين، نحو ﴿ خلقه من تراب ﴾[2] .

ولا خلاف ان الاعيان الموجودة [من فعله وانه جعل كل واحد منها][3] ، على هيئة مخصوصة ، ليظهر منه فعل مخصوص كالحديد الذي في قوته القطع وليس ذلك في قوة الماء، وكالزاج، والعفص اللذين جعل في قوتهما اذا جمع بينهما ان يظهر الحبر، واذا كانت هذه الأشياء قد أوجدها الله ـ عز وجل ـ لافعالها الخاصة بها، فذلك لا شك من خلقه اما من حيث التكوين او من حيث الابداع او من حيث التقدير، فإن الحبر الذي يظهر من بين العفص والزاج بصنعة الانسان فهو من خلق الله ، اذ قد جعل الله تعالى ذلك في قوة هذين الجوهرين ولم يجعل في قوة غيرهما من الأعيان، فثبت من ذلك انه يصح نسبة افعال الانسان إلى الله تعالى على سبيل الخلق، وان كان منسوباً الى متعاطيه بلفظ الفعل والعمل والكسب على ما نبين من بعد ـ ان شاء الله ـ

تحقيق معنى القدرة والطاقة والوسع والاستطاعة :

قدرة المخلوق هي اسم للقوة المختصة ببنيته اذا كان بقدر العمل المزاول او اكثر منه واشتقاقها من القدر الذي هو التقدير،

---

(1) البقرة 117/2 .

(2) آل عمران 59/3 .

(3) ما بين المعقوفين ساقط من م ج والمثبت من ش.

قال بعضهم : الفرق بين القدرة والقوة ان ما في الشيء بالتسخير كالاحراق في النار يقال له : القوة ولا يقال له القدرة وما كان فيه وهو يمكنه ان يفعل به وان لا يفعل فقدرة، قال فالقوة تصلح للشيء وضده، والقوة قد لا تصلح الا لاحدهما ولهذا يقال في النار قوة الاحراق ، وفي الماء قوة الترطيب، ولا يقال لهما قدرة.

والوسع اسم للقدرة اذا كانت اكثر من قدر العمل المزاول.

والطاقة اسم لمقدار ما يحيط به كأنها شبيه بالطوق المحيط بالشيء، فقوله تعالى ﴿ ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾[1] ، معناه ما يصعب علينا مزاولته وليس معناه لا تحملنا ما لاقدرة لنا به، وذلك انه تعالى قد يحمل الانسان ما يصعب عليه ولهذا قال ﴿ ويضع عنهم اصرهم ﴾[2]، وقال ﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾[3] ، أي خففنا عليك تحمل العبادات التي في تركها الوزر، وربما يكون الشيء وسعا لزيد وجهدا لعمرو، واما لأمر يرجع الى الخلقة واما بحسب التدريب في العمل والممارسة فيسهل على من مارسه ويصعب على من لم يمارسه.

والاستطاعة : استفعال من الطوع، وهي عند المحققين اسم للمعاني التي بها يتمكن الانسان ما يريد من احداث الفعل وتصور للفعل، وهي بنية مخصوصة ومادة قابلة لتأثيره، وآلة ان كان الفعل آليا كالكتابة، فإن الكاتب يحتاج الى هذه الأربعة في ايجاده

---

(1) البقرة 286/2 .

(2) الاعراف 157/7.

(3) الانشراح 2/94 .

الكتابة، ولذلك يقال فلان غير مستطيع الكتابة واذا فقد واحدا من هذه الأربعة فصاعدا، فالعجز ان لا يجد احد هذه الأربعة فصاعدا، والاستطاعة والعجز من الاسماء المتضايفة، كالطويل والقصير فإنه قد يوصف الشيء الواحد بهما في حالة واحدة باعتبار شيئين مختلفين، فيقال فلان مستطيع لكذا عاجز عن كذا كما يقال طويل في جنب كذا قصير في جنب كذا، ان قيل هل يصح ان يكون الانسان ملوما ومعاقبا على ما لا يستطيع ؟، قيل عدم الاستطاعة ضربان : أحدهما ان يكون سببه غير متعلق بوجه كمن عرضت له آفة سماوية فجعلته عاجزاً عن فعل ما، وهذا محال ان يلام او يعاقب، كمن يبست رجله فلا يقدر على القيام للعبادة، والثاني ان يكون سبب العجز من جهته كمن شرب المسكر فيزول عقله، او لازم ظلمة حتى فسد بصره وقبض كفه ورجله حتى تشنجت اعضاؤه[1]، فهذا ملوم على فعله معاقب عليه، اذ هو احد اسباب عجزه.

بيان ان لا جبر ولا تفويض :

اجناس الأفعال ثلاثة : ممتنع وجوده من الانسان كصعود السماء والطيران، وواجب وجوده منه كالتنفس، ما دامت الحياة باقية، وممكن وجوده كقيامه وقعوده، ومعلوم ان ما كلفه[2] الله تعالى فهو من جنس الممكنات دون الممتنعات والواجبات. واختلف الناس فيما كلف الله العباد من هذا النوع، فقال قوم [الانسان عاجز

---

(1) في ج « اعصابه »، والمثبت من ش م.

(2) في ج « يخلقه »، والمثبت من ش م.

عن ما علم الله انه لا يكون منه، فليس له قدرة عليه اصلا، وهم الملقبون بالمجبرة[1]، وقال آخرون الانسان قادر على ما علم الله [[*] انه لا يكون منه بوجه ويمكن وقوع الفعل منه بخلاف ما علم الله، وهم الملقبون بالقدرية[2]، وقوم يزعمون ان العباد ان شاؤوا فعلوا ما أمروا به وان شاؤوا لم يفعلوا ويقال لهم المفوضة، وقوم تجنبوا الطريقين، وقالوا : لا جبر ولا تفويض وذكروا : ان في وسع الانسان الاتيان بما كلف، لكن ما علم الله انه لا يكون فليس يحصل منه، لحكمة اختص الله تعالى بعلمها. والذي يدل ان لا جبر : ان القول بذلك يبطل فائدة العقل من الفكر والروية التي خص الله تعالى بها الانسان ليميز بين الحق والباطل في الاعتقاد والصدق والكذب في المقال والجميل والقبيح في الفعال لكي يتحرى الحق دون الباطل والصدق دون الكذب والجميل دون القبيح وجعله بذلك خليفته وكرمه بها كما قال تعالى ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ﴾[3]، وقبيح ان يوجد الله تعالى العقل الذي هو اشرف موجود ثم يبطل فائدته وايضا فلو لم يكن للانسان فعل لما سوغ العقل ان يقال له لم فعلت كذا ولم تفعل كذا ولا ان يقول في جوابه لأنه كذا. والذي يدل على ان لا تفويض، ان الأمر لو كان مفوضاً الى الناس لما عذر احد فيما تعذر به، والذي تولد منه الجبر والتفويض هو اختلاف نظرين، فإن من نظر الى نزارة

---

(1) المجبرة : هم الذين ينفون الفعل عن العبد ويسندون افعالهم الى الله تعالى وهم اتباع جهم بن صفوان. الملل والنحل 108/1 .

(*) ما بين المعقوفين ساقط من ج والمثبت من ش م.

(2) مضى التعريف بالقدرية.

(3) الاسراء 70/17 .

العبد وضعفه، ويرى ان قوته وآلاته وجميع اسبابه من الله عز وجل [ثم مع ذلك متى لم يقترن باجتهاده توفيق من الله عز وجل][1]، لم يحصل عمله ولم يرتفع مراده اداه ذلك الى الجبر، ومن لم ينظر الى نزارة[2] العبد وانما ينظر اليه وقد حصل له كل شيء يحتاج اليه ويرى العقل يظهر للحاسة من جهته اداه ذلك الى التفويض. وقال بعض الحكماء: الذي يصون الانسان عن الاقتصار على احد النظرين وعن ان يتوهم التناقض بين الأمرين هو ان يتصور حال ضعيف متورط في وحل وقد اخذ بيده قوى فهو ينبعث بمعونته؛ فمن تصور هذا علم ان كل من نسب فعل العبد الى الله عز وجل فمصيب من وجه، ومن نسبه إلى العبد فمصيب من وجه، ومن اعتبر الأمرين وجمع بين النقيضين أصاب الحق ولم يستقبح التكليف، وبمعرفة الوجهين تزول الشبهة فيما يظن به التنافي بين قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « ما نجا من نجا الا بصدق السعي »، وقول الله تعالى ﴿ وان ليس للانسان الا ما سعى ﴾[3]، وقوله عليه السلام « ما منكم من احد يدخله عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله، قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته »[4]، فذكر ان رحمة الله تخلصه لا عمله، فإن الأول انما قيل اعتبارا بتوفيق الله اياه، واعطائه القدرة والتمكين، وانه لو فقد شيء من ذلك لما حصل للعبد فعل، ولهذا

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ج م والمثبت من ش.

(2) النزارة : الحقارة والقلة والاستصغار، اللسان مادة « نزر ».

(3) النجم 39/53.

(4) رواه البخاري 294/11، ومسند احمد 452/2.

قال بعض الحكماء[1] ، من ظن انـه يصل الى الحق ببـذل الجهد فمتعني[2] ، ومن ظن انه يصل بغير جهد فمتمني .

بيان قلة تأثير الانسان فيما يظهر من فعله ما يـظهر من فعل البشر :

هو ضربان : ضروري وهو غير منسوب اليه حقيقة، ولا يقال له فيـه لم فعلت وذلك كـالتنفس منه، وارادي وذلك يكون بـاختيـاره ويتعلق به الحمد والذم والثواب والعقاب ويحتاج في ظهور ذلك منه الى اشياء ليست من فعله كالكتابة فإنه يحتاج الى ما يوجد فيه والى ما يوجد به من الالـة والى زمان ومكـان يوجـده فيهما والى صـورة الكتابة معلومة له وهي مستفـادة من الله ، اما بـالالهام او تـرجيع او تعليم يرجع اصله الى الله عز وجل، وقد ذكر الحكماء : ان اصول الصناعات متلقاة من جهة الله تعالى ، واذا ثبت ذلك فتأثير الانسان فيما يفعله قليل جـداً فإن مـا يوجـد فيه الكتـابة مثـلا من الأجسام الصقيلة وما يوجد به القلم والمداد واليد وما يوجـد فيه من الـزمان والمكان وما يتصوره في نفس من الكتابة كلها ليس من فعله ولا من ايجاده وانما الذي يحصل بفعله هو تصرف في الموجودات ولاجله ينسب اليـه الفعل وهـو المشار اليـه بالكسب والعمـل والصنع واذا

---

(1) في تفصيل النشأتين ص 99 ، قال جعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ .

(2) عنا عليه الأمر، أي شق عليه، والعناء التعب، وتعني العناء : تجشمه، اللسان مادة « عنا » .

تصور ذلك تزول الشبهة فيما يدعى ان الكسب معنى غير مقبول، وبالله التوفيق.

بيان كيفية نسبة الفعل الواحد الى عدة من الفاعلين :

ان اكثر المتكلمين لما نظروا الى الفعل من وجه واحد قالوا لا يصح ان يكون فعل واحد منسوباً الى فاعلين فصاعدا ولو اعتبروا حقائق الأفعال ونظروا فيما ورد به الفاظ القرآن، بل فيما جرى عليه عادات الناس لما أشكل عليهم ان الفعل الواحد يصح ان يكون منسوباً الى فاعلين كثيرة بنظرات مختلفة، وبيان ذلك ان الأسباب التي يحتاج اليها الفعل في وجوده عشرة : الفاعل الذي يصدر عنه كالنجار، والعنصر الذي يعمل فيه كالخشب، والصورة التي يعرفها النجار في نفسه، ويوجدها في الخشب كالسرير والباب، والزمان والمكان اللذان يوجد النجر فيهما والالة التي يعمل فيها، اما متصل به كاليد والرجل او منفصل عنه كالمنشار والمنحت والمثقب، وغرض قريب كايجاده الباب لينتفع بأجرته وغرض بعيد لتحصين البيوت به، والمثال الذي يحتذى عليه والمرشد الذي يعلمه الصنعة، وكل ذلك قد ينسب الفعل اليه نحو قولك اعطاني زيد اذا باشر الاعطاء واذا امر به، واذا صار سببا لوصوله اليك [قال الله عز وجل ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾[1]][2] ، وقال ﴿ قل

---

(1) الزمر 42/39 .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش م .

يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾[1].

قال الشاعر في صفة نبال :

وزُرْقٍ كستها ريشها مضرحية[2]

فنسب كسوتها الريش[3]، الى الطائر الذي اتخذ من ريشه فكسي بها، وقيل « يداك اوكتا وفوك نفخ » ، فنسب الفعل الى الالة المتصلة وقيل : سيف قاطع، فنسب الفعل الى الالة المنفصلة، وقيل : ضرب فاصل، وطعن جائف، فنسب الى الحدث، وقيل : شر كاتم وعيشة راضية، فنسب الى المفعول نسبته الى الفعال، وقال تعالى : ﴿ حرما آمنا ﴾[4]، فنسب الأمن الى المكان ، وقيل يوم صائم، وليل ساهر فنسب الى الزمان، فلما كانت الأفعال على ذلك صح في الفعل الواحد ان ينسب لأحد الأسباب مرة وينفى عنه مرة بنظرين مختلفين كقول الشاعر :

اعطيت من لم تعطه ولو انقضى
حسن اللقاء حرمت من لم تحرم[5]

فأثبت له الفعل ونفاه عنه معا بنظرين مختلفين، ويقول مرة قطعت انا لا السكين ومرة قطعه السكين لا انا، ويقال مرة فلان هداه

---

(1) السجدة 11/32 .

(2) والمضرحي : الصقر والبشر الطويل الجناح، اللسان مادة «ضرح». شرح ديوان الخماسة للمرزوقي 1 / 389.

(3) ساقطة من ج، والمثبت من م ش.

(4) القصص 57/28 .

(5) الذريعة ، ولم ينسبه ص 224 .

الله وهداه الرسول وهداه القرآن، وهداه فهمه، ويعني بذلك هداية واحدة فنسبتها الى كل ذلك، ويقال فلان أضله الله لما كان تعالى هو السبب الأول في وجوده [ووجود مضله][1] ، واسباب الضلالة وما تولد منه الضلال وان لم يكن هو تعالى الداعي الى الضلال، ويقول اضله الشيطان لما كان هو المسول له، واضله فلان لما كان هو الداعي، واضله نفسه لما كانت هي التي تركت الاحتزاز حتى ضل، وهذا النحو في الكلام ظاهر.

نسبة افعال العباد الى الله عز وجل :

كل فعل وقع من جهة العبد بأي لفظ ذكر فإنه يصح ان يقال هو بقضاء الله وقدره وما كان منه بلفظ خاص فإنه لا ينسب الى الله تعالى بأنه فعل نحو اكل وشرب، وقد ورد بعض ما كان من افعال الانبياء والاولياء الذين يتحرون مرضاة الله في افعالهم منسوباً الى الله عز وجل كقوله ﴿ وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ﴾[2] ، وقوله ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾[3] ، بل قد نبه ان ما يفعل بهم ومعهم من صالح وطالح فهو مفعول به ومعه كقوله ﴿ ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ﴾[4] ، وقال ﴿ ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ﴾[5] ،

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش م.
(2) الأنفال 17/5 .
(3) الانفال 17/5 .
(4) الفتح 10/48 .
(5) الاحزاب 57/33 .

وقال عليه السلام : « من آذى مؤمنا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عز وجل »[1] ، وروى ان الله عز وجل يقول يوم القيامة لعبده : كنت جائعا فلم تطعمني وعاريا فلم تكسني وظمآنا فلم تسقني ، فيقول كيف وانت رب العزة فيقول له كان عبدي كذلك ولو اطعمته وكسوته وسقيته وكنت قد فعلت بي ذلك »[2]، وقال تعالى ﴿ واعلموا انما غنمتم من شيء فإن لله خمسه ﴾[3] الآية تنبيها انه اذا اعطى هؤلاء فكأنه اعطى الله واذا حرمهم فكأنه حرمه، ومن تصور هذا النحو من الكلام لم يصعب عليه معرفة ما جاء من نحو قوله ﴿ هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام ﴾[4] ، وما روي ان الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا فيقول : « هل من سائل فأعطيه »[5] الخبر .

بيان التوفيق والخذلان :

التوفيق من الوفاق وهو المطابقة، وهو اسم لحالة سماوية تعرض للانسان فيصير سببا لوقوع أمر ما، فمتى كان مذموماً يقال له الخذلان.

والتوفيق : اتفاق حسن يؤدي بالانسان إلى خير عظيم،

---

(1) رواه الترمذي 696/5 ، ومسند احمد 87/2 .

(2) صحيح مسلم 1990/4 ، ومسند احمد 404/2 .

(3) الانفال 41/8 .

(4) البقرة 210/2 .

(5) رواه البخاري 29/3 ، ومسلم 521/1 ، وابو داود /234 ، وابن ماجة 435/1 ، ومسند احمد 264/2 ، والدارمي 346/1 .

والخذلان اتفاق سيء يعوقه عن خير عظيم، وقد يسميان سعادة الجد، وشقاوة الجد مرة[1]، [والدولة والحرمان مرة][2]، والاقبال والادبار مرة، ويكونان على وجهين : احدهما ان يكون من ذات الانسان وهو ان يجد باعثاً من نفسه على فعل محمود او على فعل مذموم. والثاني : ان يقصد فعلا ما فيقع له اما حالة محمودة او مذمومة لم يخطر بباله كمن قصد حفر بئر فوقع على كنز او خرج للصلاة فتردى في بئر، وكل ذلك امر سماوي خارج عن امكان البشر، ولأجله كثر الدعاء، ولا غنى بالانسان عن التوفيق في كل حال ولهذا قيل لبعض الحكماء : ما الذي لا يستغني عنه الانسان في كل حال ؟ فقال التوفيق، وقيل الجهد بلا توفيق عناء باطل، وقال الشاعر :

اذا لم يكن عون من الله للفتى
فأكثر ما يجني عليه اجتهاده[3]

واسباب التوفيق والحرمان ليست محصورة الاعداد ولا متناهية المقدار ولا يمكن ضبطها والاحتراز منها ولا يعلمها الا عالم الخفيات ولا يجوز للانسان ان يعول على مجرد التوفيق [فيما يريد ان يستجلبه من خير الى نفسه، بل حقه ان يجتهد كل الجهد مع استدعاء التوفيق][4].

---

(1) في ج « السعادة والشقاوة مرة والجد والحرمان مرة » . والمثبت من ش م.

(2) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من ش م.

(3) ذكره في الذريعة 61 ولم ينسبه .

(4) ما بين المعقوفين ساقط من م، والمثبت من ش ج.

شرف الاستسلام لما يجري به القضاء والقدر :

اعظم منزلة ينالها الانسان ان يتيقن انه لا يجري في العالم دقيق ولا جليل الا ما قضاه الله وقدره، فيستسلم لذلك ويرضى به فلا ينكر من حيث الباطن شيئاً يجري في العالم من المنكرات، وانما ينكر في الظاهر ما امر بانكاره حسب ما امر به الشرع، والى فضيلة الاستسلام اشار تعالى بقوله ﴿ الا من أتى الله بقلب سليم ﴾[1]، وقال عليه السلام رواية عن ربه : « من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب ربا سواي »[2]

ولكون التسليم طريقة للعارفين قال انس رضي الله عنه : « خدمت النبي صلى الله عليه وسلم بضع[3] عشر سنة فما قال لي في شيء خالفت مراده لم فعلت »[4]. فكل شيء حدث ووجد بعد ان لم يكن فلا بد وان يكون له محدث وموجد، والا لم يكن حدوثه ووجوده اولى من لا حدوثه ولا وجوده ومعلوم ان موجودات هذا العالم قد اوجدها الله تعالى على وجه قوة يتأتى منها الخير والشر والنفع والضر مع قدرته تعالى على ان لا يجعلها على وجه يتأتى فيه الخير دون الشر والنفع دون الضر، كالنار التي جعلها الله تعالى بحيث يحترق بها الناسك والفاسق معا، [وأوجد التأثيرات قوة يتأتى منها ان يأتي بالخير والشر والنفع والضر كالانسان فإنه أوجده على

---

(1) الشعراء 89/26 .

(2) مجمع الزوائد 207/7 .

(3) كلمة « بضع » ساقطة من ج، والمثبت من ش م .

(4) رواه البخاري بلفظ آخر « فما قال لي اف قط ولا لم صنعت والا صنعت » 456/10 ، ومسند احمد 197/3 ، والى هنا تنتهي نسخة شهيد علي .

وجه يؤثر فيه ضر من يضر به][1] ، ومن اوجد شيئاً على وجه يتأتى منه الضدان من الفعل مع امكانه ان يجعله على وجه لا يتأتى منه الا احدهما فقد ارادهما وان كان احدهما مقصوداً لذاته والآخر كالتابع له وقد نبه بقوله تعالى ﴿ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين ﴾[2]، القصد الى ان الخير هو مقصود بذاته والجور كالتابع الى مشيئته لم تقتض ان يهدي لحكمة تعلقت بذلك « ولو شاء » اي لو اقتضت حكمته ذلك لكان الخير والشر اذا مرادان فمن هذا الوجه اذا يصح ان يقال كل شيء من خلق الله وبتقديره كما قال تعالى ﴿ خلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾[3] ، وعلى هذا كل فعل اختياري منا يصح ان يقال بارادته لا على وجه يقتضي ظلما منه تعالى ولكن على هذا وهو ان الارادة منا منبعثة عن قوة داعية الى الارادة كالشهوة الداعية الى ارادة النساء وكالغضب الداعي الى الانتقام، ولا خلاف ان هذه القوى التي صدرت عنها ارادتنا قد جعلها الله تعالى على وجه يتأتى منها ارادة الخير وارادة الشر مع قدرته تعالى ان يجعلها على احد الوجهين، فإذا ارادته من هذا الوجه، وقد تقدم ان كل من فعل شيئاً مع علمه انه يؤدي الى حال وامكانه ان لا يؤدي اليها فقد اراد ذلك اما بالقصد الأول واما بالقصد الثاني ، واذا كان كذلك فقوله تعالى ﴿ ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والانس ﴾[4]فعلى ظاهره.

---

(1) ما بين المعقوفين ساقط من ج، والمثبت من م.

(2) النحل 9/16 .

(3) الفرقان 2/25 .

(4) الاعراف 179/7 .

الفصل الثامن

في الايمان والاسلام والوعد والوعيد

الكلام في الايمان :

الايمان في الأصل من الأمن وهو سكون القلب وطمأنينته، ويقال على وجهين احدهما مصدر آمنته، أي جعلته في أمن، ومنه قيل في وصف الله ﴿ المؤمن المهيمن ﴾[1] والثاني : مصدر آمن فلان، أي صار ذا امن نحو احمد واذم، ويعدى بالباء فيقال آمن بالله، ويستفاد منه معنى التصديق، لكن الايمان لا يقال الا في التصديق الذي معه أمن النفس لصحته وسكون الى حقيقته، والتصديق قد يقال في ذلك وفي غيره، فإن قيل : فاذا كان الايمان هو التصديق الذي معه الأمن والسكون اليه لصحته فكيف قال تعالى ﴿ الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾[2] ، ومحال ان يتيقن الانسان باطلا يحصل معه الأمن، قيل : ان ذلك مذكور على سبيل الذم للقوم، وانهم

---

(1) الحشر 23/59 .

(2) النساء 51/4 .

لجهلهم وقلة تفكرهم يركنون الى الباطل ركونهم الى الحق كما قال تعالى : ﴿ من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ﴾[1] ، وذلك ضرب من البلاغة يستعمله العرب فيقال : لفلان ايمانه الكفر وتحيته الضرب والشتم وسلامه الرمي بالسلاح ، قال الشاعر :

....

تحية بينهم ضرب وجيع[2]

فأما الكفر فمحال السكون اليه ، فإن الكفر هو اعتقاد كاذب لا ركون اليه للنفس، ولذلك قال تعالى ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى به الريح في مكان سحيق ﴾[3] ، تنبيها على انه تضطرب نفسه اضطراب ذلك ولا يطمئن قلبه كما يطمئن قلب المؤمن ، فالايمان الشرعي الذي يطلق على سبيل المدح هو الاعتقاد الصادق اليقين بالأمور الأخروية ، واصوله ستة اشياء قد نبه عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله : « الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره »[4] ، وقد جعل للايمان شاهدان بهما يصدق صاحبه وهما : الاقرار باللسان وتحري الأعمال المشروعة بالجوارح ، على هذا قال عليه السلام : « الايمان ما وجد في القلب وصدقه العمل »[5] ،

---

(1) النحل 106/16 .

(2) القائل عمرو بن معدي كرب ، انظر الكتاب 365/1 , 429 ، والمقتضب 20/2 ، وصدر البيت : وخيل قد دلفت لها بخيل

(3) الحج 31/22 .

(4) مضى تخريجه .

(5) كنز العمال 25/1 .

وقال : « الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان »[1].

فصـــل :

اختلف الناس في الايمان فقيل هو الاعتقـاد بالقلب فقط[2]، وقيل هو الاقرار باللسان فقط[3]، وقيل هو الاعتقاد والاقرار والعمل الصـالح معـا [4]، وكل واحـد من هؤلاء نظر نـظرا، فمن قال هـو الاعتقـاد فلقولـه عليه الصـلاة والسلام : « الايمـان أن تؤمن بـالله وملائكته » الخبر، ولأن الله حيثما ذكره افرده عن العمل نحو قـوله تعـالى : ﴿ الـذين امنـوا وعملوا الصـالحـات ﴾[5]، وقـال عليــه الســلام : « الايمـان والعمــل قـرينــان لا يصلح احــدهمــا الا بالاخر »[6]، ومن قال هو الاقرار فلقوله عليه الســلام في الجاريـة التي عرضت عليه فأقرت بالله ورسوله : « اعتقها فإنها مؤمنة »[7]، ولـم يستكشف عن معرفتها وعن افعال جوارحها. ومن قال الأعمال

---

(1) سنن ابن ماجة 26/1 ، وكنز العمال 23/1 .

(2) قول الاشاعرة، اصول الدين للبغدادي ص 248 ، والتمهيد ص 346 ، واليه ذهب الماتريدي وغيره، الطحاوية 373 .

(3) شرح الطحاوية 373 ، واصول الدين 250 ، وبه قالت الكرامية .

(4) مذهب عامة السلف، فقد قال الشافعي : « وكان الاجماع من الصحابة والتـابعين من بعدهم ومن أدركنا يقولون : الايمان قول وعمـل ونية، ولا يجـزي واحد من الثلاثة الا بالآخر ، انظر الايمان لابن تيمية ص 265 ، وشرح العقيدة الطحـاوية ص 373 .

(5) البقرة 25/2 .

(6) كنز العمال 316/1 .

(7) رواه مسلم 382/1 ، ومسند احمد 291/2 ، والنسائي 14/3 .

من الايمان فلنظر الى نحو قوله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع ايمانكم ﴾[1] ، اي صلواتكم الى بيت المقدس، وقوله عليه السلام : « الايمان بضع وسبعون درجة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الأذى عن الطريق »[2] ، وقال عليه السلام « الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان » .

فصـــل :

المؤمن[3] يقال على وجهين :

احدهما على سبيل الاسم لمن اقر بالاركان الحنيفية كما ان اليهودي والنصراني لمن اقر بأركان دين موسى وعيسى عليهما السلام، وعلى هذا قوله تعالى ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى ﴾[4] الآية .

والثاني يقال على سبيل الحد[5] ، وهو كما قال النبي عليه السلام « الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان » وأي ايمان حصل على سبيل التقليد فإنه يجري في الأحكام الدنيوية كالميراث والنكاح ونحوهما مجرى الايمان اليقيني .

---

(1) البقرة 143/2 .

(2) رواه مسلم 63/1 ، والترمذي 10/5 ، ومسند احمد 445/2

(3) في م « الايمان » والمثبت من ج .

(4) البقرة 62/2 .

(5) في م « المدح، والمثبت من ج .

فصـــل :

لما كان للايمان درجات كما روي في الخبر، وكل ما له منازل ودرجات فالاسم يقع على المبتدأ به، والداخل فيه كما يقع على المستوفي لعامة درجاته والبالغ لأقصى غاياته وان كان بين المبتدأ والمنتهى في الحكم بون بعيد ولما كان كذلك صح ان يقال لم دخل فيه باظهار الشهادتين مؤمن كما يقال للمنتهي فيه مؤمن وعلى هذا قال : ﴿ يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ﴾[1] ، اي يا أيها الداخلون في الايمان استكملوا الايمان وكل ما له مدى وغاية فإن من دخل فيه ولم يستوف غايته يصح ان ينسب له الحكم مرة وان ينفي عنه مرة وان ينسب وينفي عنه معا، وان لا ينسب له ولا ينفي عنه، نحو ان يقال لمن ابتدأ في الأكل ولم يستوف فلان قد اكل، أي ابتدأ بالأكل، وقد يقال له هو لم يأكل اي لم يستوف الأكل وقد يقال له اكل ولم يأكل، اي اخذ منه ولم يستوف فيه، وقد يقال : ما أكل وما ترك الأكل، أي ما فعل هذا ولا ذاك بالتمام، ولما كان إيمان اكثر الناس على هذا صح منهم على هذه الوجوه، وعلى هذا ما روي عنه عليه السلام : « من قال لا اله الا الله فهو مؤمن وان زنى وان سرق »[2] ، أي دخل في الإيمان وروي عنه : « لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن »[3] ، اي لا يفعل ذلك وهو كامل الايمان ، وكذا قوله عليه

(1) النساء 136/4 .

(2) الجامع الكبير 716/1 .

(3) صحيح البخاري 58/12 ، ومسلم /76 ، والترمذي 15/5 .

السلام : « لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[1] ، وكذا روي عنه عليه السلام « من قال انا مؤمن فهو فاسق ومن قال انا عالم فهو جاهل »[2] ، وكان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل احدهم أمؤمن انت ؟ قال انا مؤمن ان شاء الله[3] ، وكذا قوله عليه السلام : « لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه »[4] ، وكذا قوله تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾[5] . ولما قال بعض العرب واعتقدوا انهم استكملوا الايمان قال تعالى ﴿ قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ﴾[6] ، أي دخلتم في السلم من حيث انكم اظهرتم الايمان فأما استكمال الايمان فلم يحصل لكم بعد، وعادة الناس ان كل فضيلة لم يستكملها صاحبها قد ينفي عنه اسمها لقولهم لا سيف الا ان يكون ضاربا ولا فرس الا ان يكون صادق العدو ولا فتى الا ان يكون شجاعاً سخيا، وعلى هذا روي « لا ايمان لم لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له »[7]، وروي « لا ايمان لمن لا صلاة له، ولا صلاة لمن لا زكاة له »[8]، تنبيها ان تمام الايمان بالصلاة وتمام الصلاة بالزكاة.

---

(1) البخاري 57/1 ، ومسلم 67/1 ، ومسند احمد /176 .

(2) الايمان ص 9 ، والشريعة 137 .

(3) المصدران السابقان وشرح الطحاوية ص 398 .

(4) مسند احمد 198/3 .

(5) النساء 65/4 .

(6) الحجرات 14/49 .

(7) مسند أحمد 135/3 .

(8) الطبقات 363/5 .

فصــــل :

زيادة الإيمان وانتقاصه :

اختلفوا في الايمان هل يزيد وينقص ، فقال قوم لا يزيد ولا ينقص ، ويشبه ان يكون ذلك قول الذين اعتقدوا ان الايمان هو القول المجرد وهو ان يأتي الانسان بالشهادتين، وقال قوم يزيد وينقص ويشبه ان يكون ذلك قول من جعل الأعمال من جملة الايمان فقال من ازداد من الأعمال الصالحة ازداد ايمانه، ومن نقص منها نقص ايمانه، وقال قوم : الايمان يزيد ولا ينقص ويشبه ان يكون ذلك قول من قال الايمان هو الاعتقاد الحق فإن الانسان يصح ان يخرج من الجهل الى العلم وان يزداد ايمانه حسب الازدياد في العلم ومن المحال ان يخرج نفسه من العلم الى اليقين الى الجهل[1]، والقرآن يقتضي انه يصح ان يزيد وان ينقص لقوله تعالى ﴿ واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون ﴾[2] ، [وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا ﴾[3] ، أي حصلوا ما يزيدكم إيماناً][4]، وعلى هذا روي « الايمان يبدو نكتة بيضاء » الخبر عن علي رضي الله عنه « الايمان يبدو نكتة بيضاء في القلب فاذا ازداد الايمان ازداد البياض فإذا

---

(1) أصول الدين 2952 .

(2) التوبة 124/9 .

(3) النساء 136/4 .

(4) ما بين المعقوفين ساقط من م ، والمثبت من ج .

استكمل الايمان ابيض القلب كلــه وان النفـاق يبدو نكتـة سوداء فكلمـا ازداد النفاق ازداد السـواد فإذا استكمل النفـاق اسود القلب كله [1].

كراهة سلب اسم المؤمن عمن لم ينكر الشهادتين :

قـد تقدم ان المؤمن يقـال على وجهين لمن اظهـر الشهـادتين ولمن اختص بالاعتقاد النفسي فمن سمي مؤمنـاً باظهـار الشهادتين فإنه لا يسلب عنه [ما لم ينكر الشهادتين فإن الشريعة ابت ان يسلب عنه][2]، لقوله تعالى ﴿ ولا تقولوا لمن القى اليكم السـلام لست مؤمنا ﴾[3]، ولأن الله تعالى قـد خاطب عبـدالله بن ابي[4]، بلفظ المؤمنين وقال : ﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ﴾[5]، [وقال ابن عباس رضي الله عنهما][6]: لو أكفر الله تعالى احدا من اهل التوحيد بذنب لسلب الـذين جادلـوا النبي صلى الله عليه وعلى آله، وقـد علموا ان الحق معـه[7]، وقد قـال تعالى : ﴿ وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقـون الى الموت وهم ينـظرون ﴾[8]، ولأكفر ابـا

---

(1) الايمان لابن تيمية 261 ، والاحياء للغزالي 121/1 ، ونهج البلاغة 59/4 .

(2) ما بين المعقوفين ساقط من م ، والمثبت من ج .

(3) النساء 94/4 .

(4) عبد الله بن ابي الخزرجي ، رأس المنافقين ، مات سنة 9 هـ . الاعلام 188/4 .

(5) المنافقون 9/63 .

(6) ما بين المعقوفين ساقط من ج ، والمثبت من م .

(7) تفسير الطبري 395/13 .

(8) الانفال 6،5/8 .

لبابة[1] ، يوم اشار الى بني قريظة ان محمدا يريد فأومأ الى حلقة انه الـذبح ، فـأنزل الله تعـالى ﴿ يا أيهـا الـذين آمنـوا لا تخـونـوا الله والرسول ﴾[2]، ولأكفر الذين سفكوا الدم الحرام وقد قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ ، ثم قال ﴿ فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف ﴾ ثم قال ﴿ وذلك تخفيف من ربكم ورحمـة ﴾[3] ، سماه الله تعـالى في اول الايـة المؤمن وفي وسطه اخاه ولم يؤيسه في الآخرة من التخفيف ثم قال لجميعهم ﴿ وتـوبـوا الى الله جميعـاً ايهـا المـؤمنـون لـعلكـم تفلحون ﴾[4] ، فسماهم مؤمنين،ومن قال من المتكلمين : لا يصح ان يقال لكافة مستقبلي القبلة الا بشرط وتقييد لجهلنا بحاله، فإنه ان عني بـالايمان الاعتقـاد اليقيني والأعمال الصـالحـة التي يضـامهـا الاخلاص وعناه الله تعالى بقوله ﴿ اولئك هم المؤمنون حقا ﴾[5]، فصحيح ، وان عني المذكور في قوله تعالى ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا ﴾[6] ، فليس كذلك ولما تقدم، فإن قيل فقد سلب الله تعـالى الفـاسق اسم الايمـان حيث قـال ﴿ أفمن كـان مؤمنـاً كمن كـان

---

(1) أبو لبابة بن عبد المنذر الانصاري ، وهو الذي اشار الي بني قريظة ان محمدا يريد قتلكم، ولـه اسطوانـة في مسجد النبي (ص) بـاسمه حيث اعتكف عليها حتى قبلت توبته، الاصابة 1684 ، والاستيعاب 168/4 ، وتفسير القرطبي 394/7 ، وابن كثير 300/2 .

(2) الانفال 27/8 ، وانظر المصادر السابقة في النزول والتفسير .

(3) البقرة 178/2 .

(4) النور 31/24 .

(5) الانفال 4/8 .

(6) البقرة 62/2 .

فاسقاً ﴾[1]، قيل المؤمن ها هنا هو المذكور على سبيل المدح، او يكون تقديره افمن كان مؤمناً غير فاسق كمن كان مؤمناً فاسقا فحذف من كلا الطرفين ما ينبه على الاخر.

الكلام في الاسلام :

الاسلام منقول عن سلم كما ان الايمان منقول عن آمن ويقال ذلـك على وجهين : احدهما متعديا نحو ﴿ اسلمت وجهي لله ﴾[2]، والثاني غير متعد نحو اسلم فلان، أي دخل في السلم نحو اصاف واربع واشتى، فالاسلام هو اشتمال العبد على ما يفيده السلامة، فمن أظهر آثار الإيمان فقد أوجب الله السلامة بتحريم نفسه على النار، واختلف في الإسلام والإيمان فقال بعض المتكلمين هما واحد واستشهد بقوله تعالى: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ﴾ ﴿ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾[3]، والصحيح انهما وان كانا قد يرادان في بعض المواضع مترادفين على معنى فالمقصود منهما مختلف، فالايمان من الأمن وهو مختص بالقلب والاسلام من السلامة وهو مختص بالبدن والجوارح، ومما يفرق بينهما ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الايمان بغير ما فسر به الاسلام فقال : « الايمان ان تؤمن بالله وملائكته » الخبر، وقال في الاسلام « شهادة ان لا اله الا الله وان

---

(1) السجدة 18/32 .

(2) آل عمران 20/3 .

(3) الذاريات 36,35/51 .

محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم شهر رمضان »[1]، وقال تعالى : ﴿ قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ﴾[2]، فدل ان الايمان غير الاسلام، وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما : « قد يكون الرجل مسلما ولا يكون مؤمناً ولا يجوز ان يكون مؤمناً ولا يكون مسلما، فقيل له فكيف يكون ذلك؟، قال : أرأيت رجلا في المسجد الحرام يحكم عليه انه في الكعبة، قال : لا، قال فلو كان في الكعبة أأنت تحكم عليه انه في المسجد قال نعم، قال فكذلك الاسلام والايمان.

فصـــل :

قال بعض العلماء، للاسلام منزلتان، الأولى : الاستسلام، بالتزام الاحكام وذلك ادنى منزلة من الايمان،وهو كما قال﴿ولكن قولوا اسلمنا ﴾[3]، والثانية : بحكم الله تعالى في السر والجهر، وذلك اعلى منزلة من الايمان وهو كما قال تعالى ﴿ اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ﴾[4]، وقال تعالى : ﴿ فلما اسلما وتله للجبين ﴾[5]، وذلك هو ان يكون مع الاعتراف بحكم الله تعالى اعتقادا بالقلب ووفاءً بالفعل وتوكلا عليه بلا التفات منه الى غيره، كما روى ان ابراهيم عليه السلام لما وضع في المنجنيق

---

(1) رواه البخاري 114/1 ، ومسلم 39/1 .

(2) الحجرات 14/49 .

(3) الحجرات 14/49 .

(4) البقرة 131/2 .

(5) الصافات 103/37 .

ليرمي به في النار قال له جبرائيل الك حاجة فقال : أما اليك فلا فاني قد توكلت على الله »[1]، وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ واجعلنا مسلمين لك ﴾[2]، وقوله تعالى : ﴿ ان الدين عند الله الاسلام ﴾[3]، وقوله تعالى ﴿ يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا ﴾[4]، يعني بالذين اسلموا ها هنا اولي العزم من الرسل وعني بقوله « للذين هادوا » من دونهم وقوله تعالى ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾[5]، قد قال بعض المحققين[6] : المسلم ها هنا المستسلم لله المتوكل عليه فكأنه قيل : اخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المستسلمين المتوكلين المنقطعين الى الله الا واحدا. واعلم ان الايمان والاسلام وان كانا قد يطلقان اسمين لهذا الدين فالاسلام املك له، ولهذا قال تعالى : ﴿ ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين ﴾[7]، ولهذا قيل : دار الاسلام، ولا يقال : دار الايمان واثبت تعالى لمن دخل في الدين الاسلام ونفى عنه الايمان في قوله تعالى ﴿ قالت الاعراب آمنا ﴾[8] ، الاية، ومن الفرق بين الايمان والإسلام، ان الايمان

---

(1) تفسير القرطبي 303/11 .

(2) البقرة 128/2 .

(3) آل عمران 19/3 .

(4) المائدة 44/5 .

(5) الذاريات 36،35/51 .

(6) التمهيد للباقلاني ص 348 .

(7) الحج 78/22 .

(8) الحجرات 14/49 .

يقال اعتبارا بالعلم والتصديق، والاسلام يقال اعتبارا بالاعمال كما تقدم في الخبر، ولهذا قال عليه السلام : « الاسلام علانية والايمان في القلب »[1] .

الكلام في الكفر :

الكفر في اللغة الامتناع من اظهار المنطوي عليه وهو اخص من الستر، ومنه قيل : ليل كافر قال الشاعر :

. . . .

القت ذكاء يمينها في كافر[2]

ويقال للزارع الذي يجعل البذر في التراب كافروكافور الطلع ويقال للقرية المنطوية على سكانها كفر، والكفر ستر النعمة والكافر بالله ساتر لما قد انعم عليه، ونعم الله تعالى على القول المجمل ثلاث نعمٍ خارجة كالمال والولد والضياع، ونعمة بدنية كالصحة وسلامة الاعضاء، ونعمة نفسه كالعقل والتمييز.

واعظم هذه النعم الثلاث نعمة نفسية، واعظم النعم النفسية ما جعل له من المعرفة المشار اليها بقوله تعالى ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾[3] ، وبقوله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات

---

(1) مسند احمد 134/3 .

(2) القائل ثعلب بن صُعيرة المازني ، وصدر البيت : :

فتذكرا ثقلا رشيدا بعدما . . . .

* اللسان مادة « كفر » ، وعيون الاخبار 88/2 ، والكافر هنا الليل ، وذكاء : الشمس .

(3) الروم 87/30 .

والأرض ليقولن الله ﴾[1]. وجاحدها هو الكافر المطلق الذي حقه في كل شريعة ان لا يتأنى في قتله. والكفر بالنعم الدنيوية دون الكفر بالنعم الاخروية، وذلك ظاهر فيما ذكر الله تعالى من الوعيد، فإنه قال في النعم الدنيوية ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع ﴾[2]، وقال في الكفر بالنعم الاخروية: ﴿ واذا قال ابراهيم ربي اجعل هذا البلد آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر وقال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اظهره الى عذاب النار وبئس المصير ﴾[3].

واعلم ان الكافر وان كان في الاطلاق اسما لمن رفع سببا من اركان الشريعة، فيقال لمن تعاطى شيئا مما يتعاطاه الكفار، فإن اسم الفاعل مطلق على من كثر منه ذلك الفعل، فقد يقال لمن باشر ادنى جزء منه كقولهم آكل وشارب وضارب، وعلى هذا قوله عليه السلام « من ترك الصلاة فقد كفر »[4]، اي قد اخذ في فعل الكفار، وعلى هذا قوله تعالى ﴿ ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[5].

(1) الزخرف 87/43.

(2) النحل 112/16.

(3) البقرة 126/2.

(4) رواه الترمذي 14/5، ومسند احمد 346/5.

(5) المائدة 44/5.

الكلام في الشرك :

الشرك اصله من المشاركة، فالشرك بالله اثبات ضد او ند، وذلك هو المعقول من اطلاق الشرك، والمشركون اضرب، منهم من يجعل الأزلي والمعبود غير واحد، ومنهم من يجعل المعبود واحد والأزلي غير واحد، كالثنوية والمجوس، ومنهم من يجعل الأزلي واحدا، والمعبود غير واحد، كعبدة الأصنام، والشرك ضربان : ضرب يخرج الانسان به عن الدين، وهو ما تقدم، واياه عني بقوله تعالى ﴿ ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[1] ، وشرك لا يخرج عن الدين، وهو الرياء، واليه اشار بقوله تعالى ﴿ وما يؤمن اكثرهم بالله وهم مشركون ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ قل انما ادعو ربي ولا اشرك به أحدا ﴾[3] ، وقوله عليه السلام : « الشرك في امتي اخفى من دبيب النمل على الصفا »[4] ، وقال عليه السلام : « ان ادنى الرياء الشرك »[5] . وقال ابو حنيفة لجعفر بن محمد رضي الله عنهم : من اين قال ابوك قليل الرياء شرك ؟ فقال من قول الله تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا ﴾[6] ، فمن تراءى بعمله فقد اشرك فيه، ومما يثبت صفة الشرك قوله تعالى :

---

(1) النساء 48/4 .

(2) يوسف 106/12 .

(3) الجن 20/72 .

(4) مسند احمد 403/4 .

(5) الايمان ص 86 .

(6) الكهف 110/18 .

ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ﴾[1]، أي من فعل فعل الشيطان فقد والاه، وأما الموحد فإنه لا يكون الشيطان وليه، وعلى هذا قوله تعالى ﴿ وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم، وان اطعتموهم انكم لمشركـون ﴾[2]، وان الكفر اعم من الشرك لأنه يقع على اهل الكتاب وعلى المشرك، والمشرك لا يقع على اهل الكتاب، ويدل على الفرق بينهما قوله تعـالى ﴿ لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين ﴾[3]، ويضاد الشرك التوحيد والكفر الايمان، وقد يقال الكفر والشرك. هذا هـو الأصل في تعارف الفقهاء، وقد يقع الشرك على اهل الكتاب وقـد حمل قوله تعالى ﴿ اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾[4]، على العموم. والالحاد في الأصل هو الانحراف عن الشيء، يقال لحد وألحـد ومنه لحـد القبر، وهـو ضربـان احـدهمـا في الفـطرة وهـو الانحراف عن فطرة الله تعالى، وجحود الربويـة[5]، وانكار[6]، صنائعه وذلك اعظم الكفر. والثاني الحاد في اسمائـه، وصفاتـه، وصرف معانيه الى غير وجهها مما يقتضي تشبيها وامراً منكرا، واياه قصد تعالى بقوله ﴿ الذين يلحدون في اسمائه ﴾[7].

---

(1) النساء 119/4 .
(2) الانعام 121/6 .
(3) البينة 1/98 .
(4) التوبة 5/9 .
(5) في ج « الدنيوية »، والمثبت من م .
(6) في ج « امكان »، والمثبت من من م .
(7) الاعراف 180/7 .

والنفاق اصله عند اكثر الناس من المنافق [1]، وهو حجر اليربوع، له بابان، اذا حزبه امر من احد البابين افلت من الآخر، يقال : نفق اذا دخل فيها، ومنه النفق قال تعالى : ﴿ فإن استطعت ان تبتغي نفقا في الأرض ﴾ [2] الآية ، فالمنافق : هو الذي يجنح الى الايمان والى الكفر ويأخذ بطرفيهما فاذا حزبه من احد الجانبين امر في دنياه او دينه نفق الى الآخر، وقيل : اصله من النفاق في البيع، فالمنافق هو الذي يطلب ما ينفق به في جملة المسلمين من غير ان يعقد عليه بقلبه، ولما كان النفاق منزلة بين الايمان والكفر صح ان يقال : المنافق مؤمن اعتبارا بكلمته، وحضوره الصلاة ببدنه ونحو ذلك وصح ان يقال : هو مؤمن كافر لجمعه فعل الفريقين، وصح ان يقال : ليس بمؤمن ولا كافر، اي ليس بمستوف وصف احدهما، وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - امارة المنافق، فقال : « ثلاث خصال من كن فيه فهو منافق، وان صام وصلى وحج واعتمر وزعم انه مسلم، اذا ائتمن خان، واذا حدث كذب، واذا وعد اخلف » [3]، وفي خبر، اربع وزيد فيه، « اذا خاصم فجر » [4]، وقيل لحذيفة - رضي الله عنه، من المنافق؟ فقال : الذي يصف الاسلام ولا يعمل به [5] .

---

(1) اللسان مادة « نفق » .

(2) الانعام 35/6 .

(3) رواه البخاري 89/1 ، ومسلم 87/1 ، ومسند احمد 536536/2 .

(4) المصادر السابقة .

(5) كنز العمال 367/1 .

والنفاق[1] ضربان :

نفاق في اصل الايمان، وهو الذي عظم الله تعالى وعيده، ونفاق في بعض الأعمال، وهو كالرياء، كما ذكر في الشرك.

والفسق : هو ارتكاب المعاصي وانتهاك محارم الدين مع الاقرار بوجوب تركه، ولذلك قيل : الفاسق من كان رأيه في شريعته التي يتدين بها رأي الفضلاء ، وافعاله افعال الجهال.

والضال الذي يقصد ان يعتقد الخير، ويفعل الجميل، لكن ظن ما ليس بحق انه حق وما ليس بجميل انه جميل، وفي كل شريعة فسق وضلال، وذلك اذا انتهك محارم شرعه يقال نصراني فاسق، وضال اذا لم يحفظ شرائط شرعه، ونصراني متنسك، اذا راعى شرائط شرعه.

---

(1) في ج « والمنافق » ، والمثبت من م .

انه [illegible] كل [illegible] ولا يحصيه شي من العدد وكان
الله [illegible] [illegible] [illegible] ولا [illegible] اعلم
[illegible] [illegible] كل [illegible] [illegible]
ما اذا ضرب في نفسه واو في عدد لمخرج [illegible]
خلاف الاعداد وكل عدد اذا ضرب في نفسه او في
عدد اخر فاما ان ينقص او يزيد والله المستعان

وختمه [illegible] في ذي الحجة سنة تسع وتسعين وثمانية

٦٧٥

حامدا [illegible] [illegible]

الحمد [illegible] [illegible] الذي يقوم لعزته [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] مصطفون من الخلق [illegible]
[illegible] [illegible] من امره الروح [illegible] [illegible]
[illegible] وعلى [illegible] [illegible] تصفيه السر [illegible]
[illegible] الذي [illegible] لا اله الا هو [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] محمد [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] القلوب [illegible]
[illegible] وعلى اله [illegible] [illegible]
[illegible] الدواء [illegible] على الاسلام [illegible]
[illegible] الذي [illegible] الملوك والجبابرة [illegible]
[illegible] [illegible] الموجودات [illegible]
[illegible] والصلوة والسلام على محمد [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] وعلى اله [illegible] [illegible]
[illegible]

الفهارس

موجود وليس له جزء ولا يصح عليه الانقسام [illegible] أو لها الواحدات

لا القسمة [illegible] إذا استقريت [illegible] الواحد الذي هو أصل العدد [illegible]

[illegible] من الانقسام [illegible] وذلك أن [illegible]

[illegible] عليه التجزي وكان [illegible] أصلاً لكل موجود وليس [illegible]

فالواحد أصل كل عدد وليس من جملة الأعداد وكان [illegible]

[illegible] كما أن الله تعالى هو الأول والآخر وكل عدد من [illegible]

[illegible] وكما أن الله تعالى [illegible] الواحد

[illegible] كل عدد ولا [illegible] من العدد وكان [illegible]

ولا [illegible] لذا الواحد [illegible] العدد [illegible]

[illegible] إذا ضرب في نفسه أو في عدد [illegible]

عدداً إذا ضرب في عدد آخر فإنما [illegible]

[illegible]

فهرس الآيات القرآنية

﴿ سورة النساء ﴾ (4)

﴿ سورة الانعام ﴾ (6)

﴿ سورة يونس ﴾ (10)

﴿ سورة الرعد ﴾ (13)

﴿ سورة الاسراء ﴾ (17)

﴿ سورة حمٓ السجدة ﴾ (41)

﴿ سورة الشورى ﴾ (42)

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الشواهد الشعرية

فهرس الاعلام المترجم لهم

فهرس الفرق والمذاهب والأديان :

فهرس الأمثال

فهرس المصادر والمراجع

- أساس التقديس : لمحمد عمر البازي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر 1354 هـ.
- الاستيعاب في معرفة الاصحاب : ليوسف بن عبد البر مطبوع بهامش الاصابة : مطبعة القاهرة 1318 هـ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة : لعلّي بن محمد الجزري الاثير، دار الشعب، 1970م.
- الاسماء والصفات : لاحمد بن الحسين البيهقي، نشره محمد زاهد الكوثري، دار أحياء التراث العربي بيروت 1358هـ.
- الاصابة في تمييز الصحابة : لاحمد بن علي بن حجر العسقلاني مطبعة السعادة، ط الاولى 1228هـ.
- أصول الدين : لابي منصور عبد القادر البغدادي مطبعة الدولة، استنبول ط الاولى 1928 هـ.
- الاعتقاد على مذهب اهل السنة والجماعة : لاحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق احمد محمد مرسي، 1961 م.
- الاعلام : لخير الدين الزركلي، ط الثالثة.
- الاقتصاد في الاعتقاد : لابي حامد محمد بن محمد الغزالي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط الاخيرة، 1385 هـ.
- الام : محمد بن ادريس الشافعي، دار الشعب، بيروت.
- كتاب الأمثال : لابي عبيد القاسم بن سلام، ت د / عبد المجيد

قطامش دار المأمون للتراث ط الاولى 1400هـ.
- انجيل برنابا، ترجمة الدكتور خليل سعادة مطبعة محمد علي صبيح وأولاده القاهرة.
- الانساب : أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني دائرة المعارف حيدر اباد الهند 1382 هـ.
- الاوائل : لابي الهلال الحسن العسكري، تحقيق محمد السيد الوكيل.
- ايضاح المكنون : لاسماعيل باشا البغدادي من منشورات مكتبة المثنى بغداد.
- الايمان : لاحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد خليل هراس، دار الطباعة المحمدية، القاهرة.
- كتاب الايمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته : لابن سلام، تحقيق الالباني، المطبعة العمومية (ضمن الرسائل الاربع).
- كتاب الايمان لابي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، ت الالباني (ضمن الرسائل الاربع) دمشق.
- البداية والنهاية : لابي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف بيروت ط الثانية 1977م.
- بغية الوعاة : لابي بكر عبد الرحمن السيوطي، ت محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي ط 1 1384هـ.
- البيان والتبيين : لعمربن بحر الجاحظ، تحقيق فوزي عطوي، الشركة اللبنانية، بيروت 1968 م.
- تاريخ آداب اللغة العربية : لجرجي زيدان مطبعة الهلال مصر 1913 م.

- تاريخ الادب العربي : لكارل لروكلمان، نقله الى العربية د. رمضان عبد التواب دار المعارف ط الثانية.
- تاريخ بغداد : لاحمد بن علي الخطيب البغدادي، المكتبة السلفية بالمدينة.
- تاريخ الحكماء : لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي مكتبة المثنى، بغداد.
- تاريخ الفلسفة اليونانية : ليوسف كرم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط 5 1971 م.
- التاريخ الكبير : لمحمد بن اسماعيل البخاري، حيدر آباد، الهند، 1360 هـ.
- تأويل مختلف الحديث : لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد زهري النجار، دار الجيل بيروت، 1393 هـ.
- تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي : لمحمد عبد الرحمن المباركفوري، تحقيق عبد الرحمن عثمان، مطبعة الفجالة الجديدة.
- تذكرة الموضوعات : لمحمد بن طاهر المقدسي، مطبعة السعادة، مصر ط الاولى، 1323 هـ.
- التصوف الاسلامي : لاحمد توفيق، المكتبة الانجلو المصرية القاهرة 1970 .
- التعريفات : لعلي بن محمد الجرجاني، المكتبة اللبنانية بيروت 1969 .
- تفسير غريب القرآن : لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد

أحمد صقر دار الاحياء، الكتب العربية القاهرة 1378 هـ.
- التفسير الكبير لمحمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية طهران ط الثانية.
- تفسير القرآن العظيم : لابي الفداء اسماعيل بن كثير دار احياء الكتب العربية.
- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين : لابي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الاصفهاني المطبعة العربية، حلب.
- التمهيد : لمحمد الباقلاني، نشره الاب يوسف مكارثي اليسوعي المكتبة الشرقية، بيروت 1957 م.
- تنزيه الشريعة : لابي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني، تحقيق عبد الله بن صديق الغماري وعبد الوهاب عبد اللطيف مطبعة عاطف، مصر.
- تهافت الفلاسفة : لابي حامد الغزالي، دار المعارف، مصر ط الخامسة.
- جامع بيان العلم وفضله : لابي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي، دار الكتب، بيروت 1398 هـ.
- جامع البيان عن تأويل القرآن : لمحمد بن جرير الطبري، ت احمد شاكر، دار المعارف مصر، ورجعت ايضا الى طبعة الحلبي ط 1971 م.
- الجامع الصحيح : لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الاتحاد العربي للطباعة والنشر.
- الجامع لاحكام القرآن : لمحمد بن أحمد القرطبي، دار القلم، ط الاولى 1386 هـ.

- الجرح والتعديل : لعبد الرحمن بن أبي الحاتم حيدر آباد الهند، ط الاولى 1372 هـ.
- حلية الاولياء : لابي نعيم بن عبد الله الاصفهاني، مطبعة السعادة مصر، ط الاولى 1374 هـ.
- كتاب الحيوان : للجاحظ، ت فوزي عطوي، بيروت 1378 هـ.
- الخصائص الكبري : لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت محمد الخليل هراس، دار الكتب الحديثة القاهرة 1376 هـ.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخططوا لاثار المعروف بالخطط المقريزية : لابي العباس. أحمد بن علي المقريزي، مؤسسة الحلبي القاهرة.
- خلق أفعال العباد : لمحمد بن اسماعيل البخاري.
- دائرة المعارف الاسلامية : لائمة المستشرقين دار الشعب القاهرة.
- الدر المنثور : لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، محمد أمين دمج، بيروت.
- دلائل النبوة : لابي نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني، دائرة المعارف، حيدر أباد الهند 1320 هـ.
- ديوان أبي نواس لحسن بن هانىء أبو نواس، شرحه محمود كامل فريد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.
- الذريعة الى مكارم الشريعة : لابي القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني، ت عبد الرؤوف سعد، مطبعة حسان القاهرة ط الاولى 1393 هـ.

- الرد على الجهمية : لعثمان بن سعيد الدارمي، ضمن مجموعة عقائد السلف.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : لمحمود شكري الألوسي، دار احياء التراث العربي.
- روضات الجنات : لميرزا محمد باقر الخوانساري، ت اسد الله اسماعيليان مطبعة المهر استرار، ايران 1391 هـ.
- كتاب الزهد : لاحمد بن حنبل.
- كتاب الزهد : لعبد الله بن المبارك المروزي، علمي بريس الهند 1385
- سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة : لمحمد ناصح الدين الالباني، الكتب الاسلامي.
- سنن ابن ماجة : لمحمد بن يزيد بن ماجة، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربية 1372 هـ.
- سنن ابي داؤاد : لسلمان بن أشعث السجستاني، ت محي الدين عبد الحميد دار احياء السنة النبوية.
- سنن الدارمي : لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ت محمد احمد دهمان، دار احياء السنة النبوية.
- سنن النسائي : لاحمد بن شعيب النسائي دار احياء التراث العربي بيروت.
- الشامل في أصول الدين : لعبد الملك بن عبد الملك الجوبني، ت على النشا وغيره، الناشر المعارف بالاسكندرية 1969 م.
- شذرات الذهب في اخبار من ذهب : لعبد الحي بن العماد الحنبلي، المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت.

- شرح الاصول الخمسة : لعبد الجبار بن أحمد، تحقيق عبد الكريم عثمان، مطبعة الاستقلال القاهرة ط الاولى 1384 هـ.
- شرح ديوان الاخطل : لاليا سليم الحاوي، دار الثقافة بيروت.
- شرح ديوان امروء القيس : لحسن سندربي ط الخامسة مطبعة الاستقامة القاهرة.
- شرح العقيدة الطحاوية : لابن ابي العز الحنفي، ت جماعة من العلماء تخرج الالباني، المكتب الاسلامي ط الاولى 1392 هـ.
- شرح المواقف : لعلي بن محمد الجرجاني، مطبعة السعادة مصر، ط الاولى 1315 هـ.
- شرح نهج البلاغة : لعبد الحميد هبة الله بن أبي الحديد، ت محمد أبو افضل دار احياء الكتب العربية القاهرة. 1378 هـ.
- الشريعة : لمحمد بن عبد الله الاجري، مطبعة السنة المحمدية، مصر 1369 هـ.
- الشعر والشعراء : لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، مطبعة المعاهد مصر ط الثانية ÷١٠1350 هـ.
- صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج النيسابوري ت محمد فؤاد عبد الباقي دار الكتب العربية ط الاولى 1955 م.
- صحيح مسلم : بشرح النووي : ليحي بن شرف النووي، المطبعة المصرية ومكتبها 1149 هـ.
- صفوة الصفوة لابي الجوزي حيدر أباد الهند 1391 هـ.
- طبقات الاطباء والحكماء : لابي داؤد سليمان بن حسان الاندلسي المعروف بان جلجل مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة.

- كتاب الضعفاء والمتروكين، دار الوعي حلب ط الاولى 1396 هـ.
- طبقات الحنابلة : لابي الحسين محمد بن علي، مطبعة السنة المحمدية القاهرة 1371 هـ.
- الطبقات السنية في التراجم الحنفية : لتقي الدين بن عبد القادر الحنفي مطابع الاهرام مصر 1390 م.
- طبقات الشافعية : لتاج الدين ابي النصر السبكي، ت محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو مطبعة عيسى البابي الحلبي ط الاولى 1383 هـ.
- الطبقات الكبرى : لمحمد بن سعد، دار صادر بيروت 1380 هـ.
- طبقات المفسرين : لمحمد بن علي بن احمد الداؤدي، ت علي محمد عمر، مطبعة الاستقلال الكبري 1991 هـ.
- طبقات النحويين والبلاغيين : لمحمد بن الحسن الزبيدي، ت محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعارف القاهرة 1373 هـ.
- العقد الفريد : لاحمد بن محمد عبد ربه، المطبعة الأزهرية المصرية 1111 هـ.
- العقيدة الطحاوبة : لابي جعفر بن محمد الطحاوي، شرح وتعليق محمد ناصر الدين الالباني، المكتب الاسلامي ط الاولى 1398 هـ.
- عيون الأطباء في طبقات الاطباء : لابي العباس احمد بن القاسم المعروف بابن ابي اصبيعيه، دار مكتبة الحياة بيروت 1965 م.
- عيون الاخبار : لعبد الله مسلم ابن قتيبة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة 1963 م.

- غاية النهاية في طبقات القراء : لمحمد بن محمد بن الجزري ط الاولى 1352 هـ.
- غريب الحديث : لعبد الله بن مسلم أبن قتيبة، ت عبد الله الجبوري، مطبعة العافي بغداد 1397 هـ.
- الفائق في غريب الحديث : لمحمود بن عمر الزمخشري، ت علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم
- الفرق بين الفرق : لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ت محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة المدني القاهرة.
- الفصل في الملل والنحل : لعلي بن حزم الظاهري، مكتبة المثنى بغداد 1321 هـ.
- فضائل القرآن : لابي الفداء اسماعيل بن كثير، مطبوع مع تفسيره دار احياء الكتب المصرية.
- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : لمحمد بن الفضل البلخي، ت قاؤد سيد الدار التونسية للنشر، تونس 1393 هـ.
- الفهرست : لابن النديم، دار المعرفة بيروت.
- فهرس الخزانة التيمورية : «أسماء المؤلفين» دار الكتب المصرية القاهرة، 1948 م.
- الكتاب (كتاب سيبويه) تحقيق عبد السلام هارون القاهرة 1666
- كنز العمال : لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي، حيدر أباد الهند 1312 هـ.
- اللالىء المصنوعة : للسيوطي، دار المعرفة بيروت.
- اللباب في تهذيب الانساب : لعز الدين ابن الاثير الجزري، دار صادر بيروت.

- اللسان : لمحمد بن منظور دار صادر بيروت 1388 هـ.
- لسان الميزان : لاحمد بن حجر العسقلاني، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ط الثانية 1390 هـ.
- اللمع : لابي نصر السراج الطوسي، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مطبعة السعادة 1380 هـ.
- لمعة الاعتقاد : للموفق بن قدامة المقدسي، الكتب الاسلامي بيروت ط الثالثة 1382هـ.
- كتاب المجروحين : لمحمد بن حيان البستي، ت محمود ابراهيم زيد، دار الوعي حلب.
- مجمع الامثال : لابي الفضل بن محمد بن ابراهيم زيد مطبعة السعادة مصر ط الثانية 1379 هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : لعلي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي بيروت ط الثانية 1967 هـ.
- محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : لابي القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني، دار مكتبة الحياة بيروت 1964 م.
- مروج الذهب : لعلي بن الحسين بن علي المسعودي، ت محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة مصر ط الرابعة 1384 هـ.
- المستدرك على الصحيحين : لمحمد بن عبد الله الحاكم، مطابع النصر الرياض.
- المستقصى في أمثال العرب : لابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، حيدر أباد ط الاولى 1381 هـ.

- مسند الامام احمد : المكتب الاسلامي ودار صادر بيروت.
- معارج القدس في مدارج معرفة النفس : الغزالي، ت مصطفى ابو العلاء مكتبة الجندي القاهرة 1388 هـ.
- معجم البلدان : لياقوت بن عبد الله الحموي، دار الكتاب العربي بيروت.
- المعارف : لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، ت د. ثروت عكاشه، دار المعارف مصر ط الثانية.
- معاني القرآن لابي زكريا الفراء
- معجم المؤلفين : لعمر رضا كحاله، دار العلم للملايين بيروت 1388 هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي - دار احياء التراث العربي - بيروت 1379 هـ.
- المغني عن الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار : لعبد الرحيم بن الحسين العراقي مطبوع على هامش احياء علوم، الدين دار المعرفة بيروت.
- المغني في ابواب التوحيد والعدل : لابي الحسين عبد الجبار بن احمد، تحقيق عبد الحليم محمود وسليمان دنيا، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة : طاش كبرى زاده، ت كامل بكري وعبد الوهاب ابو النور مطبعة الاستقلال الكبرى القاهرة 1968 م.
- المفردات في غريب القرآن : لابي القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني، ت محمد سيد كيلاني مطبعة مصطفى

البابي الحلبي واولاده مصر، 1381 هـ.
- المقاصد الحسنة : لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت عبد الله محمد الصديق وتقديم عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية ط الاولى بيروت.
- مقالات الاسلاميين : لابي الحسن علي الاشعري، ت محي الدين عبد الحميد مطبعة النهضة المصرية ط الثانية 1389 هـ.
- الملل والنحل : لابي الفتح عبد الكريم الشهرستاني، مطبوع مع الفصل لابن حزم، مكتبة المثنى بغداد 1321 هـ.
- الموطأ : للامام مالك بن أنس مصطفى البابي الحلبي 1353 هـ.
- الموضوعات : لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ت عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية 1386 هـ.
- الميزان الاعتدال : لمحمد بن أحمد الذهبي، ت علي محمد البجاوي، دار الكتب العربية وعيسى البابي الحلبي.
- النجاة : لابي علي الحسين بن سينا، مصطفى البابي الحلبي، ط الثانية 1357 هـ.
- نشأة الفكر : لعلي سامي النشار، دار المعارف القاهرة 1977 م.
- نيل الاوطار : لمحمد علي بن محمد الشوكاني، مصطفى البابي الحلبي مصر، ط الاخيرة.
- وفيات الاعيان : لاحمد بن محمد بن خلكان، ت احسان عباس، دار الثقافة بيروت.

الفهرس

الفصل الأول

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

منشورات
مؤسسة الأشرف
للتجارة والطباعة والنشر والتوزيع

١ ـ السيطرة الصناعية الذاتية والمسيطرات الهوائية

للدكتور طالب الجنابي

٢ ـ حول الأدب الأندلسي **للدكتور قيصر مصطفى**

٣ ـ بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب

الدكتور عبد الجليل مرتاض

٤ ـ الاعتقادات للراغب الاصفهاني

تحقيق الدكتور سركال شمران العجلي

٥ ـ تلمسان : شعر **قيصر مصطفى**

٦ ـ بلال : شعر **قيصر مصطفى**

٧ ـ الفرق لقطرب **تحقيق الدكتور صبيح التميمي**

٨ ـ حداء الحجارة **مجموعة من شعراء العرب**